الجمـهـورية الجـزائرية الديمـقراطية الشـعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي مصطفى اسطمبولي – معسكر-
معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم التاريخ

الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات

مذكرة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث

إعداد الطالب:
بن صحراوي كمال

إشراف أ.د.
دحو فغرور

لجنة المناقشة:

- **قشي فاطمة الزهراء** أستاذة التعليم العالي جامعة قسنطين رئيسة
- **فغرور دحو** أستاذ التعليم العالي جامعة وهران مقررا
- **دادة محمد** أستاذ محاضر جامعة وهران مقررا ثانيا
- **غطاس عائشة** أستاذة التعليم العالي جامعة الجزائر مناقشة
- **بوغوفالة ودان** أستاذ مكلف بالدروس المركز الجامعي- معسكر مناقشا

السنة الجامعية: 2007- 2008

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى صاحبي أكبر فضل - بعد الله تعالى- علي، إلى والدي حفظهما الله، وجزاهما عني خير الجزاء.

إلى الذي علمني كيف أمسك بالقلم أول مرة، إلى معلمي القدير ابن عيسى بلال بعين كرمس، حفظه الله ورعاه.

إلى زوجتي أم يوسف التي شجعتني وساندتني وصبرت معي طوال فترة إنجاز هذا العمل.

إلى كل الذين جمعتنا بهم المحبة الخالصة نهدي هذا العمل المتواضع.

شكــر

جدير بي أن أسجل في إحدى الصفحات الأولى من هذا العمل المتواضع، شكري الخالص للأستاذين دحو فغرور ومحمد دادة على مساعدتهما وتوجيههما لي، من خلال الإشراف على إنجاز هذا البحث.

كما أتقدم بكل شكري لأخي؛ الأستاذ القدير عبد القادر بلفضال، على كل ما قدمه لي خلال إنجاز عملي هذا، وإلى كل أساتذة قسم التاريخ بالمركز الجامعي مصطفى اسطمبولي بمعسكر.

المـــقـدمـة

لقد عرفت الجزائر خلال الحكم العثماني تطورات مختلفة، وأحداثا كثيرة، صارت شاهدة على أهمية الإيالة على المستويين الإسلامي والعالمي، متخطية بذلك الحيز المتوسطي.

ورغم كثرة الدراسات التي عالجت مواضيع متنوعة من التاريخ الجزائري في العهد العثماني، فإنها تبقى غير كافية بالنظر إلى تعدد المواضيع وتشعبها.

كما أن هذه الدراسات لا تزال في غالبيتها تهتم بمعالجة مواضيع سياسية، أما الدراسات الاجتماعية فهي تعنى بشكل خاص بالتركيبة الاجتماعية للمجتمع الجزائري، ومساهمة طوائفه البشرية في حركيته، كما أن كثيرا من هذه الدراسات، خاصة الأوربية منها، ركز على العنصر التركي سلبا، متهما إياه بالتطرف والعنصرية، تجاه العناصر الأخرى، لاسيما غير الإسلامية، وكان ذلك من باب إظهار مساوئ النظام العثماني، لتبرير الهجمة الاستعمارية التي تعرضت إليها الجزائر، والتي تم تصويرها على أنها مثلت، رغم كل مساوئها، تخليصا لهذا المجتمع من قبضة الأتراك.

ومن هنا جاءت هذه الدراسة الموسومة بـ " الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات" كموضوع للمساهمة في فهم دور ومكانة الوجود اليهودي بالجزائر في أواخر الفترة العثمانية، وتفاعله مع النظام العثماني، لإدراك تأثير ذلك الوجود في كل مجالات الحياة، وخاصة الدبلوماسية منها.

قد يكون منطلق هذه الدراسة نابعا من بعض الميول الشخصية، قصد التعرف على دور اليهود في الحياة الاقتصادية والسياسية لإيالة الجزائر، لكن هذه الرغبة الشخصية، توفرت لها أسس علمية جعلتها تترسخ أكثر، ذلك أن دور اليهود صار يتعاظم باستمرار، حتى شكلوا في نهاية القرن 18م، وبداية القرن 19م، طبقة ذات حضور قوي على المستويين السياسي والاقتصادي، وهو ما نستنتجه من خلال اهتمام الأوربيين بهم، كوسائل يستخدمونها في صراعهم مع الإيالة التي أتعبتهم قوتها البحرية كثيرا.

وقد ظهرت دراسات أكاديمية جزائرية طرقت موضوع اليهود، من باب كشف النقاب عن كثير من الغموض الذي ما زال يكتنف تاريخ اليهود في الجزائر، نذكر منها رسالة الماجستير التي أنجزها محمد دادة، بعنوان " اليهود في الجزائر في العهد العثماني (منذ مطلع القرن 18 حتى 1830م)" ورسالة الماجستير التي أنجزتها نجوى طوبال

" طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر (1700م – 1830م) من خلال سجلات المحاكم الشرعية " وغيرها، وهي دراسات تشكل أرضية لفهم طبيعة التواجد اليهودي بالجزائر، وما ترتب عنه من تفاعلات عديدة، اقتصادية وسياسية.

وقد حصرنا فترة الدراسة في أواخر عهد الدايات، باعتبار أن دور اليهود خلالها تبلور أكثر، مع وصول الداي حسن ثم خليفته مصطفى إلى الحكم، واللذين مكنا لليهود بشكل يستدعي الغرابة، ثم إن ردود الأفعال الجزائرية اتضحت في هذه الفترة، بعد أن استحال تحمل الاستفزازات اليهودية لكل المجتمع، بما فيه الإنكشارية، هذه الاستفزازات التي لم تعد تأثيراتها محلية فقط، وإنما تم استغلالها من قبل القوى الأجنبية، خاصة فرنسا وإنجلترا، وهو ما انتهى بقضية الديون وحادثة المروحة، واحتلال الجزائر.

وقد عرفت الفترة موضوع البحث، تغيرات على مستوى البحر المتوسط، ميزتها الانطلاقة القوية لفرنسا بعد ثورة 1789م، وتراجع مكانة الأسطول الجزائري، ثم ظهور تقارب أوربي خاصة بعد مرحلة نابليون، فقد أكدت المؤتمرات الأوربية على ضرورة القضاء على البحرية الجزائرية، وهو ما انجر عنه قيام حملات ضد الجزائر، كحملة إكسماوث 1816م، وحملة الإنجليز عام 1824م، وهو ما جعل هذه الفترة جديرة بالدراسة، لاسيما إذا أضفنا إلى أحداثها الكثيرة، حضور اليهود القوي على مستوى الدبلوماسية الجزائرية، والذي كان من نتائجه جر الجزائر إلى عقد معاهدات واتفاقيات، كان الأوربيون والأمريكان أكثر استفادة منها، وفي المقابل عمل اليهود على استغلال علاقة الجزائر بالدول الأوربية للحفاظ على المصالح اليهودية بالدرجة الأولى.

إن البحث في موضوع اليهود ، ودورهم في دبلوماسية الجزائر، أواخر العهد العثماني، يمنحنا الفرصة للإجابة على كثير من التساؤلات المتعلقة بمكانة اليهود في المجتمع الجزائري، وأسباب صدارتهم على المستويين الاقتصادي والسياسي، وحدود هذه الصدارة، بتحديد طبيعتها في ظل وجود المؤسسة الدبلوماسية الجزائرية، في الوقت الذي عرفت فيه الطاقات المحلية تهميشا إلى حد كبير، دون مراعاة انعكاس ذلك كله على صيرورة المجتمع من جهة، وعلى طبيعة علاقاته المستقبلية مع العالم الأوربي من جهة أخرى، خاصة وقد تحول نظام الدايات من حام للجزائر ومدافع عنها، إلى نظام تنحصر اهتمامات بعض داياته وموظفيه في شيء واحد، هو خدمة مصالح اليهود على المستوى

المحلي، وتوفير الحماية لهم على المستوى الخارجي، دون الالتفات إلى الطاقات الجزائرية، سواء انحدرت من أصول عربية وأمازيغية، أو حتى من أصول تركية، وقد كان بإمكان هذا النظام استغلالها في تنشيط الحركية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بشكل يفيد الإيالة كلها.

وقد جرنا التعامل مع هذه الإشكالية الرئيسية، إلى الإجابة عن مجموعة من التساؤلات الفرعية التي تتعلق بذات الموضوع، لكن من جوانب متعددة، كالتساؤل عن الوجود اليهودي بالجزائر، ومواقف الأهالي منه، فهل كانت هذه المواقف متشددة إلى حد عزل اليهود في مناطق بعيدة، أو على الأقل في حارات خاصة؟.

- ثم كيف كانت طبيعة علاقة اليهودي بأخيه، وعلاقته بالمسلمين؛ الأتراك والأهالي؟

- كما وجب التساؤل عن طبيعة النشاطات التي زاولها اليهود، والعوامل التي مهدت الطريق أمامهم، ليبسطوا سيطرتهم على التجارة الخارجية، وكيف كانت علاقاتهم مع الشخصيات الأجنبية التي كانت تترصد الجزائر من بعيد؟

- ثم ما الدور الذي أداه اليهود في دبلوماسية الجزائر، وفي نسج علاقاتها مع الدول الأوربية، وهم يجمعون الأموال ويحققون الأرباح؟

- وهل كانت المصلحة الفردية والعائلية البحتة هي التي تحكم كل تحركات اليهود، أم أن هذه التحركات اندرجت ضمن تخطيط يهودي عام، يدعم الثورة الفرنسية التي رأى فيها اليهود تخليصا لهم من الظروف التي عاشوها في أوربا؟

إن الإجابة عن مجموع هذه التساؤلات وغيرها، اقتضى الاعتماد على بيبليوغرافيا متنوعة، باللغتين العربية والأجنبية، والتي ساعدتنا على إماطة اللثام عن بعض القضايا التاريخية، ويمكن تصنيفها على الشكل التالي:

1 – الأرشيف:

اعتمدنا على مجموعة من الوثائق الأرشيفية التي حصلنا عليها من مركز الأرشيف الوطني، ومن المكتبة الوطنية بالحامة.

فدفتر خط همايون وسجلات البايلك، تمت الاستعانة ببعض ما كتب منها باللغة العربية، مع ملاحظة صعوبة الخط وقلة التنظيم، لكنها رغم ذلك، توفر مادة خصبة للباحثين والدارسين.

2 – المصادر والمراجع المطبوعة:

- المصادر المحلية قليلة ولم تتطرق إلى الموضوع بشكل واسع، لكن قيمتها تظل عظيمة، خاصة "مذكرات نقيب الأشراف للزهار"، الذي تحدث فيه عن الدايات المتأخرين، وأهم الأحداث التي كانت في زمان كل منهم، إضافة إلى كتاب "المرآة" لحمدان خوجة، الذي احتوى كثيرا من المعلومات، خاصة حول اليهود وأساليبهم والنتائج التي وصلت إليها الجزائر بسببهم.

- أما المصادر المكتوبة بالأجنبية، فهي تعالج الموضوع في إطار دراسة تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ومن هذه المصادر نذكر ما كتبه كل من لوجي دو تاسي le Royaume d'Alger وفونتور دو بارادي Tunis et Alger aux 18eme siècle والدكتور شاو Voyage dans la régence d'Alger وغيرهم.

هذا إضافة إلى مصادر تمت ترجمتها إلى اللغة العربية، وهي أيضا تمثل مادة هامة مثل مذكرات شالر ومذكرات كاثكارت وكتب الرحالة الألمان.

وقد كانت المراجع بدورها باللغتين العربية والفرنسية، وكان الاطلاع عليها مفيدا للغاية لفهم طبيعة الظروف التاريخية والاقتصادية، والتطورات السياسية التي عاشتها الجزائر في مرحلتها الأخيرة من الحكم العثماني.

ونذكر من هذه المراجع على سبيل المثال: "النظام المالي" لناصر الدين سعيدوني، و"التجارة الخارجية للشرق الجزائري"، لمحمد العربي الزبيري، و"اليهود في العهد العثماني" لمحمد دادة، "وطائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر" لنجوى طوبال وهي دراسة هامة جدا، باعتبار أنها اعتمدت على وثائق المحاكم الشرعية.

- وأما المكتوبة بالفرنسية، فإن أهمها ما كتبه اليهود أنفسهم، مثل Le judaïsme nord africain للحاخام Eisenbeth، و دراسته التي عنونها بـ les juifs en Algérie et en Tunisie أو الحاخام Virebaeau الذي كتب Algérusalem; l'Algérie terre juive, leçon d'histoire algérienne d'un rabbin à son fils إضافة إلى كثير من الكتابات الأجنبية مثل:

Les juifs algériens, leurs origines -----------Henri Garrot

وقد عالج كثير من هذه المراجع موضوع اليهود بشكل عام سواء خلال العهد العثماني أو حتى خلال الاحتلال الفرنسي، ولم يفرد موضوع دور اليهود في الدبلوماسية بدراسة خاصة باستثناء المقال الذي كتبه إسماعيل العربي في مجلة تاريخ وحضارة المغرب فهو في صلب الموضوع.

والملاحظ أن أغلب هذه المراجع يعالج قضية اليهود من زاوية معينة، هي محاولة إظهار اليهودي في شكل الشخص المضطهد، الذي لم تكن أعماله سوى رد فعل على المعاناة التي عرفها في هذه الفترة، وبالتالي تتحول هذه المراجع إلى أداة للدفاع عن اليهود، في إطار ضرب التاريخ العثماني بشكل عام.

وحتى الكتاب الفرنسيون، انساق بعضهم وراء هذا النوع من الكتابة، إذ ركزوا جهودهم على الضرائب التي كان يدفعها اليهود، وعلى اللباس الذي كان مفروضا عليهم ارتداؤه، وعلى الأحياء التي أجبروا على السكن فيها، وهي كلها أمور فيها اختلاف كبير، حتى بين الكتاب الأجانب أنفسهم.

وقد اتبعنا في دراسة موضوع الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات، المنهج التحليلي المقارن، الذي يهدف إلى تتبع الحقيقة التاريخية، والنظر إلى ما وراء الحدث التاريخي.

كما اعتمدنا المقاربة التاريخية لفحص وتمحيص مختلف الحقائق، وقوفا عند غثها وسمينها، مرجحين أحيانا بعضها على البعض الآخر، انطلاقا من العلل القوية والحجج الدامغة، التي سمح بها الاطلاع على المصادر والوثائق التاريخية.

يتكون الموضوع من ثلاثة عناصر أساسية:

- اليهود
- الجزائر العثمانية في عهد الدايات
- الدبلوماسية

وعليه فإننا قسمنا موضوعنا حسب هذه العناصر الأساسية إلى مقدمة أردفناها بأربعة فصول عالجنا فيها موضوع الدراسة، ثم خاتمة ضمناها حوصلة لما خرجنا به من البحث، وألحقنا ذلك بمجموعة من الملاحق والفهارس.

أما المقدمة فقد عرفنا فيها بالموضوع، وبينا أسباب اختياره، وأهم العراقيل التي صادفتنا عند إنجازه، إضافة إلى بيان أهم مصادره ومراجعه، والخطة المتبعة فيه.

وأما الفصل الأول " لمحة وجيزة عن الوجود اليهودي بالجزائر " فكان عبارة عن مدخل تناول الهجرات اليهودية إلى الجزائر، وأهم أقسام الطائفة اليهودية، ثم علاقات اليهود داخل المجتمع الجزائري، سواء العلاقات اليهودية اليهودية، أو العلاقات بين اليهود والمسلمين.

وأما الفصل الثاني فكان بعنوان " سيطرة اليهود على النشاط الاقتصادي" وخصصناه للحديث عن العوامل التي أتاحت لليهود إمكانية السيطرة على النشاط الاقتصادي للإيالة، بما فيها العوامل الداخلية والعوامل الخارجية، ثم أهم النشاطات التي مارسوها، وكيف انعكس التوسع المالي سلبا على الحياة الاقتصادية، بتهميش الطاقات المحلية الجزائرية، وضرب مقومات الاقتصاد الجزائري، وفسح المجال أمام عناصر غريبة عن المجتمع، استغلت خيراته، ثم تآمرت عليه خاصة الفرنسيين والإنجليز.

الفصل الثالث: " دور اليهود في دبلوماسية الجزائر" وقد بدأناه بالحديث عن وضعية المؤسسة الدبلوماسية الجزائرية في العهد العثماني، وبينا فيه كيف أنها استطاعت أن تعيش نوعا من الاستقلالية، في إطار الدولة العثمانية، وأن الحديث عن دور اليهود فيها كثيرا ما يعرض في غير موضوعية، حتى يكاد ينفي وجود دبلوماسية جزائرية أصلا، ولهذا حاولنا أن نشخص العوامل التي مهدت الطريق أمام اليهود، ليدخلوا عالم دبلوماسية الإيالة، وكيف أنهم استفادوا من الظروف المحلية والدولية التي أحاطت بها، ثم أعطينا نماذج عن تدخلاتهم في نشاط هذه الدبلوماسية، على مستوى العلاقات بين الجزائر، ومجموعة من الدول القوية آنذاك.

ونظرا لما آلت إليه العلاقات الجزائرية الفرنسية، من تعثر كان لليهود فيه نصيب وافر، ارتأينا تفصيل الحديث عن دورهم فيها، سواء زمن الثورة الفرنسية، أو بعدها، وهو ما استدعى الحديث عن قضية دعم اليهود لهذه الثورة، والأهداف التي توخوها من ذلك، ثم قضية الديون وما أوصلت إليه من تشنج في العلاقات، انتهى بالحصار الفرنسي للجزائر ثم بالاحتلال.

أما الفصل الرابع، فكان حول آثار هذا التدخل، ونتائجه على مصير الإيالة، وقد تطرقنا فيه إلى تهميش الطاقات الجزائرية، كظاهرة مَرَضية عانى منها نظام الدايات، وما انجر عنها من ردود أفعال قوية، تمثلت في الثورات التي هزت كيان الإيالة، مما جعلها غير قادرة على المحافظة على القوة التي تمتعت بها مدة تزيد عن القرنين ونصف القرن.

وأنهينا دراستنا بخاتمة ضمناها أهم النتائج المتوصل إليها من خلال البحث في موضوع اليهود ودورهم في حياة إيالة الجزائر.

وتجدر الإشارة في الأخير، إلى أن البحث في المجال التاريخي يعتبر مساهمة في بناء كيان الأمة كلها، لكنه على أهميته، تعترضه صعوبات جمة، فإذا كان بعض المسؤولين عن المكتبات، أصحاب مبادرات تستحق التشجيع، فإن كثيرا منهم لا يولون وظيفتهم الحساسة أية أهمية، وهو ما يجعل الباحث يعاني مشاكل عديدة.

وإذا كنا قد انتقلنا إلى العاصمة، وحاولنا الاستفادة من وثائق مركز الأرشيف الوطني والمكتبة الوطنية، فإن قلة إمكانات التصوير، جعلتنا غير قادرين على استغلالها بشكل أمثل، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار الوثائق المصورة في شكل ميكروفيلم، والتي يتطلب التعامل معها والبحث فيها وقتا طويلا وجهدا مضاعفا.

رغم كل هذا فإننا، منذ باشرنا العمل في هذا الموضوع، حاولنا أن نتم العمل على أكمل وجه، متوخين عنصر الموضوعية، دون النظر إلى طبيعة الطائفة التي ندرس أوضاعها، يحدونا في ذلك أمل كبير في توسيع مداركنا ، فإن وفقنا فذاك المبتغى، وإلا فحسبنا أننا حاولنا، دون ادخار أي جهد، آملين أن يرقى عملنا هذا فيكون لبنة متواضعة في إطار الصرح العام للكتابة التاريخية في بلادنا.

ونرجو من خلال هذا العمل أن نكون عند حسن ظن الأستاذ المشرف دحو فغرور، والمشرف المساعد محمد دادة، اللذين تكبدا عناء الإشراف والتوجيه، وجميع الذين يطلعون على الموضوع.

والله الموفق لما فيه الخير

الفصل الأول

لمحة وجيزة عن الوجود اليهودي بالجزائر

مقدمة:

إن دراسة دور طائفة اليهود في حياة الجزائر الاقتصادية والسياسية، لا يمكن أن تتم إلا بمعرفة الجذور التاريخية للتواجد اليهودي بها، وهو ما لم يعرف، إلى وقتنا هذا، اتفاقا بين الباحثين حول بداياته الحقيقية، التي صار الاختلاف بشأنها يأخذ أبعادا سياسية انطلاقا من مفاهيم معينة، يركز بعضها على الهجرات اليهودية إلى بلاد المغرب، بينما يذهب بعضها الآخر إلى تهميش هذه الهجرات، مركزا في المقابل على تضخيم ظاهرة اعتناق القبائل البربرية للديانة اليهودية[1]، ولذلك سنحاول أن نتتبع الخطوط الكبرى للهجرات اليهودية نحو شمال إفريقيا، والأسباب التي أدت إليها، خصوصا الأمنية منها.

1 - الهجرات اليهودية :

1- 1- هجرات التوشابيم

الوجود اليهودي بالجزائر قديم ، لكن بداياته غير معروفة على وجه التحديد ، فمن المؤرخين من أرجعه إلى قرابة 3000 سنة، أي منذ أن قدم الفينيقيون إلى شمال إفريقيا لممارسة التجارة، خاصة بعد إنشائهم لمدينة قرطاجة عام 814 ق م.

ولا يمكن اعتبار هذا التواجد فعليا ابتداء من هذا الزمن[2]، ذلك أن اليهود كانوا غير مستقرين في شمال إفريقيا بشكل دائم، فقد كانوا يمارسون التجارة كغيرهم، ثم يعودون إلى المناطق التي قدموا منها، أي من الشرق الأدنى.

1- يراجع ما كتبه عثمان سعدي في القدس العربي بتاريخ 23 - 06 – 2007 حول ادعاءات الكاتب اليهودي المغربي حاييم الزعفراني، بأن يهود المغرب لم يأتوا مهاجرين، وإنما هم مغاربة تهودوا.

2- تروي الأساطير اليهودية، أن اليهود كانوا منقسمين إلى 12 قبيلة، عشر منها تشكل مملكة الشمال "مملكة إسرائيل" التي كان ملكها شاؤول، واثنتان تشكلان مملكة الجنوب "مملكة يهوذا"، والتي نشأت حسب الرواية التوراتية، بعد أن تمرد داود واتجه إلى الجنوب ، ليتخذ من مدينة الخليل عاصمة له. ولما سقطت مملكة الشمال في يد الأشوريين عام 721ق م، هُجّر سكانها الذين ذابوا في المجتمع الجديد. لكن كثيرا من اليهود لا يؤمنون باختفاء هذه القبائل، وإنما يعتبرونها مفقودة فقط، وهم في انتظار عودتها، فحين اكتشفت أمريكا، قيل إن سكانها يمثلون هذه القبائل، ثم قيل ذلك عن قبائل الفلاشا في إثيوبيا، وهكذا تظل هذه الأسطورة تأسر كثيرا من اليهود المؤمنين بها.

عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، الجزء 4، ص 315

الرابط: www.elmessiri.com بتاريخ 2007/04/13

في عام 323 ق م، أصبح بطليموس Ptolemée [1] حاكما لمصر، وفي سنة 320 ق م هاجم القدس وأحرقها، واستقدم معه بعضا من سكانها الذين أقاموا بالإسكندرية وبرقة، بينما هاجر بعضهم إلى إسبانيا [2].

وقد اختلـــفت أوضاع اليهود في ظل الحكم الروماني، إذ نجدهم في إفريقيا في زمن Auguste أوغستين (63 ق م – 14 ق م) أصحاب شأن أغنياء، يتمتعون بحماية الحاكم [3].

ويرى إيزنبيث أن اليهود صاروا في عصر الوثنية الرومانية، يتمتعون بكامل الحقوق التي تتمتع بها بقية الشعوب، ويعيشون حسب قوانينهم الخاصة [4]، وفي ذلك إشارة إلى ما اعترى اليهود من ضعف واضطهاد، بعد دخول المسيحية إلى الإمبراطورية الرومانية [5]، وهو هنا يغفل أسباب هذا الاضطهاد والتي تعود أساسا إلى عداء اليهود للمسيحية منذ أيامها الأولى [6].

وفي عام 70م، دمر تيتوس Titus (تيطس) (39م – 81م) مدينة القدس، وحطم الهيكل فانتقلت مجموعة من اليهود إلى الإسكندرية وبرقة، وكانت ناقمة على ما حل بها[7].

ولما كان عام 115م، أصبح عدد اليهود كبيرا في برقة، فاعتدّوا بذلك وثاروا ضد سلطة الإمبراطور الروماني تراجان Trajan (53م - 117م)، واستطاعوا تحت قيادة

1- بطليموس الأول سوتر (المخلص) 367 ق م -283 ق م . ملك مصر 323 ق م -285 ق م.

2 - Garrot, H, Les juifs algériens, leurs origines, ALGER: Librairie LOUIS Relin, 1898, P 10

3 - Garrot, H, Ibid. p 10

4 -Eisenbeth, M, "Les juifs en Algérie et en Tunisie", Revue Africaine, Tome XCVI, 1952, pp 126 - 127

5 - صارت الإمبراطورية الرومانية مسيحية بدخول الإمبراطور قسطنطين (306م – 337م) المسيحية في عام 312م

6 - عبد الله التل، الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية. ط 2. 1989، ص 52

7- تذهب الكتابات اليهودية إلى أن اليهود تشتتوا في الأرض، بعد هدم الهيكل بين 7 و 10 أوت سنة 70م، على يد تيتوس، مع أن تفرق اليهود في الأرض كان قبل ذلك بزمن طويل وبدون قسر، حتى أن عدد اليهود خارج فلسطين قبل الهدم كان يفوق عددهم داخلها بكثير.

يراجع:

عبد الوهاب المسيري، مرجع سابق. الجزء 4. ص 273

واحد منهم يسمى أوندريا Andréas أن يلحقوا الأذى بكل من لم يكن يهوديا، وخلال عامين حولوا الحياة في مصر إلى جحيم، حيث لوثوها بالدم، وهم الذين وجدوا فيها الأمان بعد خروجهم من فلسطين، فلما تولى أدريان Hadrien [1] السلطة الرومانية، شكل قوة هزمت اليهود فتفرقوا، حيث استقر بعضهم في شمال إفريقيا، بينما مضى آخرون إلى إسبانيا [2].

ومن هنا يمكن أن نتتبع هجرة اليهود إلى شمال إفريقيا عبر محورين أساسيين :

ا – من فلسطين إلى مصر، ثم برقة، ثم باقي المناطق الإفريقية، خاصة الساحلية.

ب – من اليمن والجزيرة العربية، إلى إثيوبيا ثم الانتشار في الصحراء وصولا إلى المغرب الأقصى [3].

وبعد أن توضحت لليهود المسالك صوب شمال إفريقيا، جاءت أعداد أخرى لتلتحق طواعية بمن سبقها، بعد أن بلغها خبر الظروف الملائمة في المنطقة. فقد أصبح اليهود تجارا، يتاجرون في كل شيء حتى البشر، ورغم أنهم عانوا الكثير إلا أنهم زاولوا تجارة الرقيق. وهنا نتساءل: هل كانت مزاولة هذا النوع من التجارة انجرافا وراء تيار عام بهدف تحقيق الربح، أم كانت انتقاما من البشرية كلها على ما حل باليهود على أيدي أعدائهم؟

ويعبر Garrot عن حسن استضافة اسبانيا لليهود، لكنه يذكر في المقابل استحواذهم على الممتلكات العامة، إذ أنهم حين أصبحوا أغنياء، سهل عليهم التسلل إلى الوظائف في الدولة والتحالف مع أكبر العائلات الإسبانية آنذاك، حتى أصبح عدد منهم يشغلون وظائف وزارية، ولما استحكم أمرهم وسيطروا على التجارة تسببوا في تجويع السكان[4].

1- 76م- 138م، وقد خلف أباه بالتبني الإمبراطور تراجان بعد موته عام 117م.

2 - Garrot, H, Op.cit. p 12

3 - محمد دادة، اليهود في الجزائر في العهد العثماني (منذ مطلع القرن 18 حتى 1830م)، رسالة ماجستير. جامعة دمشق. 1985. ص 11

4 - Garrot, H, Op.cit. p 62

وتحت حكم الرومان، اختلفت أحوال اليهود كما ذكرنا سابقا، لكن الرومان عملوا على استخدام بعضهم حيث منحوا لقب إتنارك Ethnarque[1] لأصحاب الثروة والجاه منهم، وجعلوا صاحب اللقب مسؤولا عن الطائفة اليهودية، حيث يتكفل بجمع الضرائب من بني طائفته التي أحست ببعض الاستقلال الذاتي في تسيير شؤونها [2].

وكانت علاقة اليهود بالقبائل المحلية، تتسم بنوع من التفاهم، إذ تمت المتاجرة بين الطرفين، وخرج اليهود إلى فضاء البحر المتوسط، يتاجرون مع المدن المتوسطية خاصة الإيطالية.

لما دخل الوندال بلاد المغرب، عرف اليهود نوعا من الحرية، جعل استقرارهم يتكرس أكثر، ذلك أن الوندال كانوا أعداء للكاثوليك، فحدث تقارب بينهم وبين اليهود، الذين عرفوا كيف يستغلون قدراتهم لخدمة الوافدين مقابل احتكارهم للتجارة، وتحقيق الأرباح الطائلة [3]، فكانت هذه الظروف الملائمة قد شجعت يهودا آخرين على القدوم إلى الجزائر، في ظل الأخبار التي وصلتهم، والتي مفادها أن اليهود صاروا يحيون حياة حرة، فانتشروا في البلاد وتوغلوا في الصحراء.

ولما حل البيزنطيون بشمال إفريقيا انتهت الامتيازات اليهودية، فقد أجبر اليهود على اعتناق المسيحية بالقوة، وحولت معابدهم إلى كنائس، وهو ما جعلهم يفرون نحو المناطق الداخلية ويتفرقون في الأرض.

ويشير إيبزنبيث أنه مقابل التضييق الذي شهده اليهود تحت حكم الإمبراطور البيزنطي جوستينيان Justinien (527م -565م) شهدوا متسعا من الترحيب لدى الأمازيغ في شمال إفريقيا جعلهم يتوغلون حتى المناطق الداخلية [4].

1- Ethnarque أو Ethnarch كلمة يونانية تتألف من شطرين؛ إيتنوس وتعني القوم، وآرخ بمعنى الرئيس أو الحاكم ومعنى الكلمة بالعربية رئيس القوم، وهو لقب كان يمنح لرئيس الجماعة اليهودية في الإسكندرية، وكانت له صلاحيات قضائية وإدارية واسعة من أهمها جمع الضرائب.

2 - محمد دادة، مرجع سابق، ص 14

3 - Garrot, H, Op.cit. p 28

4 - Eisenbeth, M, Op.cit. p 127

ويؤكد ذلك من خلال المناطق التي سكنوها، فقد استقروا في عنابة، سكيكدة، جيجل، بجاية، دلس، تنس، سرتا وتيمقاد وغيرها[1].

ورغم هذا التشدد البيزنطي، فإن الديانة اليهودية لم تنته، بل عمل أصحابها على نشرها بين الأمازيغ خاصة في الأوراس.

وقد تحدث المؤرخون عن اعتناق الكاهنة [2] وأبناء قبيلتها لليهودية، ومنهم ابن خلدون[3] ، ووافقه في ذلك أرنيست مرسيي Ernest Mercier [4] و قارو Garrot[5]، غير أن المسيري لا يعتبر مقاومة الكاهنة للفتح الإسلامي، وانهزامها عام 695م، دليلا قويا على قوة العقيدة اليهودية لدى هؤلاء، وإنما يدرجها ضمن سياق مقاومة القبائل الوثنية للإسلام لذلك يقول: " ونحن لا نعرف كثيرا عن نوع اليهودية التي كانت تتبعها الكاهنة، بل إن بعض المؤرخين يشككون أصلا في انتمائها اليهودي ، لكل هذا يكون الحديث عنها باعتبارها عبقرية يهودية أمرا ليس ذا قيمة تذكر "[6]

وقد صارت قبيلة جراوة تعتلي القمة " عند الكتاب اليهود، بما نسجوا حولها من أساطير، استنادا إلى مقولة ابن خلدون، وغالوا في شططهم حين قلدوا الكاهنة، زعيمة القبيلة، ملكة يهودية، في جبال الأوراس، ذات أصول فلسطينية" [7]

كما رد عثمان سعدي رأي الكاتبة الفرنسية جيزيل حليمي التي دافعت فيه عن يهودية الكاهنة، حيث كتب في جريدة القدس العربي بتاريخ 2007/06/23 يقول: "فقد أصدرت المحامية اليهودية الفرنسية من أصل تونسي جيزيل حليمي، سنة 2006، رواية عنوانها (الكاهنة) طبعتها الدار الفرنسية المشهورة Plon زعمت أن الكاهنة يهودية، وهو كذب

1- Eisenbeth, M, Le judaïsme nord africain, Constantine: Edition P, Braham, 1931. p 09

2 - اسمها ضميا أو ضحيا أو دهيا، وهي محاربة من قبيلة جراوة في جبال الأوراس، وهي فرع من قبيلة زناتة تهود في القرن 7م قبيل الفتوحات الإسلامية.

3 - عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت: دار الكتاب اللبناني. 1959. ص 214

4- Mercier, E, Histoire de l'Afrique Septentrionale, Paris: Ernest Leroux, 1888. p 213

5 - Garrot, H, Op.cit. p.p 17 -18

6 - عبد الوهاب المسيري، مرجع سبق، الجزء 2، ص 62

7- عبد الرحمن بشير، اليهود في المغرب العربي، 22-462ه/ 642-1070م، الهرم: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. 2001. ط 1. ص 64

وافتراء، ويبدو أن يهودية حليمي تغلبت على تقدميتها، فأبرزت الكاهنة كيهودية، بينما يجمع المؤرخون العرب المسلمون الذين أرخوا لها بمن فيهم العلامة ابن خلدون على أنها كانت وثنية تعبد صنما من خشب، وتنقله على جمل، وقبل كل معركة تبخّره وترقص حوله، ولو كانت يهودية لروى عنها ذلك الرواة المسلمون، على أنها من أهل الكتاب" [1]

لما دخل الإسلام شمال إفريقيا صار اليهود جزءا من المجتمع الإسلامي، رغم الخلافات العقيدية الواضحة. فلم يجبر اليهود على ترك ديانتهم واعتناق الإسلام، وإنما حفظت لهم حقوق متعلقة بحرية العقيدة، على أن يلتزموا في – المقابل- بما أقره الإسلام من جزية يدفعونها للدولة الإسلامية، في مقابل حمايتها لهم. كما كان عليهم الالتزام ببعض الضوابط داخل المجتمع، حيث حرمت عليهم ممارسة ما من شأنه إفساد أخلاق الناس، كالزنا والربا وبيع الخمر.

ورغم كل ما قيل عن اضطهاد اليهود في المجتمع الإسلامي في شمال إفريقيا [2]، فإن الإسلام في الجزائر قد كفل لهم حرية تنظيم علاقاتهم الداخلية، تحت رئاسة زعماء الطائفة في إطار حقوق أهل الذمة، حيث تمكنوا من مزاولة شعائرهم، وتعليمهم، ونشاطاتهم الاقتصادية بحرية تامة. ورغم أن المطلوب منهم لم يكن أكثر من دفع الجزية والتقيد بضوابط المجتمع، فإنهم كثيرا ما تهربوا من دفعها [3].

1- القدس العربي، عدد 23- 06 -2007

2 - حينما يتحدث Garrot في كتابه Les juifs algériens, leurs origines عن اليهود في غير المجتمع الجزائري، ينعتهم بكل الصفات الذميمة، بل يجعلهم سبب المآسي التي عاشتها شعوب بكاملها، مثل مصر القديمة (ص12).

لكنه حينما يتحدث عن وضعهم في المجتمع الجزائري يظهر شقاءهم وتعاستهم والظلم الواقع عليهم، كأن يتحدث مثلا عن المرأة اليهودية التي لم يكن باستطاعتها – حسب زعمه – أن ترد مسلما يريد أن يقضي منها حاجة جنسية (ص 43) ، أو كأن يقول على لسان الجزائريين " إن اليهودي لم يكن خيرا من الكلب " (ص 44)

3 - معلوم أن الجزية لم تكن مفروضة على فقراء أهل الذمة، وإنما على أغنيائهم، ورغم ذلك حاول بعض اليهود تزوير وثيقة عام 1015ه / 1606م، بمكناس، ادعوا فيها إسقاط النبي صلى الله عليه وسلم للجزية، التي كانت مفروضة عليهم.

يراجع:

عبد الرزاق بن حمادوش، لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال ، (رحلة ابن حمادوش): تقديم وتحقيق وتعليق أبي القاسم سعد الله، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. 1983. ص 64

وقد صار لليهود حق التواجد بالجزائر دون معارضة لا من السكان ولا من أنظمة الحكم التي تعاقبت على البلاد منذ الفتح الإسلامي، " فليست هناك مدينة في الداخل، لا تحوي يهودا ضمن سكانها، فهم في كل المدن المبعثرة في الصحراء؛ في تقرت، وفي بوسعادة، وفي وادي ميزاب... وقد استقرت عدة عائلات يهودية ضمن قبائل جزائرية حيث تعيش حياة عادية " [1].

كما اتخذ اليهود بعض المدن الساحلية، مراكز تجارية يزاولون التجارة انطلاقا منها مع مدن البحر المتوسط خاصة الإسبانية. وكانت تلمسان – المدينة الداخلية – تحوي جالية يهودية قديمة تتعامل مع اليهود في مايوركة، التي تصلها المواد المختلفة القادمة من إفريقيا السوداء [2].

صار هؤلاء اليهود يعرفون بالتوشابيم، ومعناها بالعبرية " الأهالي "، وهم الذين كان وجودهم بالجزائر قديما .

ورغم الانصهار الاجتماعي الذي وقع بينهم وبين غيرهم من الجزائريين، فإن اختلاف التعاليم الدينية والطبائع النفسية المكتسبة منها، جعلهم يحافظون على المعالم الكبرى للشخصية اليهودية.

1- 2- الهجرات الحديثة (هجرات الميغوراشيم):

1- 2 - 1- أحوال اليهود في أوربا :

كان اليهود في أوربا يعيشون حياة مزرية، يميزها القهر وقلة حرية التدين، أما التدخل في السياسة، فكان أبعد شيء يمكن أن يحلم به يهودي. ولذلك كان رد فعل الأقليات اليهودية في أوربا، هو التحركات السلبية، كممارسة الربا، ومحاولة الحصول على الأراضي من الفلاحين، الذين يقعون ضحية لممارساتهم الربوية.

---

1 - Rozet et Carette, L'Algérie par MM. Les capitaines du Génie Rozet et Carette, Paris: Firmin Didot Frères. 1850. p 214

2 - محمد دادة، مرجع سابق، ص ص 19 - 20

ففي 1287م قرر ألفونسو الثالث [1] حاكم أراغون فرض المسيحية الكاثوليكية على سكان المقاطعة، وهو ما لم تتقبله الطوائف الأخرى، لذلك بدأت هجرة اليهود نحو شمال إفريقيا، وهي هجرة تعززت بعد انتشار العنف ضدهم في مناطق إسبانية واسعة.

ولما قرر فرديناند [2] وإيزابيلا [3] طرد اليهود والمسلمين من إسبانيا عام 1492م، فر اليهود جماعات إلى المغرب الإسلامي، تشجعهم في ذلك الأخبار التي تأتيهم من إخوانهم من هناك وتصف لهم التسامح الذي يعيشون فيه، في ظل الأنظمة الإسلامية، التي حاولت توظيفهم في المجتمع، باعتبار الحاجة إليهم، ليساهموا في تنشيط الحياة الاقتصادية، نظرا لمعرفتهم بالتجارة والعملة وحرف أخرى كثيرة [4].

وفي بريطانيا أمر الملك جون عام 1230م بمعاقبة اليهود، بسبب ممارستهم للربا وعمليات السرقة التي مست العملة آنذاك، ولذلك صادر ثلث أموالهم المنقولة، ورغم هذا لم يتوقفوا عن تلك الممارسات، إذ استغلوا فقر الفلاحين ليستولوا على أراضيهم، ولهذا طردهم الملك إدوارد الأول (1272م – 1307م) من بلاده، بعد ما أصدرت المحكمة حكما بإعدام 200 يهودي، لأعمالهم التي لم يقبلها المجتمع البريطاني [5].

1- يعرف بألفونسو الرائع (1265م – 1291م) وقد تولى الحكم بين 1285م – 1291م

2- 1452م – 1516م

3- 1451م – 1504م

4 - محمد دادة ، مرجع سابق، ص ص 20 – 23

5 - فوزي سعد الله، يهود الجزائر، هؤلاء المجهولون، الجزائر: شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع. 2004. ط 2. ص 210، لكن المعلوم أن الملك الذي حكم بريطانيا بين 1216م و 1272م هو هنري الثالث الابن الأكبر للملك المعروف بـ جون بلا أرض (John Sans Terre أو John Lackland)

كان اليهود إذا في أوربا منبوذين، بعيدين عن كل ممارسة للسياسة، يعيشون في أحياء خاصة بهم، بل وكانوا متهمين بقتل الأطفال المسيحيين، كجزء من الطقوس الدينية اليهودية، ورغم بعض المحاولات التي تمت في بريطانيا في منتصف القرن 17م ، وبداية القرن 18م، لدفع التهمة عنهم، ومحاولات أخرى لتجنيسهم [1]، إلا أن جميعها باء بالفشل [2].

كما لم يكن بمقدور أي يهودي في فرنسا قبل 1789م امتلاك شيء [3]، فلم يكن مسموحا لهم باستخدام الخدم المسيحيين، ولا بالتدريس في المدارس الفرنسية، ولا بشغل أية وظيفة في الجيش، ولا بالانضمام إلى البرلمان أو سلك القضاء، حتى أنهم منعوا من العمل كعطارين أو صيادلة أو مستخدمين في الفنادق، من شدة خوف الفرنسيين من أن يدس لهم يهودي السم، فإذا تجرأ أحدهم وزاول إحدى هذه الأعمال، كانت عقوبته الموت[4].

وتجدر الإشارة إلى أن حملة لمطاردة اليهود في إسبانيا بدأت عام 1375م، لتشتد أكثر عام 1391م، بصدور قرارات طرد متوالية. وقد وقعت أعمال عنف راح ضحيتها

1- نذكر في هذا الإطار محاولة زعيم بريطانيا كروMويل (1599م – 1658م) الاستفادة من خبرات اليهود التجارية، وبعث بعضهم إلى فلسطين كتجربة استيطانية، كما نذكر مطالبة جوسيا تشايلد رئيس شركة الهند الشرقية عام 1693م بإعطاء الجنسية لليهود الموجودين في إنجلترا، وكان هذا في إطار النقاش الذي احتدم في أوربا آنذاك حول نفع اليهود وضررهم.

للاستزادة في هذا الموضوع يراجع:

أمين عبد الله محمود، مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، الكويت: منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. 1984. ص 12

عبد الوهاب المسيري، مرجع سابق. الجزء 3. ص 49

2- ماتيو أندرسون، تاريخ القرن الثامن عشر في أوربا، تعريب نور الدين حاطوم، دمشق: دار الفكر. ط 1. 1977. ص 456

3- استطاع بعض اليهود أن يصلوا في فرنسا على عهد الملكية إلى مناصب عليا مثل اليهودي شولديرو دي لاكوس مدير القصر الملكي، واليهودي نيكر الذي صار وزيرا للمالية في عهد لويس السادس عشر، وهو الذي أغرق البلاد في الديون حتى وصلت إلى 170 مليون جنيه استرليني، تمهيدا لإثارة الجماهير ضد الملك.

عبد الله التل، مرجع سابق. ص ص 14- 15

4 - Garrot, H, Op.cit. p 60

كثير من اليهود، بدأت في مدينة اشبيليا، ثم توسعت إلى قرطبة ومدريد وغيرها من المدن الإسبانية [1].

ورغم هذه الأحداث، ظل اليهود يتنقلون بين المغرب الإسلامي وبعض مدن شبه جزيرة إيبيريا، خاصة وقد سمح المجلس العام لمدينة بالما Palma، عام 1416م ليهود تلمسان بالإقامة في هذه الجزيرة، لكن عام 1492م حمل معه الطرد النهائي لليهود من إسبانيا [2]، بعد سقوط غرناطة وعزم الإسبان على شن حرب الاسترداد.

وإذا كان اليهود الأهالي، يعرفون بالتوشابيم، فإن الوافدين من أوربا سموا بالميغوراشيم، وهم ينقسمون إلى سفارد وأشكيناز.

1- 2- 2 - الميغوراشيم:

كانت الأوضاع المزرية، المشار إليها أعلاه بإيجاز، وراء هجرة اليهود الميغوراشيم إلى بلاد المغرب. ولفظة ميغوراشيم عبرية معناها المطرودون، وينقسم هؤلاء إلى:

1- 2- 2- 1- السفارديم:

هي الأصل العبري لمصطلح سفارد، التي تعني إسباني أو إسبانيولي، كما تعني فرانك Franc التي تقابل في العربية لفظة " الفرنجة ".

وقد صارت كلمة سفارد منذ القرن 8م، هي الكلمة العبرية المستخدمة للإشارة إلى إسبانيا، وتستخدم في الوقت الحاضر للإشارة إلى اليهود الذين عاشوا أصلا في هذا البلد وفي البرتغال [3].

---

1 - Abitbol, M, Le passé d'une discorde, Juifs et Arabes du II siècle à nos jours, Perrin: 1999. P 72

2 - فوزي سعد الله، مرجع سابق. ص 199

3 - عبد الوهاب المسيري، مرجع سابق. ج 6. ص 168 وما بعدها، بينما يذهب ناصر الدين سعيدوني إلى أن السفارديم هم مسلمو الأندلس

ينظر:

ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب. 1984. ص 146

ورغم أن اليهود عاشوا في الأندلس وتكلموا العربية، إلا أن استعادة المسيحيين لأقاليم الأندلس، جعلتهم يأخذون الصبغة الإسبانية ، ويتحدثون لهجة اللادينو [1] الإسبانية، وحينما تم طردهم من الأندلس كانوا سفارد لهذه الاعتبارات.

اختار هؤلاء الحواضر الكبرى في الجزائر كمدينة الجزائر، تلمسان، بجاية، وهران بينما اختارت قلة منهم المناطق الداخلية [2].

وتجدر الإشارة إلى أن خير الدين، شجع هجرة اليهود إلى بلاد المغرب، لكنه اشترط عليهم ألا يفتحوا إلا عددا معينا من المحال التجارية [3]، ورغم ذلك وجد فيهم العثمانيون حليفا معتبرا في الصراع ضد إسبانيا، خاصة فيما يتعلق بتنشيط الصناعة، وميدان العملة باعتبار رصيد اليهود المعرفي بهذه الجوانب.

1- 2- 2 -2- الأشكيناز:

إن لفظة " أشكيناز" حسب الرواية التوراتية، اسم لأحد أحفاد نوح عليه السلام، أما الاشتقاق الحالي لهذه اللفظة فهو من كلمة " إشكيناز" بمعنى ألمانيا وتطلق على اليهود الذين كانوا يعيشون في ألمانيا وفرنسا ومعظم أوربا [4].

---

1 - اللادينو تحريف لكلمة اللاتينو، وهي لهجة إسبانية، عبارة عن خليط من العبرية والتركية واليونانية والإسبانية والبرتغالية، وما زالت تستخدم إلى اليوم كلهجة عند بعض اليهود في إسرائيل، لكنها تكاد تختفي.

للاستزادة في هذا الموضوع، ينظر:

عبد الوهاب المسيري، مرجع سابق. الجزء 3. ص 476

2 - قدر Garrot عدد الذين وفدوا عام 1391م من اسبانيا ب 45 ألف عائلة ، وتحدث سعيدوني عن 150 ألف شخص استقر أغلبهم بالبلاد الجزائرية .

ينظر :

Garrot, H, Op.cit. p 38

ناصر الدين سعيدوني، "يهود الجزائر وموقفهم من الحركة الصهيونية". الثقافة. العدد 77. 1983م. ص 108

3 - محمد دادة، مرجع سابق. ص 32

4 - عبد الوهاب المسيري، مرجع سابق. ج 6. ص 168

وقد التحق الأشكيناز منذ قرون بالجزائر، حيث قدموا من إيطاليا عام 1392م، هولندا عام 1350م، فرنسا عام 1403م، إنجلترا عام 1422م، ومن تونس والمغرب في النصف الثاني من القرن السادس عشر [1].

1-2- 3- القرانا " يهود النصارى ":

يقصد بهم اليهود الذين قدموا من توسكانا، خاصة من مدينة ليفورن، تمركزوا في المدن الكبرى، وقد استقدموا معهم ثرواتهم وخبرتهم في معرفة الأوربيين والملاحة البحرية، واطلاع بعضهم على السياسات الأوربية، واكتسابهم لصداقات قربتهم إلى مراكز القرار في أوربا، وهو ما سيستخدمونه تدريجيا في الإيالة ليحققوا نفوذا سياسيا، يكون له أثر بالغ على مستقبلها كله.

وقد تحدث لوجيي دو تاسي Laugier de Tassy عن وجود يهود من إيطاليا في كل مدن مملكة الجزائر، وهم الذين يسمون اليهود الأوربيين، وقد صاروا أصحاب التجارة الرئيسية في المملكة، سواء تعلق الأمر بالسلع أو بالعبيد[2].

ولم يكن انتقال يهود ليفورن إلى الجزائر ارتباطا بوطن، وإنما رغبة في تحقيق الربح حتى أن بعض العائلات اليهودية لم تهاجر إلى الجزائر، وإنما هاجر رأسمالها وتكفل بعض أبنائها أو وكلائها بالإشراف على مصالحها في الإيالة. فقد تشبث حاييم ألييزار Haim Aliezar بالبقاء في ليفورن، بينما قدم ابنه صلومون ليفي Salomon Levi إلى الجزائر يرعى مصالح أسرته بها [3]

ويؤكد دو تاسي de Tassy هذه النظرة إذ اعتبر اليهود الأوربيين تجارا أجانب، ورعايا لأمراء البلدان التي قدموا منها، وكان باستطاعتهم مغادرة البلاد في أي وقت شاؤوا ما لم تكن عليهم ديون [4].

---

1 - فوزي سعد الله، مرجع سابق. ص 144

2 - L. de Tassy, Histoire du Royaume d'Alger, Amsterdam: Henri du Sauzet. sans date. p 76

3 - فوزي سعد الله، مرجع سابق. ص 223

4 - L. de Tassy, Op.cit. p 76

وجدير بالذكر أن بعض اليهود القادمين من ليفورن، كان أجدادهم موجودين بالجزائر سابقا. فبعد أن ساهم اليهودي سطورا [1] في فتح أبواب مدينة وهران – بمساعدة بعض سكانها المسلمين – أمام جنود إسبانيا عام 1509م، تنكر الإسبان لليهود، حيث جعلوهم يعانون من الاحتلال بشكل فظيع من خلال الضرائب التي فرضت عليهم. ورغم أنه سمح لهم بالبقاء في المدينة، إلا أن العسكري لوس فيليز Los Velez أمر يوم 22 ماي 1666م[2] بطرد 500 يهودي من وهران [3]، ولم يسلم يهود بجاية – تحت الحكم الإسباني - من الضرائب، بل لقد بيع بعضهم كعبيد [4].

توجه بعض المطرودين من وهران إلى ليفورن، لكنهم وجدوا الفرصة مواتية للعودة إلى ذات المدينة، بين 1708م – 1732م خلال الفترة التي عادت فيها إلى حظيرة الحكم العثماني.

1- تجدر الإشارة إلى أن برجا بني عام 1509 في المنطقة التي دخل منها الإسبان إلى وهران، على لسان بري في البحر، وسمي برج اليهودي، نسبة إلى المكاس اليهودي شطورا الإشبيلي، بسبب خيانته لوهران وأهلها.

يراجع:

الآغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق ودراسة يحيى بوعزيز، بيروت: دار الغرب الإسلامي. 1990. ص 62

محمد بن ميمون، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. 1981. ص 221

2- تصرفات اليهود الملتوية جعلت الإسبان يصدرون يوم 31 مارس 1668م، قرارا بطردهم من المدينة، وفي 22 أفريل 1669م، تم ترحيل 446 يهوديا، نزل بعضهم في ليفورن، بينما مضى آخرون إلى فرنسا، لينزلوا بنيس وفيل فرانش Villefranche.

يراجع:

Aissa Chenouf, les juifs d'Algérie ; 2000 ans d'existence, Alger: el Maarifa 1ère édition. sans date. p.p 45-46

3 - Eisenbeth, M, Les juifs en Algérie … p 141

4 - نجوى طوبال، طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر (1700م – 1830م) من خلال سجلات المحاكم الشرعية، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر. 2004 – 2005. ص 45

ومما ساهم أكثر في تهافت اليهود على مدينة ليفورن التجارية، إصدار حاكم توسكانا فرديناند الثاني، ميثاق ليفورنانا Livournana (Livornana) عام 1593م، الذي سمح بموجبه للتجار الأجانب ومنهم اليهود، بالإقامة في موانئ بيزا Pize وليفورن [1].

وإذا كان هدف توسكانا، الاستفادة من حركية تجارية يصنعها اليهود في الموانئ الرئيسية، بحكم معرفتهم بالتجارة، فإنهم في المقابل وجدوا الفرصة سانحة للبحث عن الثروة.

ورغم السمعة السيئة التي التصقت باليهود الليفورنيين لدى معظم الأوربيين [2]، فإن المجال فتح أمامهم واسعا في الجزائر، ليمارسوا الأنشطة المختلفة، بما فيها التجارة الخارجية، ومن هؤلاء عائلات صارت معروفة إلى حد الشهرة، مثل سطورا، بوشناق، وبكري وغيرها.

2- تعداد اليهود بالجزائر:

إذا كان الحاخام اليهودي جورج فيربو Georges Virebeau قد أحصى عدد يهود الجزائر عام 1937م، فجعله 60000 نسمة، موجها إهانة إلى النساء المسلمات وحتى المسيحيات، بقوله: " دون أن نعد اللقطاء الذين أنجبتهم نساء الغوييم [3] من إخواننا [4] " فإن عدد اليهود لم يصل إلى هذا الحد خلال القرون الثلاثة التي سبقت الاحتلال الفرنسي للجزائر.

1 - رحمونة بليل، العلاقات التجارية لإيالة الجزائر مع بعض موانئ البحر المتوسط؛ مرسيليا وليفورن، 1700 – 1827 ، مذكرة ماجستير، جامعة وهران. 2001 – 2002. ص 131

2 - رحمونة بليل، نفسه. ص 127

3 - الغوييم هم غير اليهود

4 -Virebeau, G, Algérusalem, l'Algérie terre juive, Leçon d'Histoire algérienne d'un Rabbin à son fils, Alger: A Joyeux. 1937. P 04

فقد ذكر ماسون Masson أنه في إحصاء تقديري لسكان مدينة الجزائر عام 1621م كان العدد الإجمالي 160000 نسمة، منهم 97000 من الأهالي، 30000 من الأتراك، و10000 يهودي [1].

وإذا كان كل من محمد دادة [2] ونجوى طوبال [3] قد لخص آراء المؤرخين حول أعداد اليهود في مدينة الجزائر، مثل هايدو Haedo، نايت Knight، شو Shaw، دو تاسي De Tassy، ماسون Masson، دو بارادي De Paradis وغيرهم، فإن إيزنبيث Eisenbeth [4] قد لخص بدوره هذه الآراء، لكنه تحفظ بشكل كبير على الأرقام المقدمة ولعل السبب في ذلك يعود إلى تقاربها أحيانا وتباعدها أحيانا أخرى.

فبينما وجد إيزنبيث في وثيقة أخذها من الأرشيف الفرنسي les Archives de la Mission، تعود إلى الفترة ما بين 1616م – 1660م، أن عدد اليهود في الجزائر تراوح بين 8000 نسمة و 9000 نسمة، قدر دارفيو d'Arvieux عددهم لعام 1674م ما بين 10000 نسمة و 12000 نسمة، وهي أرقام متقاربة إلى حد كبير، لكننا نجده يذكر إحصائية ماسون Masson لعام 1724م، التي قدرت عددهم بـ 5000 نسمة، ويردفها بإحصائية دو تاسي De Tassy التي مفادها أن عدد الأسر اليهودية كان 5000 عائلة عام 1725م، وفي هذا تفاوت بالغ.

ونلاحظ أن عدد اليهود قد تزايد خلال القرن 18م، لاسيما النصف الأول منه، ولعل ذلك يعود إلى أعداد الوافدين من أوربا خاصة من ليفورن.

لكن النصف الثاني من القرن 18م، حمل معه تراجعا في عدد يهود الجزائر، ولعل ذلك يعود إلى:

---

1 -Masson, P, Histoire des établissements et du commerce français dans l'Afrique Barbaresque (1560 – 1793) (Algérie, Tunisie, Tripolitaine, Maroc), Paris: Librairie Hachette et Cie. 1903. P 154

2 - محمد دادة، مرجع سابق. ص 32. ص 40

3 - نجوى طوبال، مرجع سابق. ص 49

4 - Eisenbeth, M, Les juifs en Algérie … p 150

ا – التغيرات التي عرفها البحر المتوسط، خاصة تراجع نشاطات الأسطول البحري الجزائري، الذي كان يوفر المادة الخام للأنشطة اليهودية، ونقصد بذلك الأسرى، والغنائم التي كانت تباع فتوفر سلعا يتاجر بها اليهود.

ب – من جهة أخرى، لا ينبغي إغفال تأثير الظروف الصحية على مجموع سكان الجزائر بمن فيهم اليهود، فمرض الطاعون الذي أصاب المنطقة عامي 1787م – 1788م أدى إلى موت 1771 يهودي [1].

أما طاعون مدينة الجزائر [2] لعامي 1793م – 1794م، فكان تأثيره على السكان كبيرا ، ومنهم اليهود ، وانتشر في مناطق عديدة. فقد تم توجيه رسالة إلى القنصل الفرنسي فالبير Vallière[3]، وجدت في محفوظات الوكالة الإفريقية، جاء فيها : " إن الطاعون ما زال يقتل ما بين 50 و 150 شخصا يوميا في قسنطينة، ولا نعرف مدى الخسائر التي يحدثها في النواحي الأخرى من المقاطعة " [4]

ج – ثم إن الظروف السياسية التي عاشتها البلاد في بداية القرن 19م، خصوصا الثورة على اليهود[5]، جعلت كثيرا منهم يغادرون البلاد، كما حدث مع 200 عائلة يهودية هاجرت إلى ليفورن، ومنهاعائلتا بكري وبوشناق، اللتان فرتا على متن سفينة سويدية، في حين هاجرت 100 عائلة إلى تونس [6]، ناهيك عن الذين لاقوا حتفهم في هذه الأحداث، فقد

---

1 - أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني، 1519 – 1830، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر 2006 – 2007. ص 295

2 - للاستزادة في موضوع ديمغرافيا مدينة الجزائر، يراجع:

عائشة غطاس، "من أجل إعادة النظر في البنية الديمغرافية لمجتمع الجزائر، معطيات مستقاة من الوثائق المحلية"، إنسانيات، العددان 19- 20، جانفي – جوان 2003، ص ص 33 – 44

3- تقلد منصب قنصل فرنسا بالجزائر عام 1763م.

يراجع:

Masson, P, Op.Cit. p 574

4 - محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري؛ 1792 - 1830، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب. 1984. ط 2. ص 51

5- نقصد ثورة 1805م، التي سنعود إليها بإسهاب لاحقا في المتن (ص141 وما بعدها).

6- سعيدوني والمهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ؛ العهد العثماني، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب. 1984. ص 104

قتل منهم 200 شخص [1]، بينما فر الكثير منهم إلى القنصلية الفرنسية، حيث تدخل القنصل دوبوا تنفيل Dubois Tainville لحمايتهم .

ونتيجة لهذه العوامل، تراجع العدد الإجمالي ليهود الجزائر، ففي مدينة الجزائر كان العدد الإجمالي لليهود في حدود 5000 نسمة حسب شالر بين 1822م – 1824م [2].

3- العلاقات اليهودية

3-1- العلاقات اليهودية اليهودية:

رغم أن وجود اليهود التوشابيم بالجزائر يعود إلى قرابة 3000 سنة، فإن الميغوراشيم القادمين من أوربا صاروا أكثر تحكما فيهم باعتبار أنهم حملوا معهم آليات التنظيم، خاصة من الأندلس، وفي هذا الصدد نذكر تأثير الحاخامين الميغوراشيميين ريباش وراشباش .

وريباش هو إسحاق برشيش أو بارشيشهث Bar-schescheth، وهو كبير أسرة ابن دوران [3]. وقد اختلف في تاريخ ميلاده ووفاته، والشائع أنه ولد عام 1326م وتوفي عام 1442م [4]، وكان ميلاده ببرشلونة حيث اشتغل حاخاما ، ثم انتقل إلى مدن أخرى مثل سرقسطة، التي ترأس بها الطائفة اليهودية عام 1372م [5]، وبعد أحداث 1391م بإسبانيا قصد ريباش تلمسان، وصار بها الحاخام الأكبر، ثم انتقل إلى مدينة الجزائر التي تقلد بها منصب مقدم [6].

---

1 - الحاج أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر، تحقيق أحمد توفيق المدني، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. 1972. ص 88

2 - Shaler, W, Esquisse de l'Etat d'Alger, traduit de l'anglais et enrichi de notes par X, Bianchi, Paris: Ladvocat. 1830. p 90

3 - إسماعيل العربي، "دور اليهود في الدبلوماسية الجزائرية في أواخر عهد الدايات"، مجلة تاريخ وحضارة المغرب. العدد 12. 1974. ص 40

4 - حسب محمد دادة، فإن ميلاد ريباش كان عام 1310م ووفاته كانت عام 1408م .

ينظر:

محمد دادة، مرجع سابق. ص 21

5 - فوزي سعد الله، مرجع سابق. ص 151

6 - نجوى طوبال، مرجع سابق. ص 133

أما راشباش فهو سيمون بن سماح دوران[1] (1361م – 1444م)، اشتغل حاخاما في مايوركة حيث ولد، واضطرته أحداث 1391م، إلى الهجرة إلى الجزائر.

وفي 1394م، سن ريباش بمساعدة راشباش مجموعة من القوانين، تخص الأحوال الشخصية والمعاملات الاقتصادية لليهود، والتي لم يكن التوشابيم يعرفونها، فكان ذلك بداية لمواجهة واضحة بينهم وبين الميغوراشيم، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار، تلك المكانة التي كانت للحاخامات، والتي تأثرت حتما بهذه الإجراءات الإصلاحية الجديدة، التي كان هدفها الظاهري تحسين ظروف اليهود الثقافية والاجتماعية ، وتنظيم حياتهم في الجزائر.

فقد منعت هيبة التمثيل الديني، التي تمتع بها الحاخامات، بقية اليهود من رفع أصواتهم مطالبين بالتغيير، حتى إذا جاءت الإصلاحات الجديدة، صارت قرارات الحاخام محل مناقشة، واستبداده محل مقاومة [2]، ذلك أن القادمين من إسبانيا شكلوا نظاما مختلفا، حيث أنشأوا مجلسا تتم رئاسته بالتناوب، وهو الذي فرض على اليهود دفع رسوم دينية على استهلاك اللحم والخمر، وتقديم اشتراكات أسبوعية وشهرية، لدفع أجور هؤلاء الموظفين[3].

ولا شك أن المستوى الثقافي للميغوراشيم هو الذي أهلهم لذلك، فقد عاشوا في الأندلس حيث الحضارة الإسلامية بعلمها وعمرانها، واقتصادها ومعاملاتها المالية، وانعكس ذلك كله على الفكر اليهودي بالجزائر، حتى إذا طرد اليهود من الأندلس، ووصلوا إلى شمال إفريقيا، وجدوا بني دينهم على مستوى غير الذي ألفوه هنالك، فكان تقلدهم للمناصب الحاخامية، نوعا من رد الفعل ضد هذه الوضعية، التي لم تكن في نظرهم سوية، ومن هنا كان الصراع بهدف إخضاع الطائفة المحلية للطائفة الوافدة.

وقد عبر فوزي سعد الله عن ذلك بأن " الكتاب اليهود لا يتحدثون عن مسخ ثقافي أو عن انقلاب سياسي– ثقافي بخصوص تغريب أو تغرب يهود الجزائر، بل يتكلمون عن ذوبان عفوي للتوشابيم في الثقافة الميغورشيمية، ثم اندماج الاثنين معا في الثقافة

---

1 - هو خليفة ريباش، ينظر: إسماعيل العربي، مرجع سابق. ص 40

2- Eisenbeth, M, Les juifs en Algérie … p 130

3- Eisenbeth, M, Les juifs en Algérie .... p 130

الليفورنية، لتكتمل عملية التغريب أو التغرب مع الاندماج في الثقافة الفرنسية، التي لا ينظرون إليها كثقافة المحتل، بل كثقافة عالمية ناشرة للحضارة، ويفسرون هذا الاندماج العفوي، حسبهم، للتوشابيم في الميغوراشيم، بتخلف الفئة الأولى بسبب جزائريتها وانحرافها لذلك عن اليهودية الصحيحة خلال قرون إقامتها بالجزائر، مقابل تقدم وتحضر الميغورشيم والليفورنيين، بفضل ثقافتهم الغربية، لذلك فهم يعتبرون تغريب التوشابيم صحوة ثقافية، وتصحيحا لمسار اليهود الأهالي الثقافي، وعودة طبيعية إلى الأصول اليهودية الصحيحة"[1]

وإذا كانت الشريعة اليهودية قد عرّفت اليهودي بأنه كل من ولد لأم يهودية، أو كل من تهود [2]، فإن اليهود في الجزائر لم يشكلوا كتلة بشرية متماسكة، لها رؤية مشتركة وأسلوب حياة مشترك، بقدر ما كونوا جماعات يهودية انتشرت في البلاد، دون روابط حقيقية توحد بينها. ولذلك حاول ريباش حل هذه الإشكالية من خلال تنظيم جديد للطائفة اليهودية، حتى وإن أدى ذلك إلى قيام صراع بين العناصر المحلية والعناصر الوافدة، كما أشرنا سابقا.

وإذا كان المؤرخون، من جهة أخرى، يتحدثون كثيرا عن الفوارق بين الميغوراشيم والتوشابيم، فعلينا التنبيه إلى أن الميغوراشيم أنفسهم، الوافدين من أوربا، كانوا على خلاف كبير فيما بينهم، ذلك أن السفارد كانوا يعتبرون الأشكيناز أدنى منهم، حتى أنهم رفضوا الزواج منهم، وفصلوا معابدهم عن معابدهم، أما لغويا، فقد حاول السفارد فرض اللادينو ، وهي لغتهم، على بقيه اليهود.

وقد حدث هذا عموما " في الدولة العثمانية حين امتزج اليهود الروم واليهود المستعربة، باليهود السفارد، فأصبحت اللادينو هي اللغة السائدة بينهم، وقد حدث الشيء نفسه في شمال إفريقيا " [3]

لكن ينبغي أن ننبه هنا إلى أن يهود الجزائر لم يستخدموا اللادينو باستمرار، ولربما استخدمها بعض السفارد في بداية عهدهم بالجزائر، ولم يتكلموا حتى اللغة العبرية، وإنما

1- فوزي سعد الله، مرجع سابق. ص 148

2- عبد الوهاب المسيري، مرجع سابق. ج 6. ص 17

3- عبد الوهاب المسيري، مرجع سابق. ج 2. ص 171

درجوا على استعمال العربية كباقي أهل البلاد، لكنهم مزجوها ببعض المفردات التركية أو الإفرنجية، تأثرا بالتنوع العرقي آنذاك [1]، بينما اقتصروا على استخدام اللغة العبرية في المدارس [2]، التي وفروها لأبنائهم داخل معابدهم، لدراسة التاريخ وبعض الكتب الدينية ومبادئ الحساب الأساسية [3].

ونظرا للأهمية التي أصبح يتمتع بها اليهود الوافدون، فإن بعض يهود تونس كانوا يستشيرونهم في مسائل قضائية ولاهوتية، بل صارت لهم في هذا الجانب علاقات حتى مع يهود أوربا، دون أن ننسى علاقاتهم التجارية التي ظلت تتوسع باستمرار[4].

ورغم أن الاختلاف في الشكل يعتبر ثانويا إذا ما قورن بما هو أهم منه، إلا أنه يبقى ذا دلالة ، فقد ذكر روزي وكاريت Rozet et Carette أن اليهود الذين يعيشون ضمن قبائل جزائرية، كانوا يلبسون نفس أنواع الثياب التي يلبسها مضيفوهم[5]، وكانوا يضعون على رؤوسهم عمائم تمت نسبتهم إليها " حاملو العمائم "، بينما عرف اليهود القادمون من أوربا بحاملي القبعات [6].

---

1 - محمد دادة ، مرجع سابق. ص 66

2 - أرزقي شويتام، مرجع سابق. ص 344

3- يرى سعيدوني أن اكتساب اليهود لعادات وتقاليد الأهالي الجزائريين، جعلهم يتخذون اللغة العربية أداة تعبير، يستخدمونها في معاملاتهم اليومية وحتى في طقوسهم الدينية.

يراجع:

سعيدوني والمهدي البوعبدلي، مرجع سابق. ص 103

بينما يذهب جون وولف إلى أن اليهود استخدموا العبرية فيما بينهم، لكنهم استخدموا في حديثهم مع الآخرين، خليطا لغويا، إسبانيا برتغاليا إيطاليا فرنسيا، يعرف بلانقا فرانكا Lingua franca

يراجع

جون وولف، الجزائر وأوربا، ترجمة وتعليق أبي القاسم سعد الله، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب. 1986. ص 172.

غير أننا نلاحظ أن هذا المزيج اللغوي كان يستخدم في مدينة الجزائر وضواحيها، أما في باقي الأرض الجزائرية، فكانت العربية هي اللغة المشتركة، حتى وإن غلبت عليها العامية.

4 - محمد دادة، مرجع سابق. ص 27

5 - Rozet et Carette, Op.cit. P 215

6 - نجوى طوبال، مرجع سابق. ص 44

ونظرا لهذه الفوارق المختلفة، وجد اليهود فرصة للتملص من سلطة زعمائهم، وتمثل هذا التحرر، في تعدد المحاكم التي يمكن لليهودي أن يعرض عليها قضاياه، وهو ما رأى فيه سيمون بن سماح دوران تمردا على المؤسسة الدينية اليهودية، ولهذا طبق قانون الحرمان [1]، ليجبر اليهود على احترام المحاكم الحاخامية [2].

وبدلا من أن تؤدي هذه الإجراءات القمعية، إلى انضباط أكبر في صفوف اليهود، لجأ أغلبهم لاحقا إلى التقاضي أمام محاكم عثمانية، وجدوا فيها كثيرا من العدل، حين قارنوها بالمحاكم الحاخامية، التي كثيرا ما تميزت بالتعفن الإداري والرشوة والغش، رغم محاولات الإصلاح آنفة الذكر.

2-3- العلاقات اليهودية الإسلامية:

3-2-1- علاقات اليهود بالأهالي:

يكاد المؤرخون يتفقون على أن اليهود وجدوا في الجزائر ملاذا آمنا، منذ هجراتهم الأولى، وخلال هجراتهم المتأخرة، وقد تفرقوا في أرضها، حيث سكن بعضهم مدنها الساحلية، مثل الجزائر، وهران، جيجل، بجاية، عنابة، واختار بعضهم مدنا بالداخل لاسيما تلمسان وقسنطينة، بينما لجأ آخرون إلى الصحراء، فتفرقوا على واحاتها المتناثرة، حيث استقطبت واحات تقرت وتوات ووادي ميزاب أعدادا هامة منهم.

وقد عاش اليهود جنبا إلى جنب مع المسلمين، حيث تعرضوا معا لظروف سياسية واقتصادية صنعتها التحولات التي عرفتها منطقة البحر المتوسط، مثل حروب الاسترداد واحتلال الإسبان لوهران سنة 1509م، وحملة شارلكان على الجزائر سنة 1541م.

ورغم تمسك اليهود بشرائعهم ومعتقداتهم، إلا أن حياتهم ضمن المجتمع الإسلامي في الجزائر، جعلتهم يتأثرون بتفاعلاته على أكثر من صعيد.

فرغم أن الديانة اليهودية تمنع الرجل من أن يتزوج أكثر من امرأة، فإن كثيرا من اليهود خالفوا هذه القاعدة، تأثرا بالمجتمع الذي كانوا يعيشون فيه، والذي أحل الزواج بأربع نساء.

---

1 - قانون الحرمان (excommunication) يعرّض المخالفين إلى مقاطعة تامة، حيث يُمنع على الجميع الجلوس معهم، أو الحديث إليهم، أو الأكل أو الشرب معهم.

2 - Eisenbeth, M, Les juifs en Algérie … p 131

وكثيرا ما عاشت المرأة اليهودية محتقرة من قبل بني دينها، لا ترث ولا تُقبل لها شهادة ولا نذر، غير أن العدل الإسلامي في الميراث، جعل بعض اليهود يعيدون حساباتهم، فأنصفوا النساء بتوريثهن، وقبلوا شهادة المرأة، وسمحوا لها بامتلاك المنازل، وإن كان إبعادهم لها عن امتلاك المحلات التجارية أمرا واردا بوضوح، إلا إذا قبلت أن تشارك رجلا في ذلك [1].

وكان جوار المسلمين لليهود، وكثرة معاملاتهم في البيع والشراء، والاستدانة والإيجار وغيرها، مدعاة لحصول خلافات واسعة، تحل أحيانا على مستويات بسيطة، عن طريق التفاهم وتدخل بعض الوسطاء، بينما يصل الخلاف أحيانا أخرى، إلى عرض القضية أمام القضاء الذي يفصل فيها.

وقد اعتمدت نجوى طوبال على سجلات المحاكم الشرعية، في دراستها لوضع طائفة اليهود بمدينة الجزائر، واستخلصت من ذلك نعت المحاكم الشرعية للمسلم في عقودها بالسيد المكرم، ونعت اليهودي بالذمي [2] تمييزا لهذا عن ذاك.

وقبيل دخول العثمانيين إلى الجزائر، كانت قد وقعت أحداث في منطقة توات في القرن 9 ه / 15م، حيث أن محمد بن عبد الكريم المغيلي، الذي قدم من تلمسان إلى تمنطيط [3] عام 882 ه / 1477م، رأى أنها تحت سيطرة اليهود يتصرفون فيها كما يشاؤون، وكان السبب المباشر لهذه الأحداث، أنهم عمدوا إلى توسيع كنيستهم وتجديدها، دون الرجوع إلى السلطة التي كانت تحكم المنطقة، مما أدى إلى ثورة الرأي العام عليهم، حيث هدمت الكنيسة، وتم جلاء اليهود عن هذه المدينة [4].

لكن السبب البعيد الذي حرك المسلمين، وعلى رأسهم المغيلي[5]، ضد اليهود هو سيطرتهم على أهم المدن، وعلى التجارة والمال، مستخدمين ظاهرة الرشوة التي شاعت

1- نجوى طوبال، مرجع سابق. ص ص 105 - 107

2- نجوى طوبال، مرجع سابق. ص 23

3- تبعد عن مدينة أدرار بحوالي 12 كلم

4- المهدي البوعبدلي، "أضواء على تاريخ مدينة تمنطيط، ودور الإمام المغيلي بها في قضية يهود توات"، الثقافة. العدد 94. 1986. ص ص 86 – 91

5- اشتد المغيلي في مطاردة اليهود، ولم يتوقف حتى قتلوا ولده عبد الجبار، فعاد حزينا إلى توات، وبها توفي عام 909ه/ 1503م =

بينهم وبين مجموعة من أمناء الأسواق، وبعض المسؤولين، فسيطروا على تجارة السودان الغربي، حتى صارت أقمشة أوربا تصل عن طريقهم إلى تومبوكتو [1].

ورغم أن بعض اليهود كانوا قد دخلوا الإسلام سابقا، وكانوا يصومون رمضان، ويصلون في المساجد، إلا أنهم انضموا إلى بقية اليهود في أحداث تنمطيط هذه.

واختلف المسلمون، حتى علماؤهم، في الحكم على فتوى المغيلي، فبينما عارضه عبد الله العصنوني [2]، وقف إلى جانبه كل من محمد بن يوسف السنوسي [3]، ومحمد ابن عبد الجليل التنسي [4].

وتعتبر هذه المواقف ضد اليهود، حوادث فردية عابرة، ولا تنفي روح التسامح التي تعامل بها المسلمون معهم، بل تندرج ضمن إطار عام من ردود الأفعال المتشنجة التي اتخذت بسبب مواقف اليهود ذاتها، ذلك أنهم في الواقع حاولوا استغلال الظروف للتمكين لأنفسهم، فكثيرا ما استغلوا علاقاتهم بالحكام، فتجسسوا لصالحهم ضد الرعية.

ثم إن اليهود لم يعتبروا أنفسهم جزءا من المجتمع الجزائري، إلا بالقدر الذي يحقق مصالحهم، فلم يتورعوا عن احتكار التجارة، إلى درجة ضاقت معها أرزاق الناس، وأصابتهم المجاعات، وارتفعت الأسعار، وعانوا من ندرة المواد الأساسية.

= محمد عطا شحاتة، اليهود في بلاد المغرب الأقصى، في عهد المرينيين والوطاسيين، دمشق: دار الكلمة للطباعة والنشر والتوزيع. 1999. ط1. ص 169

1- محمد عطا شحاتة، نفسه. ص 169

2- من قضاة تلمسان وعلمائها، هجر مدينته عام 875ه / 1470م، وتوجه مع أسرته إلى تمنطيط.

3- صاحب كتاب "العقائد"، توفي عام 895ه / 1490م.

ينظر:

أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن 10ه إلى القرن 14ه (16م – 20م)، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب. 1985. ط 2. ص 68

4- هو صاحب كتاب " نظم الدر والعقيان في شرف بني زيان، وذكر ملوكهم الأعيان، ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان" ولد بتنس، ولا يعرف تاريخ ميلاده بالضبط.

ينظر:

أبو القاسم سعد الله، نفسه. ص ص 60 - 61

وقد دلل إسماعيل العربي على ولاء اليهود للجزائر، بموقفهم من حملة شارلكان عام 1541م، حيث صاروا يحتفلون بهزيمة الأسطول الإسباني، بإقامة الصلوات وإحياء هذه الذكرى كل عام[1].

وقد اتخذ اليهود يومين يحتفلون بهما، 11 جويلية بمناسبة اندحار قوات شارلكان، و04 جوان [2] بمناسبة فشل قوات شارل الثالث، في هجومها على الجزائر عام 1775م.

لكننا نتساءل: هل كان هذا الموقف من باب الولاء الخالص للجزائر وأهلها، تثمينا لحسن ضيافتهم، أم كان من باب الانتقام من الإسبان، الذين استخدموا محاكم التفتيش لملاحقة اليهود في الأندلس، واضطهدوهم حتى في الجزائر بعد احتلال بعض مدنها، مثلما حدث لهم في تلمسان عام 1543، وفي وهران عام 1669م.

وحتى إذا راجعنا مواقف اليهود خلال حملة شارلكان ذاتها، وجدنا التخاذل يطبعها إلى حد كبير، فقد أظهروا رغبتهم في التطوع دفاعا عن المدينة، وأعطيت لهم الأسلحة الكافية، لكنهم لم يقاوموا الحملة، وعادوا بعد وقت قصير، يتذرعون بمناوشات وقعت بينهم وبين بعض الأطفال الذين رموهم بالحجارة [3].

إن سعي اليهود وراء تحقيق مصالحهم، دون مراعاة للضرر الذي كانوا يلحقونه بالمجتمع، جعل السكان يحذرون منهم على الدوام، ثم تحول هذا الحذر مع الوقت إلى حقد، وتحول الحقد إلى ثورة، وقد عبر قريقوار Fernand Grégoire عن تصرفات اليهود

1- إسماعيل العربي، مرجع سابق. ص 37

2- سعيدوني والمهدي البوعبدلي، مرجع سابق. ص 103

لكن المعلوم أن حملة شارلكان على الجزائر، كانت بين 23 أكتوبر و 03 نوفمبر 1541م، أما حملة شارل الثالث فكانت بين 01 و 11 جويلية 1775م، وقد جُهزت لها 44 سفينة حربية، و344 سفينة ناقلة للسلاح والجند، الذين بلغ عددهم 22600 رجل مقاتل.

يراجع:

- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب. 1984. ط 3. ص 294 و ص 504

- جون وولف: مرجع سابق، ص 56 و ص 403

- م.ش / ي.ي، "هزيمة شارل الخامس في حملته على مدينة الجزائر"، الجيش، جانفي 1997، ص 30

3 -Bourde, P, A travers l'Algérie, souvenir de l'excursion parlementaire (septembre – octobre 1879), Paris: G. Charpentier. 1880. p 92

غير اللائقة، بأنه في أوقات الأزمة الاجتماعية، يظهر اليهودي مثل الغراب بعد المعركة، ليتغذى على لحوم الجيف[1]، وأضاف: " في الجزائر خاصة، تتنفس الملاريا اليهودية "[2].

ورغم أن الإسلام هو الذي حفظ لليهود حقوقهم في إطار أهل الذمة، فإنهم تطاولوا على تعاليمه، إفسادا للمجتمع، وتحقيقا لمصالحهم المادية الخاصة، إذ استخدموا نفوذهم السياسي لدى الحكام، فحصلوا على إذن بفتح مواخير تباع فيها الخمر، بحجة تسلية الشبان الأتراك[3].

وقد تجاوز كثير من اليهود حدودهم، خاصة الحاخامات، فتطاولوا على المجتمع وثوابته، دون مراعاة لشعور المسلمين، فقد سب الحاخام مردوخاي نربوني الإسلام، في خصام مع مسلم، فخيره القاضي بين اعتناق الإسلام والإعدام، لكنه رفض الإسلام، فتم إعدامه يوم 16 جويلية 1794م [4].

أما موقف اليهود من الاستعمار، فلا يدع مجالا للشك، في أنهم لم يعطوا الجزائر إلا بالقدر الذي سمح لهم بأخذ أضعاف ما أعطوا، ذلك أنهم تنكروا تماما للبلد الذي عاشوا فيه ولأهله، فكانوا يرحبون بالجنود الفرنسيين ، ويقبلون أرجلهم، ولذلك انتقم الأهالي الثائرون من اليهود حين وصلوا إلى البليدة، لِما خصوا به الفرنسيين من حفاوة واستقبال[5].

ومن هنا نقول، إن اليهود عاشوا في المجتمع الجزائري حياة عادية في البداية، يمارسون طقوسهم الدينية، ومهاراتهم التي استغلوها خاصة في الصناعات الحرفية، وكانت علاقاتهم بالمجتمع تتقوى من خلال ذلك التقارب الذي كان بينهم وبين مهاجري الأندلس المسلمين، باعتبار التاريخ المشترك، حيث هُجّروا بعد أن تعرضوا إلى ملاحقات محاكم التفتيش.

---

1 - Grégoire, F, La juiverie Algérienne, Radical Algérien. 1888. P 5

2 - Grégoire, F, Ibid. p 6

3- شالر، مذكرات ويليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816 – 1824) ، تعريب وتقديم وتعليق إسماعيل العربي، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. 1982. ص 55

4- نجوى طوبال، مرجع سابق. ص 150

5- Bonnafont, Douze ans en Algérie; 1830 à 1842, Paris: Librairie de la société des Gens de Lettres. 1880.p 107

لكنهم لم يعودوا يعيشون هذه الحياة العادية، حين تزايد اتصالهم بالأوربيين، خصوصا بعد هجرة يهود ليفورن. ولعل سبب هذا التحول هو ارتباط مصالح اليهود بالخارج، وتفتحهم على الثقافات الغربية، وهو ما وسع الهوة بينهم وبين الأهالي، الذين صاروا يعتبرونهم تدريجيا غرباء عن المجتمع الجزائري، وهو ما أوصل في النهاية إلى نبذهم، عن طريق الثورة عليهم، وعلى الحكام الداعمين لهم.

3-2-2- علاقات اليهود بالأتراك:

لم ير الحكام الأتراك شيئا في السماح لليهود بالعيش في بلادهم، سواء السلاطين في إسطنبول، أو الدايات في الجزائر. فقد أصدر السلطان العثماني بايزيد الثاني بن محمد الفاتح (1481م – 1512م) فرمانا سمح بموجبه لليهود بالإقامة في الأراضي التابعة لدولته.

وفي إيالة الجزائر رحب العثمانيون باليهود المطرودين من إسبانيا، حيث رأوا فيهم عنصرا حليفا يستخدمونه في صراعهم مع الإسبان، وعاملا اقتصاديا مهما لتنشيط الصناعات الحرفية، والتبادل التجاري مع موانئ المتوسط[1].

وانطلاقا من تعاليم الإسلام، كان يجب أن يخضع اليهود للقانون الذي يحكم أهل الذمة، ولعل أكبر رمز لذلك، هو دفعهم للجزية إلى خزينة الدولة، والتي كان مقدم الطائفة اليهودية، يتكفل بجمعها وتقديمها إلى الخزناجي أو شيخ البلد، وسنحاول المقارنة بين الأرقام التي ذكرها بعض المؤرخين عن قيمة هذه الجزية، مستخدمين جدولا، اعتمادا على ما جمعه محمد دادة [2] من آراء هؤلاء المؤرخين.

1- ناصر الدين سعيدوني، يهود الجزائر وموقفهم ... ص 108

2- محمد دادة، مرجع سابق. ص 75

المؤرخ	ما يدفعه اليهود أسبوعيا كجزية	ما يعادلها بالفرنك	قيمة الصرف
Martin	7000 بوجو	13020	1بوجو= 1.86ف[1]
Pananti	2000 دولار	10000	1 دولار= 5 ف [2]
Du Bois Tainville	1000 بدقة شيك [3]	450	1 بدقة شيك =0.45 ف [4]
سعيدوني [5]	500- 1000 ب شيك	225 - 450	نفسها

جدول بقيمة الجزية التي كان يدفعها اليهود حسب بعض المؤرخين

نلاحظ من خلال الجدول عدم اتفاق المؤرخين حول ما كان يدفعه اليهود أسبوعيا إلى خزينة الدولة، ولعل ذلك راجع إلى عدم ثبات القيمة، وربما كان ارتفاعها وانخفاضها متعلقين بحالة البلاد، وبمواقف الدايات من اليهود، بل وبدرجة تأثير اليهود أنفسهم على الدايات.

وبعد أن استعاد الباي محمد الكبير (1779م – 1796م) وهران من الإسبان عام 1791م، استدعى اليهود للعيش بها، فانتقل إليها يهود معسكر، تلمسان، ندرومة، مستغانم، وتم إعفاؤهم من الضريبة، وبيعت لهم أرض بثمن رمزي، ليقيموا عليها منازلهم، كما خصصت لهم قطعة أرض اتخذوها مقبرة.

وقرّب محمد الكبير بعضا منهم، فجعلهم وكلاء دبلوماسيين يمثلون مصالحه في الخارج، ومنهم ماردوخاي دارمون الذي أصبح مستشارا خاصا له[6]، وكان مقدما على الطائفة اليهودية.

1- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية ، 1800م – 1830م، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. 1979. ط 1. ص 208

2- محمد دادة، مرجع سابق. ص 75

3- أصل تسميتها Pataque-chique وتعني بالتركية الدرهم الأبيض.

ناصر الدين سعيدوني، نفسه، ص 205

4- ناصر الدين سعيدوني، نفسه، ص 209

5- سعيدوني والمهدي البوعبدلي، مرجع سابق. ص 33

6- إسماعيل العربي، مرجع سابق. ص 38

وكان الإسبان قد حولوا عام 1678م، كنيسا يهوديا إلى كنيسة مسيحية، سميت كنيسة Saint Christ de la Patience، فلما استعيدت وهران عام 1708م، هدمت الكنيسة وسمح لليهود بإقامة كنيس لهم في نفس الموضع [1].

وفي قسنطينة خصص صالح باي (1771م – 1791م) قطعة أرض لليهود، يقيمون عليها مساكنهم، حيث تجمعوا في مكان واحد[2].

وفي المقابل، كان بعض الدايات حينما يحتاجون إلى الأموال، يلجأون إلى الأغنياء من الأهالي أو من اليهود، فيأخذون منهم مبالغ يسددون بها أجور الإنكشارية، أو يستغلونها في أمور أخرى.

كما لم يستثن الأتراك في الجزائر، اليهود من معاملاتهم المالية، فقد وقفت نجوى طوبال، بإحدى وثائق سجلات المحاكم الشرعية، على اقتراض بكري مبلغا من المال من الحاج محمود شاوش العسكر[3]، كما ذكرت أن الإنكشارية المقيمين بالثكنة الواقعة بسوق الخراطين، عرفوا بحمايتهم لليهود، خاصة أولئك الذين كانت لهم ممتلكات مجاورة للثكنة[4]. كما تعامل الداي مصطفى مع اليهود، فاشترى منهم محلات تجارية كثيرة في مدينة الجزائر.

وفي إطار هذه المعاملات المالية، أوكل الدايات إلى اليهود، صك العملة ومراقبة أوزانها، لكثرة خبرتهم بذلك، فقد ذكر شالر أن " الحكومة لا توظف سوى اليهود لصك النقود" [5].

يتبين لنا مما سبق أن القائمين على نظام الحكم في الجزائر، اهتموا باليهود كطائفة لها وزنها، واستخدموهم في المجالات التي أثبتوا فيها كفاءتهم، لكنهم في المقابل، غفلوا عن دورهم الخطير، الذي مارسوه في المجالات المالية والتجارية، أو حتى في العلاقات الدبلوماسية، وهو ما تطور في نهاية القرن 18م، وبداية القرن 19م، وانعكس سلبا على

---

1 - Aissa Chenouf, Op.cit. P 47

2- أرزقي شويتام، مرجع سابق. ص 136

3- نجوى طوبال، مرجع سابق. ص 141

4- نجوى طوبال، مرجع سابق. ص 79

5- شالر، مرجع سابق. ص 89

الأوضاع الداخلية، كما كان سببا في أزمة جزائرية فرنسية، انتهت باحتلال الجزائر عام 1830م.

أما ما أشاعه بعض الكتاب والباحثين عن التضييق على اليهود، وعزلهم في غيتوهات خاصة بهم [1]، فهو في نظرنا لا يحتاج إلى كثير من الردود. ذلك أن منشأ الغيتوهات [2] لم يكن بالجزائر، وإنما بأوربا، وكان أمرا شائعا أن تجتمع كل طائفة في مكان معين، سواء تعلق الأمر بطوائف عرقية أو دينية أو حتى حرفية، ولعل ذلك كان شكلا من أشكال الدفاع الذاتي، تتخذه الأقليات لتحافظ على مقوماتها الخاصة.

كما أشيع أيضا الكثير عن المعاملات السيئة التي كان اليهود عرضة لها، ونكتفي هنا برد ويليام سبنسر الذي أبدى ملاحظته للاحترام الذي كان يحظى به اليهود في الجزائر، حين قال: " ولم يتسع التعالي، الذي هو من طبيعة الأتراك تجاه رعاياهم المسلمين، إلى اليهود الذين كانوا ينظرون إليهم بشيء من التمرس اللاطبيعي ، كأن يكون لهم مدخل إلى السحر الأسود، وكذلك المعرفة فوق العادة بقضايا العملة " [3]

خلاصة:

نستخلص مما سبق أن اليهود جاؤوا مهاجرين إلى الجزائر منذ قرابة 3000 سنة، لكن الباحثين لا يتفقون حول البدايات الحقيقية لهذه الهجرات [4]، والثابت أن الصراع الذي

1- ذكر لوجي دو تاسي أنه كان لليهود الأهالي أحياء يسكنونها، ولا يجوز لهم أن يسكنوا حيث يسكن المسلمون.

L, de Tassy, Op.cit. P 77

أما قارو Garrot فيذكر أن اليهود كانوا يسكنون أحياء خاصة، تسمى حارة Hara أو سكارة Scara .

Garrot, H, Op.cit. p 45

2- الجيتو هو الحي المقصور على إحدى الأقليات الدينية أو القومية، ولكن التسمية أصبحت مرتبطة أساسا بأحياء اليهود في أوربا.

ينظر:

عبد الوهاب المسيري، مرجع سابق. الجزء 4. ص 412

3- ويليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتعليق عبد القادر زبادية، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. 1980. ص 84

4- كتب عثمان سعدي في القدس العربي:" نشرت القدس العربي في عدد 2007/6/16، مقالا للكاتب المغربي الدكتور محمد الوادي، تحت عنوان إعادة كتابة تاريخ المغرب من منظور يهودي، وعلق على ادعاء الكاتب المغربي اليهودي=

حدث بين اليهود وغيرهم في الشرق الأدنى، كان سببا فيها، لكن الثابت أيضا أن كثيرا من اليهود إنما قدموا إلى بلاد المغرب ، والجزائر جزء منها، من أوربا في إطار الهجرات الحديثة.

وقد أدى هذا الاختلاف في المناطق التي هاجر منها اليهود، إلى اختلافات بينهم، وهو ما أوصل في مراحل لاحقة إلى صراع بين التوشابيم والميغوراشيم.

أما حياة اليهود في الجزائر وعلاقتهم بأهلها، فقد مرت بمرحلتين أساسيتين، اتسمت أولاها بذوبان نسبي لليهود في المجتمع، تزايد مع حقوق أهل الذمة التي أقرت لهم بعد دخول الإسلام إلى المنطقة.

أما المرحلة الثانية، فقد ميزها الخلاف بين الأهالي واليهود، الذين صاروا أكثر ميلا إلى الأوربيين، حتى في المظهر الخارجي، ناهيك عن التعامل الكبير مع الشخصيات الأوربية، التي صاروا يوفرون لها الخدمات التجارية والتجسسية، والسيطرة شبه التامة التي فرضوها على الحياة السياسية في أواخر عهد الدايات، والتي انعكست على درجة هيمنتهم على التجارة خاصة الخارجية، وكان ذلك كله على حساب المجتمع الجزائري، وهو ما أدى إلى اتخاذه لمواقف منهم، كثيرا ما كانت متشددة.

وإذا كانت أعداد اليهود في الجزائر، قد عرفت ارتفاعا على فترات، فإنها بدأت تتراجع منذ نهاية القرن 18م، وتعود أسباب ذلك إلى الظروف التي عاشتها منطقة البحر المتوسط عموما، وإلى الأحداث التي تعرض إليها اليهود، خاصة عام 1805م، والتي جعلت كثيرا منهم يغادرون البلاد.

= حاييم الزعفراني، بأن يهود المغرب لم يأتوا مهاجرين، وإنما هم مغاربة تهودوا ، فقال الوادي: معني هذا أن اليهود هم أصحاب حق في البلاد المغربية، ولا بد من إعادة كتابة تاريخ المغرب من منظور يهودي".

القدس العربي، عدد 23 – 06 - 2007

الفصل الثاني

سيطرة اليهود على النشاط الاقتصادي

مقدمة:

يرتبط التاريخ السياسي ارتباطا وثيقا بالحياة الاقتصادية والاجتماعية، بل هو ناتج عن تفاعلاتها، وإذا كان اليهود قد استطاعوا ممارسة السمسرة على مستوى الدبلوماسية الجزائرية، فلأنهم زاولوا نشاطا اقتصاديا لم تقل خطورته عن خطورة الجوسسة والضلوع في علاقات مشبوهة على مستوى البحر المتوسط.

فلقد اهتم اليهود في أواخر عهد الدايات بالنشاط التجاري بشكل ملفت للنظر، وهو ما وفر لهم ثروة هامة، وسهل عليهم ربط علاقات تجارية ثم سياسية مع مختلف القوى الفاعلة، ولذلك كان من الضروري أن نعرج على الملابسات التي أحاطت بهذا النشاط، وهو الذي رفعهم إلى مستوى التأثير القوي على الدايات وموظفيهم، مستغلين في ذلك الدعم الكبير الذي كانوا يجدونه من القناصل وكثير من الشخصيات الأجنبية، في إطار مخطط عام يطبعه تبادل المصالح على حساب الإيالة.

1- اليهود والتجارة الداخلية:

إذا كان الأندلسيون قد تحكموا في دواليب التجارة في بداية العهد العثماني، بحكم امتلاكهم للثروة التي استقدموها معهم من الأندلس، أو التي تحصلوا عليها من المشاركة في الغزو البحري وافتداء الأسرى، ومزاولة الأنشطة الحرفية المختلفة، فإن اليهود في أواخر العهد العثماني، سيطروا بشكل شبه تام على النشاط التجاري.

وقد ساهم اليهود بصفة عامة، في تنشيط اقتصاد البلاد [1]، باعتبارهم أصحاب خبرة في مجال التجارة، مستغلين علاقاتهم مع حكام الإيالة، إذ مارسوا تجارة القوافل التي تربط بين مختلف الجهات، وركزوا خصوصا على الطريق التجاري الرابط بين الجزائر وقسنطينة، ليصلوا في مراحل لاحقة إلى احتكار كل التجارة، إلى درجة جعلت أحد المراقبين يقول فيهم: " وكما هي عادة اليهود في مختلف البلدان، فإنهم يمارسون جميع

1- من الدراسات التي اهتمت بمساهمة اليهود في النشاط الزراعي ببلاد المغرب، في العصر الوسيط:
عبد الرحمن بشير، مرجع سابق. ص 86 وما بعدها

فـروع التجـارة، وهـم يحتكـرون فـي هـذا البلـد، السمـسرة، وأعمـال المـصارف وتبـديل العملة"[1].

ومعلوم أن التجارة الداخلية، بمختلف أشكالها، كانت تحت رقابـة الإدارة [2] ، ولـذلك صـارت بأيدي حلفائها اليهود، حين أعطاهم نظام الحكم حق مزاولتهـا، شـريطة أن يـدفعوا ما عليهم للخزينة، ونتيجة لذلك أصـبحوا يـزودون الأهـالي بمـا يحتـاجون إليـه، مـن أقمـشة حريرية وخردوات، وسكر وشاي وتوابل وحلي، سواء عن طريق المحلات التجارية التي امتلكوها فـي المدن، أو بواسطة الباعـة المتجولين، الـذين كـانوا يجوبـون منـاطق الجزائـر على اتساعها، حتى يصلوا إلى تخوم الـصحراء، فيبيعوا أو يبادلوا أهلها سلعا بسلع.

ورغم أن التجارة بين الجزائر وبلاد السودان الغربي كانـت ضـئيلة الحجم، لـصعوبة المـسالك وبعد المـسافة، فـإن" يهـود الجزائـر تمكنـوا فـي القـرن 18م، مـن الـسيطرة عليهـا والـتحكم فيهـا"[3] ولـذلك توغلـوا مـن شـمال الجزائـر حتـى أواسـط إفريقيـا، فشاركوا بعـض التجـار الـسود فـي تجـارة التبـر، وتعـاملوا فـي ذلـك مـع بنـي دينهم المستقرين فـي تيميمـون وتوات ومتليلي[4].

ونظـرا لأن الجزائـر مثلـت بموقعهـا الاسـتراتيجي، ملتقـى للطـرق التجاريـة بـين أوربـا وأواسـط إفريقيـا، فـإن هـذه الواحـات صـارت مركـزا هامـا، تلتقـي فيـه القوافـل القادمـة مـن الاتجاهات المختلفة، وزاد من أهميتها قربها من بلاد السودان، التي يأتي منها التبر وريش النعام والعبيد [5].

كمـا كانـت الأسـواق الأسـبوعية أمكنـة تتجمـع فيهـا البـضائع، التـي يقـايض بعـضها ببعض، ولذا أثبت اليهود حضورهم بها ، إذ كانوا يساهمون في دعم كل قبيلـة بمـا تحتـاج إليه من سلع.

1- شالر، مرجع سابق. ص 89

2- أرزقي شويتام، مرجع سابق. ص 245

3- أرزقي شويتام، مرجع سابق.ص 248

4- Rozet et Carette, Op.cit. p 215

5- سعيدوني والمهدي البوعبدلي، مرجع سابق. ص 73

أما في المدن، فكان الباعة اليهود المتجولون، يزورون البيوت، ليعرضوا على أصحابها سلعهم التي يحملونها في سلات، كما كان بعضهم يتاجر في البوادي، يجوبونها فيوصلون إلى أهلها ما يحتاجون إليه، مستخدمين الدواب لحمل سلعهم، وكان تصريف المنتجات يتم عن طريق البيع، أو المقايضة، كما ذكرنا، إذ يحصل اليهودي مقابل ما يوفره لأهل البادية، على الصوف والجلد والسمن وما شابهها.

و انعكست الحرية التي تمتع بها اليهود في الجزائر، على طبيعة الأنشطة الاقتصادية التي مارسوها، وكان توفر الأمن هو العامل الأكثر أهمية في هذا كله، ولذلك نلحظ تواجد اليهود بقوة في أسواق مدينة الجزائر، يزاولون النشاط التجاري، أو الحرفي الذي يرغبون فيه، و يمتلكون محلات في كثير من أسواقها، كسوق الحوت، وسوق السمن، وسوق اللوح، وسوق الصاغة وغيرها [1].

2- عوامل سيطرة اليهود على النشاط الاقتصادي:

حاولت بعض الكتابات الأجنبية، خاصة اليهودية، أن تظهر "العبقرية اليهودية"[2] من خلال النشاط التجاري، الذي ما فتئ يتطور بالجزائر، حتى كانت له السيطرة شبه المطلقة، لكن الذي يغفله هؤلاء الكتاب بشكل صارخ، هو أن هذا النفوذ اليهودي، لم يفرض نفسه في إطار منافسة شرعية، تعطي الفرصة للطبقة التجارية المحلية لتبرز طاقاتها، وتساهم في صناعة القوة التجارية الجزائرية.

ثم إن هذه "العبقرية اليهودية"، التي يتحدث عنها اليهود ويثمنونها، لم تقم خلال فترة تزيد عن القرن، إلا بما يضر بمصلحة البلاد. وسنحاول فيما يلي التطرق للعوامل التي ساهمت في صنع قوة اليهود التجارية، بما في ذلك الأساليب التي انتهجوها للوصول إلى تحقيق أغراضهم.

1- نجوى طوبال، مرجع سابق. ص 156

2- نجد من الكتاب اليهود الأكثر تطرفا، الحاخام جورج فيربو، الذي يعالج مسألة الوجود اليهودي بالجزائر، وما يتعلق بها من قضايا متعددة، بنوع من التعالي والغرور. فهو لا يتردد في إبراز احتقاره للمسلمين، وحتى للمسيحيين الذين كان يعيش تحت مظلتهم خلال الاستعمار الفرنسي للجزائر.

2-1- استغلال اليهود للظروف الداخلية والخارجية:

لقد عاشت الجزائر في نهاية عهد الدايات ظروفا سياسية غير مستقرة، إذ تزايد اتساع الشرخ الذي أصاب العلاقة بين الحاكم والمحكوم في الصميم، بتهميش الكراغلة رغم أنهم من نسل الأتراك، والضغط على الأهالي بسياسة جبائية ظالمة، خاصة مع تراجع مداخيل الجهاد البحري.

وكان عدم التأسيس لتقاليد ملكية قوية، تجنب نظام الحكم الهزات العنيفة التي كانت تصيبه بين الحين والحين، ولا لتقاليد جمهورية تجعل المحكوم يحترم الحاكم، لأنه يقف عند حدوده في إطار المسؤولية أمام مؤسسات الدولة، كان ذلك مدعاة إلى عدم احترام الحاكم، بل إلى عدم وجود أية رابطة بين الشعب والسلطة، فضباط الجيش هم الذين كانوا ينتخبون الداي، وهم الذين يعزلونه حينما يشاؤون، بل كثيرا ما وصلت مسألة إنهاء مهام الحكام إلى درجة القتل [1].

لهذه الأسباب كلها فقد الحاكم الثقة في الرعية، وفقدت الرعية الولاء للحاكم، الذي ارتمى في أحضان اليهود [2]، فوفروا له نوعا من الحماية، أو على الأقل نوعا من الصداقة المغشوشة، مستغلين حاجة الحاكم وموظفيه إلى الأموال اليهودية، التي كانوا يحصلون عليها كرشاوى أو كقروض يتجاوزون بها العجز المالي، حيث يستخدمونها لدفع مرتبات الجند، أو لترضية مسؤول أعلى.

وفي هذا الإطار منح الدايات وباياتهم اليهود فرصة تمثيلهم، سواء محليا أو دوليا، وبذلك وسعوا نشاطاتهم، خاصة بعد تأسيس شركة بكري وبوشناق، التي صارت لها القدرة على ممارسة الاحتكارات الكبرى، مستفيدة من ظروف المنافسة الفرنسية الإنجليزية، ومن مشاكل فرنسا مع الأنظمة الأوربية، فبعد أن تراجع دور الوكالة الوطنية الفرنسية، عهدت فرنسا إلى هذه الشركة اليهودية، بمهمة تزويد الأقاليم الفرنسية بالمنتجات الجزائرية، خاصة القمح [3].

1- بين 1805م و1817م، تم اغتيال 06 دايات : الداي مصطفى 1805م، الداي احمد 1808م، الداي علي الغسال 1809م، الداي الحاج علي 1815م، الداي محمد 1815م، الداي عمر 1817م.

2- نقصد بعض الدايات المتأخرين، كمصطفى باشا وحسن باشا.

3- كانت حكومة الثورة في فرنسا قد عقدت اتفاقا في هذا الشأن مع الداي حسن عام 1791م.

ومن جهة أخرى، عملت الشركة ذاتها على الاتفاق مع الإنجليز، لتزويد حامياتهم العسكرية في جبل طارق.

ولا ينبغي أن نغفل دور الأفراد، واتساع علاقاتهم، وقوة اتصالاتهم، فممثل شركة بكري وبوشناق في مرسيليا مثلا، كانت له اتصالات قوية بالمسؤولين الفرنسيين، ولما اكتسب ثقتهم، صاروا يتعاملون معه، وأوكلوا إليه مهام كبرى، عادت على الشركة بالربح الوفير.

ولقد ساهمت الظروف التي عاشتها فرنسا إلى حد كبير، في دعم نشاطات الشركة اليهودية، لأن الخزينة الفرنسية لم تعد قادرة على سداد أثمان المواد التي تصدرها إليها الشركة، فكانت تقيد على شكل ديون لليهود على فرنسا، وهو أمر صار مغريا للمسؤولين هناك، فغضوا الطرف عن نشاط اليهود في الشرق الجزائري، وحتى في مرسيليا.

ولما اشتد عداء أوربا الملكية لفرنسا الجمهورية، لم يعد الفرنسيون قادرين على حماية أسطولهم التجاري في البحر المتوسط، فلجأوا إلى اليهود، يكلفونهم بنقل البضائع إلى سواحل فرنسا لتموينها، ووجد اليهود الفرصة لتحقيق الربح، فاستخدموا في نشاطهم هذا سفنا تحمل الراية الجزائرية حتى تتمتع بالحماية.

2- 2- طبيعة الشخصية اليهودية:

لا يمكن الحديث عن عوامل نجاح اليهود، دون التطرق إلى طبيعة اليهودي ذاته، فهو محب للمال، يسعى إلى جمعه بكل ما أوتي من قوة ومن وسائل، وأخطر وسيلة يستخدمها هي التعامل بالربا، وقد تعرض اليهود في أوربا إلى مشاكل عديدة بسببه، مثلما وقع لهم في فرنسا على عهد فيليب الجميل Philipe le Bel [1]، كما أن من طبيعة اليهودي الحفاظ على مصالحه، حتى لو كان في ذلك هلاك للآخرين، وقد ذكرنا سابقا قول قريقوار Fernand Grégoire أنه في أوقات الأزمة الاجتماعية، يظهر اليهودي مثل الغراب بعد المعركة، ليتغذى على لحوم الجيف[2]، وقوله " في الجزائر خاصة، تتنفس الملاريا

1- فيليب الرابع المسمي فيليب الجميل (1268م-1314م)، حكم فرنسا بين 1285م و 1314م، وقد أسس لملكية قوية، وفي 1306م، صادر ممتلكات التجار اليهود، ثم طردهم من فرنسا.

2 - Grégoire, F, Op.cit. P 5

اليهودية "[1]، أما دو تاسي فقال: " اليهود الذين يعتبر عددهم كبيرا في الجزائر، لا يفوتون أية فرصة حيث يمكن تحقيق الربح" [2]

وقد أورد قارو Garrot قصة تركي، لقيه في مقهى بقسنطينة عام 1854م، زمن الاستعمار، وكان يشتغل شاوش في وقت الباي أحمد.

وبعد أن بدأ الحديث بين Garrot والتركي، بصفة متعثرة بحكم عدم معرفة أحدهما للآخر، قال التركي: " أتعلم يا سيدي! اليهودي عدونا جميعا، إذا اقترضت دورو من يهودي، صار دمارك محتما، فهو سيأخذ ثروتك وسعادتك، وإذا أعطيت طرف إصبعك ليهودية أخذت الجسم كله"

ثم وصف هذا الجندي الإنكشارية، بأنهم كانوا يشتغلون بجد لتحصيل الضرائب، أما اليهود " الذين كان الباي يحميهم، فإنهم كانوا يصنعون غناهم، في الظل وعلى حساب الآخرين، بالربا والسلب والنهب"

ثم استطرد قائلا: "في الصحراء، تقتات الضباع والذئاب والطيور، على ما تتركه الصقور، والطيور الجارحة، وكذلك يفعل اليهود، الذين نراهم ينبطحون على بطونهم أمام الأقوياء، لكنهم يصبحون وقحين وبدون أية رحمة، حين يتعلق الأمر بالضعفاء" [3].

وكان اليهود في الجزائر، يسلكون الطرق الملتوية لاختلاس أموال الأمة، حيث يتسببون في المجاعات، التي تجعل الناس يسعون وراء رضاهم، كما أنهم يمارسون الغش والتزوير وابتزاز الناس، ضف إلى ذلك عمليات الجوسسة، التي تورطوا فيها والدسائس والمؤامرات التي قاموا بها، مستغلين الخلافات والصراعات، وظروف البلاد الصعبة، على المستويين الداخلي والخارجي، ولا عجب إن علمنا أن ذلك كله حرك الناس ضدهم؛ عربهم وبربرهم وحتى أتراكهم، لأن الجميع تحولوا إلى ضحايا لهذه الممارسات الملتوية والأعمال، التي انتهت بثورة ضدهم وضد النظام الذي كان يحميهم.

وقد نقل محمد دادة قول دوغرامون، الذي عبر به عن تصرفات اليهود، التي أدت إلى انتفاضة المجتمع ضدهم: " وراحوا حتى ذلك الحين، يتصرفون بحذر في السياسة

---

1 - Grégoire, F, Op.cit. p 6

2 - Tassy ,L, de, Op.cit. p 99

3 - Garrot, Op.cit. pp 46 - 47

الداخلية، فاكتفوا ببيع خدماتهم للأمم الأوربية، التي تدفع لهم الأفضل، ولكن جاء الوقت المناسب الذي انكشف فيه نفوذهم الخفي، الأمر الذي أدى إلى اضطهاد وانهيار الطائفة اليهودية في الجزائر" [1]

2- 3- ممارسة الاحتكار:

انتهج بعض الحكام سياسة الاستيلاء على الأراضي الخصبة، حول قسنطينة ومعسكر وتلمسان، وفي الهضاب العليا بشكل عام، كما احتكروا الإنتاج الفلاحي، وكان هدفهم، من جهة تشجيع التصدير لضمان دخل للخزينة، ولذا كان الوكلاء والمتعاملون مع البايلك، خاصة التجار اليهود والشركات الأجنبية، هم المسيطرين على هذا النشاط.

من جهة أخرى حاول البايلك، توجيه العمل الزراعي، لإحداث توازن مالي، بعد أن تراجعت مداخيل الجهاد البحري، لكن ذلك انعكس سلبا على الفلاحين، الذين كانت تشترى منهم الحبوب مثلا بسعر 8.80 قروش للصاع، ليعيد البايلك بيعها للمتعاملين معه، بسعر 26.30 قرشا [2].

ولتحقيق هذه الأهداف، استعان الدايات وموظفوهم باليهود، واستخدموهم كوكلاء لهم داخل البلاد وخارجها، واحتكروا تجارة بعض المواد، فصار تصديرها يتم باتجاه الموانئ الأوربية، عن طريق هؤلاء الوكلاء التجاريين، مثلما فعل الداي علي [3] حينما أوكل إلى اليهودي بوشعرة Bousciara تصدير كميات من القمح[4].

لقد تساءل جون وولف عن سبب ظاهرة احتكار اليهود للتجارة الجزائرية، ثم كان رده على هذا التساؤل " إن جزءا من الجواب على ذلك، يمكن تلمسه في دور اليهود

1- محمد دادة، مرجع سابق. ص 129

2- سعيدوني والمهدي البوعبدلي، مرجع سابق. ص 56

3- علي بن أحمد المسمى "علي خوجة" (1817-1818) وهو صاحب حركة تصحيحية جريئة هدف من خلالها إلى إصلاح المؤسسة العسكرية، فقد اعتمد على الكراغلة، واستخدم فرق زواوة في صراعه مع الجند. وهو الذي نقل مقر الحكم والخزينة من قصر الجنينة إلى حصون القصبة، وهو ما أدى إلى انتفاضة الجند، فقرر معاقبة الثائرين، حيث قضى على 1200 جندي انكشاري و 150 ضابطا.

4- رحمونة بليل، مرجع سابق. ص 189

المتعاظم الهام في حكومة الجزائر... وبذلك أصبحت دُور التجارة اليهودية، التي كانت لها صلات مع مختلف أنحاء أوربا، ذات أهمية أكثر فأكثر، للحركة الاقتصادية والمالية في الإيالة، ومع النفوذ، جاءت القوة والأهمية الأعظم في المجتمع التجاري" [1]

ورغم غنى الجزائر آنذاك بالحبوب، ورغم احتكار الدولة لها، لتحقيق الأهداف المذكورة سابقا، فإنها كثيرا ما كانت تستورد هذه المادة الأساسية أثناء المجاعات، لتغطية العجز الحاصل فيها، فقد استوردت كميات كبيرة، بأثمان مرتفعة، من منطقة البحر الأسود، خلال مجاعة عام 1805م، على عهد الداي مصطفى[2]، وحصل نفس الشيء على عهد الداي حسين إذ استورد من بعض دول البحر المتوسط، 50 ألف كيلة [3] من الحبوب، ليتجاوز بها آثار مجاعة 1819م[4].

ونتيجة لهذه السياسة الاقتصادية التي انتهجت في البلاد، والتي بنيت على الاحتكارات، تأثرت أحوال الناس، خاصة خلال 30 سنة الأخيرة من الحكم العثماني، بحالة الركود الاقتصادي الرهيب، الذي يتبين من خلال حالة المدن، حيث كانت دلس مثلا تصدر القمح والشعير والشمع والعسل والصوف والجلد، بكميات كبيرة، لكن نشاط سكانها أصبح يقتصر على نقل البضائع المتواضعة، على متن قوارب صغيرة، حتى مال أكثرهم إلى امتهان اللصوصية [5].

1- جون وولف، مرجع سابق. ص ص 392 - 393

2- حمدان خوجة، المرآة ، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. 1982. ط 2. ص 160

3- محمد زروال، العلاقات الجزائرية الفرنسية، 1791 – 1830. دبلوم الدراسات المعمقة. جامعة وهران. 1975 - 1976. ص 06

4- – ناصر الدين سعيدوني، " الأحوال الصحية والوضع الديمغرافي بالجزائر أثناء العهد التركي" ، الثقافة. العدد 92. سنة 1986. ص 108

5- سعيدوني والمهدي البوعبدلي، مرجع سابق. ص 50

وفي ظل هذه الاحتكارات التي مارسها الحكام [1]، الذين لم يسمحوا ببيع الحبوب إلا للدولة، والتي تبيعها بدورها لمن تشاء، كشركة بكري وبوشناق، تحول الدايات وموظفوهم إلى وسطاء تجاريين يخدمون مصلحة اليهود، ولذلك لاحظ ويليام سبنسر عدم أهمية التجارة في نمو الدولة، بسبب عدم تشجيع الحكام لها، كما لاحظ تواضع حجمها وآفاقها، فالصوف مادة كانت متوفرة بشكل كبير في البلاد، لكنها لم تلق تشجيعا، بل تم احتكارها من قبل الوكالة الإفريقية، وبأمر من نظام الحكم، وهو ما حرَم الأهالي من فرصة استغلالها لتشكيل طبقة تجارية قوية.

فميناء الجزائر كان يصدر سنويا نحو أوربا مابين 7000 قنطار و 8000 قنطار من الصوف، وكان جلها يأتي من التيطري، أما ميناء عنابة، فكان يصدر ما بين 10000 قنطار و12000 قنطار[2].

والصوف مجرد مثال يسوقه سبنسر حول مواد كثيرة عانت من الاحتكار، ولذلك عقب بقوله: " من الناحية العملية، كانت تجارة الجزائر عرضة للأوامر المحلية، التي كانت تطبق بدقة متناهية" [3]

1- ليس هذا حكما عاما على كل حكام الإيالة، فقد أورد الزهار في مذكراته، أن الجراد غزا البلاد، في عام 1814م، فأكل الزرع، ووقع الغلاء، فأعطى عمر باشا " القمح لجميع الخبازين، وجعل له سعرا على سعر أيام الرخاء، وأمر الخبازين بعمل ما يلزم للبلاد"

يراجع:

الزهار، مرجع سابق. ص 117

كما أن الإدارة حاولت التقليل من حدة الأزمات، وذلك بتموين الأسواق بالمواد الأساسية، وتدعيم أسعارها، ومراقبة عملية توزيعها. وفي هذا الصدد، يُذكر إحسان الباي محمد الكبير، الذي كان يكثر من الصدقات زمن الكوارث، ويعفي من الضرائب، القبائل المتضررة من الكوارث الطبيعية.

يراجع:

أرزقي شويتام، مرجع سابق. ص 282 و ص 310

2 - Venture de Paradis, <u>Tunis et Alger au 18 eme siècle</u>, la bibliothèque arabe sindbad, 1983, p 123

3- ويليام سبنسر، مرجع سابق. ص ص 123- 124

وإذا كـان الأهـالي قـد حرمـوا ممارسـة تجـارة الـصوف، فـإن اليهـود نافسوا الوكالـة الإفريقية بشدة[1]، حيث كانوا يتـاجرون مـع ليفورن، ويبـذلون كل جهد للسيطرة علـى هذه المادة [2].

2- 4- التهرب الضريبي وممارسة التهريب

لم يكن اليهود مرتبطين مـع الجزائـر بميثـاق أخلاقـي يجبرهم علـى الـولاء لهـا، وإنمـا كانـت تحـركهم مـصالحهم، أمـا خزينـة الإيالـة فلـم يعتبـروا أنفسهم معنيين بـشيء تجاههـا، ولهـذا اسـتخدموا كـل الحيـل للإفـلات مـن الجمـارك، كحـصولهم علـى جنـسيات مزدوجـة إسـلامية مـسيحية، واسـتعارة أسـماء جزائريـة، ورفـع العلـم الجزائـري علـى سفن يهوديـة وغيرها.

كمـا كـان اليهـود يـشتركون مـع التجـار الأجانـب، فيغـرونهم حتـى يتهربـوا مـن دفـع الضرائب ، ويستعيرون أسماء تجار فرنسيين، مستخدمين الرشوة والنفوذ السياسي للتغلب على كل الصعاب.

أما التهريب فكان من اختصاصهم، فقد كان يهود مرسيليا همزة وصل بين الجزائـر وهولندا في تهريب الأسلحة، يوفرون المواد المحظورة في أسواق أوربا، وعملوا كعمـلاء مـزدوجين يقـدمون الخـدمات لمـن يـدفع أكثـر، خاصـة فـي حـالات الحـصار والمقاطعـة العسكرية.

وانطلاقا من هذا اشـترى صـمويل مـواتي Samuel Moati بعض البـضائع التـي كـان يمنع تصديرها إلى الجزائر، بموجـب قـانون جـانفي 1794م[3]، كالأسلحة، واستقدمها إلـى الإيالة بطلب من الداي حسن لحاجته إليها [4].

1- لم يتردد ماسون أبدا في الإقرار بسيطرة اليهود على التجارة الخارجية للإيالة، بعد أن أكد ظاهرة احتكار الدايات لكثير من المواد الأساسية.

يراجع:

Masson, P, Op.cit. p 310 et suite.

2 - Venture de Paradis, Op.cit. p 123

3- أصدرته لجنة الخلاص العام Comité du Salut Public

4- رحمونة بليل، مرجع سابق. ص 45

وقد فرض نظام الحكم رسوما جمركية [1] مقدارها 2.5 % على الصادرات، و12.5% على الواردات، سواء تعلق الأمر بسلع الأتراك أو الأهالي أو اليهود[2]، و05% على الواردات التي يتكفل بها الأوربيون. ورغم أن 2.5% لم تكن لتؤثر على أرباح اليهود، التي كانت تصل أحيانا إلى 400 % [3]، فإنهم ظلوا يمارسون التهريب بشكل فاضح.

وحتى لو سلمنا بقول بعض المؤرخين[4]، بأن اليهود فقط هم الذين كانوا يدفعون 12% من قيمة الواردات ، وأن هذا هو سبب عزوفهم عن ممارسة الاستيراد، والتوجه إلى الاهتمام بالصادرات، مع اتخاذ كل أساليب التهرب الضريبي، فإن المنطق يفرض علينا معالجة المسألة بنوع من التريث. ذلك أن طائفة اليهود كانت أكثر الطوائف غنى بممارستها للتجارة، ضف إلى ذلك طبيعة أفرادها، الذين اتسموا بكثرة التحايل، وتعدد أساليب التهرب الجبائي، وهو ما جعل الحكام يشكون دوما فيما يتم إقرارهم به، فيرفعون الضريبة لعلمهم أنها لا تساوي شيئا مما في خزائن اليهود.

5-2- سيطرة اليهود على البحر المتوسط:

توسعت النشاطات اليهودية على مستوى البحر المتوسط بشكل كبير، فقد شملت إيطاليا وفرنسا وإسبانيا والبرتغال وغيرها، كما توسعت في الضفة الجنوبية للمتوسط؛ في تونس وليبيا والمغرب، ولهذا قال دوبوا تانفيل Dubois Tainville ،القنصل الفرنسي بالجزائر،عن بوشناق وبكري: "هي الأسرة الوحيدة التي كانت تتميز بطموح واسع، وتتمتع بثقة حكام الجزائر، فإنهم شركاء في كل مكان، وامتدت علاقاتهم إلى باريس،

1- استغل بعض الكتاب الأوربيين، أنصار المدرسة الاستعمارية، قضية الضرائب للتشهير بالحكم العثماني في الجزائر، إذ اعتبروا أن غايته القصوى إنما كانت جمع الضريبة، أما قضية الجهاد والدفاع عن البلاد ضد القوى المسيحية، فيعتبرونها مجرد غطاء لغاية العثمانيين هذه.

يراجع:

Voisin, G, L'Algérie pour les algériens, Paris: Michel Lévy frères. 1861. p 25

2 -L, de Tassy, Op.cit. p 293

3- فوزي سعد الله، مرجع سابق. ص 205

4- أمثال ماسون Masson, Op.cit. p 583

مرسيليا، عنابة، جنوة، ليفورن، مدريد، وكل الموانئ الإسبانية، ولندن ولشبونة، وهامبورغ، وفيلاديلفيا، واستولوا على كل تجارة المغرب"[1]

وقد جاء عن إيزنبيث، وصف نوح، القنصل الأمريكي في تونس، للشركة نفسها بكونها " ذات النفوذ اللامحدود"[2].

أما ماسون، فلاحظ أن عدد السفن الفرنسية على السواحل الجزائرية كان كثيرا، لكن المؤكد أن هذه السفن لم تكن تعمل لصالح الفرنسيين وحدهم، فقد كانت تستأجر من قبل الأجانب، خاصة اليهود، الذين واصلوا سيطرتهم على السواحل الجزائرية، وحافظوا على علاقاتهم مع ليفورن.[3]

وبهدف توسيع نشاطاتها، فتحت شركة بكري وبوشناق مراكز لها في موانئ البحر المتوسط، ونظرا لنفوذ بوشناق في الجزائر، أصبح قادرا على التفاوض باسم الداي، مع ممثلي الدول التي فيها مراكزه التجارية، وعلى التعامل مع القناصل، حتى إن نابليون كان يتفاوض مع الجزائر عن طريق بكري وبوجناح.[4]

وقد مثلت هذه المراكز التجارية في الموانئ الأوربية نوعا من الرابطة الروحية والمادية بين اليهود، فتجارة غنائم البحر مثلا كانت بيد 2000 يهودي من الجزائر، وكانوا يبعثون بما يشترون من سلع، إلى إخوانهم في ليفورن.[5]

ولما اشتدت أزمة فرنسا بعد ثورة 1789م، حاولت الاستعانة بالأجانب، بعد ما كان تجار مرسيليا يضيقون عليهم، ومن هنا أصدرت السلطة الفرنسية قوانين جديدة، نصت على حرية التجارة، فدخل اليهود مرسيليا، واستطاعوا تحويلها تدريجيا إلى مركز تجاري هام، يوزعون على الموانئ الأوربية انطلاقا منه، المنتوجات التي كانوا يصدرونها من الجزائر.

1- أرزقي شويتام، مرجع سابق. ص 256

2- Eisenbeth, M, Les juifs en Algérie… p 371

3- Masson, Op.cit. p 155

4- محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية...ص 265

5- Masson, Op.cit. p 84

ومن أبرز الوكلاء المشرفين على تجارة اليهود في مرسيليا: يعقوب توبيانا، موسى جيورنو، سلمون ناربوني، أرون سافر، لزاربي سيمون،[1] وهؤلاء أنفسهم هم الذين قاموا بأدوار الجوسسة، وربط العلاقات مع الشخصيات الفرنسية، لتوظيفها في خدمة المصالح اليهودية.

وقد شكل اليهود خطرا على المؤسسات الفرنسية، سواء في فرنسا، أو تلك التي كانت لها امتيازات في الجزائر.

فالوكالة الإفريقية مثلا كانت تشتري الجلود من الأهالي بأسعار معلومة، وتشترط عليهم أنواعا معينة منها، إذ ترفض الأصواف التي تأتي بها القبائل في المواسم والأعياد، بحجة أن نوعيتها كانت سيئة، ومن هنا دخل اليهود، فرفعوا سعر الجلود، واشتروا كل أنواعها بدون استثناء، فاعتبر الأهالي التعامل معهم أيسر من التعامل مع الوكالة، وبذلك نافسوها بشدة [2].

ومن باب الاستخدام الأمثل للمراكز اليهودية في البحر المتوسط، ربط اليهود تجارتهم في وهران بالمناطق التي قدموا منها، فعائلة كابيزا Cabeza مثلا، قدمت من المغرب [3]، وعائلات بينوليال Benoliel، وقابيزون Gabison، وتوبيانا Tubiana، قدمت من جبل طارق، فكان ارتباط كل تاجر بمنطقته من باب تسهيل أمر تجارته، بحكم معرفته بالمنطقة ، أو بحكم وجود شركاء له فيها، ولذلك صار حجم التجارة اليهودية في وهران كبيرا، إذ أن ثلثي المعاملات التجارية على مستوى مينائها، كان من نصيب التجار اليهود، الذين رأوا في التعامل مع إسبانيا، مجالا أوسع لتحقيق الربح،[4] وقد كان من هؤلاء التجار الكثير، نذكر منهم على سبيل المثال دافيد ليفي بالنسي، صمويل حسان، مخلوف بنيشو، أبراهام خلفون.[5]

6-2- استخدام كل الوسائل لتحقيق الربح:

1- محمد دادة، مرجع سابق. ص 127

2- محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية...ص 216

3- أصلها من المغرب، استقرت في ألميرية، ثم قدمت إلى وهران، وأصبح أفرادها من أكبر تجار المدينة، وكان لإسرائيل كابيزا ثلاثة أولاد: سلمون، دافيد، وجوزيف.

4- Aissa Chenouf, Op.cit. p 49

5- محمد دادة، مرجع سابق. ص 118

لقد ذكرنا سابقا أن اليهود لم يكونوا مرتبطين بالجزائر إلا بالقدر الذي يحقق مصالحهم، ويضمن أرباحهم، أما مصلحة البلاد ، فلم تكن تهمهم في شيء، ولذلك كتب دو تاسي: " واليهود الذين يعتبر عددهم كبيرا في الجزائر، لا يفوتون أية فرصة حيث يمكن تحقيق الربح" [1]

أما شالر فقال: " لقد وصلت بعض الشركات اليهودية، في أوقات الرخاء في الإيالة، إلى قمة الثروة والرفاهية" [2]

وإذا كان هدف اليهودي هو تحقيق الربح، فإن الوسيلة التي تتخذ لذلك، لا يصبح لها إلا معنى واحد، وهو أن توصل إلى هذه الغاية الكبرى، أما الحديث عن شرعية الوسيلة، والمبادئ التي ينبغي أن يتصف بها المتعامل، فهي من الأمور الزائدة في نظر اليهودي، ولذلك يثمن الحاخام اليهودي جورج فيربو عمليات التحايل، ويعتبرها مهارة، إذ يقول محدثا ولده " أترى يا بني أن عزيزنا الموقر بوشناق ، كان تاجرا ماهرا " [3] ، وقد جاء هذا التثمين لدور بوشناق، في سياق حديث فيربو عن قضية الصريمة، التي باعها نافتالي بوشناق للداي مصطفى، حين كان بايا على قسنطينة، والتي حقق فيها اليهودي ربحا مقداره 3450000 فرنك، رغم أنها لم تكلفه أكثر من 30000 فرنك.

وفي 1795م، اتفق الفرنسيون مع شركة بكري وبوشناق على تزويدها لهم بـ 200 ألف حمولة من القمح، 50% منها بسعر 100 فرنك للحمولة، والباقي بسعر 120 فرنكا، في حين أن الوكالة الإفريقية، كانت توصل هذا القمح إلى فرنسا بسعر 30 فرنكا [4]، أو 42 فرنكا [5] للحمولة الواحدة.

وكانت هذه الأوضاع التي عاشتها فرنسا قد شجعت بكري ، فاتفق مع السياسي تاليران [6] على تزويد الجيوش الفرنسية في إيطاليا، ومن جهة أخرى ساند اليهود التجار

1-- L, de Tassy, Op.cit. p 99

2- شالر، مرجع سابق. ص 91

3 -Virebeau, G, Op.cit. p 06

4- محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية ... ص 269

5 -Virebeau, G, Op.cit. p 08

6- شارل موريس دو تاليران- بيريغورد Charles-Maurice de Talleyrand-Périgord (1754م – 1838م)، تقلد مراتب عسكرية، ثم صار وزيرا للخارجية الفرنسية في عهد الثورة، وتحت حكم نابليون، كما حافظ على منصبه =

الماهونيين في صراعهم مع المؤسسات الفرنسية في الشرق الجزائري، وحتى بعد أن سحبت الإيالة الامتيازات من الإنجليز عام 1817م [1]، تعاون بكري وشركاؤه مع الماهونيين لتزويد مدينتهم بما تحتاج إليه، غير مبالين بما وقع من الإنجليز في حملة إكسموث عام 1816م.

2-7- تعدد النشاطات اليهودية:

2-7-1- النقل

في نهاية القرن 18م وبداية القرن 19م، كان البحر المتوسط يعج بالصدامات العسكرية، ولم يعد الأسطول الجزائري يتحكم في الأوضاع، وإنما نافسته أساطيل أوربية ازدادت قوة مع الوقت، مستفيدة من إنجازات الثورة الصناعية، ورغم هذا كله توسع مجال النشاطات التجارية، فاشتغل اليهود بالتصدير والاستيراد، واشتغلوا بالنقل، كما مارسوا تجارة العبيد.

وصارت التجارة بين الجزائر وليفورن واسعة، حيث شملت البضائع والمعادن الثمينة كالسبائك الذهبية، وحتى القطع النقدية، التي يتم تهريبها، للتعامل بها في ليفورن مع التجار الجزائريين، في شراء منتجات جزائرية يعاد بيعها في الجزائر [2].

وقد أشرنا سابقا إلى ملاحظة ماسون Masson التي مفادها أن 2000 يهودي اختصوا بشراء غنائم الجهاد البحري، وكانوا يرسلونها إلى يهود آخرين في ليفورن، حيث يعاد بيعها للأوربيين بأثمان باهظة.

وكان توسيع اليهود لنشاطاتهم من باب الاحتياط، حتى لا يقعوا تحت رحمة تقلبات الظروف الدولية، إذ لم يقصروا نشاطهم على التجارة بشكل صرف، وإنما اختص بعضهم في النقل، حيث امتلكوا سفنا أجروها للتجار الأوربيين، وكانوا يتعهدون بضمان السلع المنقولة.

= بعد عودة الملكية. صار أعرج بعد تعرضه لحادث، ولهذا سماه البعض "الشيطان الأعرج" لكثرة دهائه، وقدرته على التأقلم مع مختلف الظروف التي عاشتها فرنسا، في زمن كل من الملكية والجمهورية.

1- استرجع الفرنسيون هذه الامتيازات بموجب اتفاقية 15 مارس 1817م.

2- رحمونة بليل، مرجع سابق. ص 142

فحين عزمت الثورة الفرنسية عام 1794م، على الانتقام من الطبقات التي كانت لها حظوة زمن الملكية، تم إعدام 251 من الأثرياء، بين 13 مارس و 24 أبريل من السنة ذاتها، فهاجرت الطبقة المالكة لوسائل النقل، بعد أن عطلت أساطيلها، وهو ما أضر بالوكالة الإفريقية، التي فقدت جزءا من البنية التحتية التي كانت تعتمد عليها، ومن هنا لجأت إلى استئجار السفن، ووجد اليهود فرصة لتحقيق الربح، حيث صاروا يستأجرون للفرنسيين سفنهم، أو سفنا أخرى بالوساطة، مستخدمين في ذلك حظوتهم لدى الداي حسن، فيرفعون عليها أعلاما جزائرية، حتى لا تتعرض لشيء، وهي في طريقها إلى فرنسا.

ونظرا لأن الظروف في الجزائر، صارت ملائمة لليهود، كي يمارسوا أنشطتهم المختلفة، كثرت شركات اليهود الجزائريين، المختصة بالتجارة في البحر المتوسط، نذكر منها شركة جوزيف سيداكا، شركة أفراييم حوران، شركة بوشارا جودا دوران، شركة كوهين سولال ومسعود توبيانا، شركة جوزيف ثابت، شركة سيمون أبوقية، شركة ماردوخاي سارفاتي وغيرها، لكننا نشير إلى أن شركة بكري وبوشناق وحدها شحنت فقط من ميناء وهران 100 سفينة، عام 1793م؛ حملت 75 ألف قنطار من القمح، و 60 ألف قنطار من الشعير[1]. وفي 1795م، استقبل بكري في ميناء مرسيليا، 33 سفينة كانت قد شُحنت لحسابه من الجزائر، وفي 1796م، استقبل 34 سفينة أخرى[2].

وفي 18 ديسمبر 1798م، بعث القبطان الألماني كالينيش Callinich رسالة من جبل طارق، يثبت فيها أنه كان يبحر على متن الباخرة La Estella التي يمتلكها بكري وبوشناق.

وفي 1799م، بعث لورانس أوليفيي رسالة إلى مينوركا، يتحدث فيها عن حمولة قمح صادرها بحارة من مدينة راغوز Raguse الصقلية، وأنها كانت ملكا لبكري[3].

1- رحمونة بليل، مرجع سابق. ص 160

2- جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619م – 1830م، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب. 1987. ص 274

3- Ayoun, R, Une famille dans l'Histoire.

الرابط: www.globtrotter.net بتاريخ 2007/04/02

2-7-2- افتداء الأسرى

كما اختص كثير من اليهود في الوساطة المالية، خاصة فيما يتعلق بافتداء الأسرى، فأولوه عناية خاصة لكثرة عوائده.

وكان وراء اهتمام الدول بالأسرى عوامل اقتصادية وإستراتيجية، فالأسرى الأوربيون في الجزائر، كان كثير منهم أصحاب مهارات كبيرة، متضلعين في فنون عدة، متقنين لصناعات وحرف، وقادرين، بحكم الثقافة والاطلاع، على شغل مناصب هامة في الدولة.

ومن الأسرى الأكثر أهمية بالنسبة لحياة الإيالة كلها، الملاحون والبحارة، فبمداركهم الملاحية والتنظيمية، يوفرون للأسطول الجزائري، الإمكانات البشرية التي تعذر عليه توفيرها محليا، فمنهم الرايس المحنك، والربان البارع، والصانع الخبير، والنجار الدقيق، وغيرهم، سواء على متن السفن أو داخل الورشات[1].

ونظرا لهذا الدور الخطير الذي قام به الأسرى، عمل الأوربيون على منع انتقال تقنيات الملاحة الأوربية، وهو ما لم يكن ممكنا إلا بمنع انتقال أصحابها، أي الكفاءات البشرية المتخصصة، مع إعطاء هذا المنع بعدا دينيا، عن طريق البابوات [2]، حتى يكسب قوة الردع انطلاقا من الوازع الديني المسيحي، مدعما بالوازع السلطوي، حيث اعتُبر في أوربا، اشتراك العنصر البشري الأوربي في دعم الأسطول الجزائري، خيانة يعاقب عليها بالإعدام.

وبما أن البحرية الجزائرية استطاعت إلقاء القبض على كثير من الأوربيين، وتحويلهم إلى أسرى، ورغم تضاؤل عددهم في بداية القرن 19م، فإن الدول الأوربية سعت إلى تحريرهم، انطلاقا من أبعاد إستراتيجية عسكرية، لا من أبعاد إنسانية بحتة كما

1- حسن أميلي: " البحرية العثمانية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين من الريادة إلى التبعية" ، العثمانيون والعالم المتوسطي، مقاربات جديدة. الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة. 2003. ط 1. ص 111

2- عثرنا على وثقة بالمكتبة الوطنية، رقم 3190/404 هي عبارة عن رخصة سلمها الداي محمد بن عثمان عام 1182ه/ 1768م، إلى مبعوث البابا إيمانويل ، الذي يصطحب مجموعة من الأسرى الذين ثم افتداؤهم في الجزائر، وفيها تفصيل لأثمان الفدية والموازنة بين العملتين الإسبانية والجزائرية.

يـدعى الكتــاب الأوربيـون، وفــي هـذا الإطــار تـم اسـتخدام الوسـطاء التجــاريين اليهـود، وتشجيعهم على بذل الفدية، حتـى لـو كانـت كبيـرة، لتحريـر أكبـر عـدد منـهم، وبذلك سـاهم اليهود بشكل خطير، في ضرب الأسـطول الجزائري، من خـلال ضرب جزء من المـقوّم البشري الذي اعتمد علـيه [1]، ولـذلك جاء الأمر إلـى القنصل الأمريكـي بتـونس، اليهودي نوح، ببذل 36000 دولار، لفدية 12 أمريكيا، كانوا أسرى بمدينة الجزائر[2].

وقد مارس اليهود هذا النشاط، من خلال الوساطة بين الأسير وأهله، أو إقراضه مالا بالربا ليفتدي نفسه، أو من خـلال شراء الأسير وبيعه فـي ليفورن، حيث أقاموا سـجونا، يحبسون فيها الأسرى، الذين ينقلونهم من الجزائر، ولا يطلقون سراحهم إلا إذا حضرت فديتهم، وكان دوق توسكانيا متورطا في هذه العملية، إذ هو الذي وفر هذه السجون[3].

واستخدم اليهود كل الأسـاليب حتـى الملتويـة منهـا، فـي هـذا النـشاط، فقد سـاق وولـف مثالا عن الأسير الدكتور أندرهيل الذي افتدى نفسه بأموال وفرها من معالجة يهودي، فلما خرج من الجزائر، باعه اليهودي، غدرا، إلـى سيد تونـسي، ومـن حسن حظـه أن الـسفينة التي كانت تقله، وقعت في يد بحارة برتغاليين أطلقوا سراحه[4].

وقـد أعطـى هـاداي [5] ، أسـماء بعـض اليهـود، الـذين مارسـوا حرفـة افتـداء الأسـرى، وحققوا منها الأرباح الطائلة، وهو ما سنلخصه في الجدول الموالي:

1- من أهم المهندسين الأوربيين، الذين اشتغلوا في تزويد البحرية الجزائرية من خلال صناعة السفن، القرصان الفلاماندي سيمون دانسا Simon Dansa ، في القرن 17م، والمهندس الفرنسي جوفراي Geoffray ، الذي وضعته الثورة الفرنسية في خدمة الداي حسن، لعلاقته بها، والمهندس الإسباني مايسترو أونتونيو Maestro Antonio الذي أوكل إليه التصرف في الترسانة البحرية الجزائرية، والمهندس المرسيلي غازال Gazel الذي اشتغل مع الجزائريين في تجهيز ترسانتهم عام 1814م.

يراجع:

سعيدوني والمهدي البوعبدلي، مرجع سابق. ص ص 64 - 65

2-Eisenbeth, M, Les juifs en Algérie… p 358

3- جون وولف، مرجع سابق. ص 168

عزيز سامح ألتر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، بيروت: دار النهضة العربية.1989. ص 409

4- جون وولف، مرجع سابق، ص 168

5- سنعتمد على محمد دادة الذي نقل هذه الأسماء عن هاداي. محمد دادة، مرجع سابق. ص 106

الشركة	الفترة الزمنية	عدد الأسرى الذين تم افتداؤهم
إسحاق سليمان	1717م – 1722م	104
نفتالي بوشناق (الجد)	1723م – 1738م	26
إبراهيم بوشناق	1724م – 1733م	10
دافيد كوهين سلمون	1730م – 1741م	103
يعقوب رافاييل بوشارة	1738م – 1747م	133
يعقوب بوشارة	1738م – 1753م	04

جدول بأهم الأسماء اليهودية التي مارست عمليات افتداء الأسرى

3-7-2- العقار والعملة:

حفظت ذاكرة المجتمع الجزائري في عهد الدايات لليهود تعاملهم ضده على أكثر من صعيد؛ في مجال الجوسسة لصالح الحكام، وحتى لصالح الدول الأجنبية، واستغلال نفوذهم السياسي والتجاري لتجويع أبناء المجتمع، حتى في حالات المجاعات والأوبئة والكوارث الطبيعية. ورغم هذا اعتبر الجزائريون اليهود جزءا من مجتمعهم إلى حد ما، فكثر التعامل بين الطرفين، وكان على رأس المتعاملين مع اليهود، الدايات وموظفو الدولة خاصة في مجال العقار، ونذكر من هؤلاء الدايات[1]، على سبيل المثال:

- علي بوصباع (1754م – 1766م)
- محمد بن عثمان باشا (1766م – 1791م)
- حسن باشا (1791م – 1798م)
- مصطفى باشا (1798م – 1805م)
- الداي حسين (1818م – 1830م)

كما دخل الموظفون على مستوى دار السلطان، في معاملات مع اليهود، ولا شك أنها أحدثت نوعا من التقارب، استغله اليهود في الضغط على الإدارة، لقضاء مصالحهم

1- نجوى طوبال، مرجع سابق. ص 185

الخاصة، إذ لا يصعب عليهم في مثل هذه الحالات، التوصل إلى استصدار قرارات لصالحهم.

وكان عمل اليهود في الإدارة يسهل مهامهم هذه، فقد اشتغلوا على عهد الدايات بصفة خوجة، أي مستخدم في مكتب، لكن الملاحظ أنه تم إقصاؤهم من مهام الجمارك، خوفا من أن تفاهمهم مع بني دينهم، يمنع من تحصيل الضرائب، ويزيد من حدة التهرب الجبائي[1].

ونظرا لمعرفة اليهود بالعملة، تم استخدامهم في الخزينة، ذلك أنهم كانوا أقدر على تمييز أنواعها، خاصة المغشوش منها، وكان أمين السكة يشرف على 04 موظفين، منهم يهوديان، أولهما يراقب حسن صناعة النقود، والثاني يتولى وزن القطع، ويعلن عن الأوزان بصوت عال، أما العمال الذين يشتغلون في هذا كله، فجميعهم من اليهود، وعددهم 24 [2].

وكانت حقوقهم محفوظة، إذ يتقاضون 400 صائمة عن كل قنطار من المعدن يتم صبه، ويستلمون 05 ريالات [3] عن كل رطل من قطع السلطاني [4].

كما أسندت إلى اليهود عملية معالجة النقود بالنار، وتنظيفها وطلائها من جديد، وهو عمل يتقاضى عنه أصحابه 03 ريالات، مقابل معالجة 1000 ريال[5].

ولم يقتصر استخدام اليهود في مجال العملة على الخزينة العامة فقط، وإنما كان الأهالي يستعينون بهم عند عقد الصفقات، واستلام أثمانها، تفاديا للوقوع ضحية التعامل بالنقود المزورة التي كثر تداولها في نهاية العهد العثماني [6].

1- Garrot, Op.cit. p 45

2- نجوى طوبال، مرجع سابق. ص 173

3- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي ... ص 190

4- السلطاني هو الوحدة الأساسية للنقود الذهبية الجزائرية، وقد تراوحت قيمته بين 11 فرنكا و 28فرنكا

ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي ... ص207

5- محمد دادة، مرجع سابق. ص 89

6- نشير هنا إلى أن هذه النقود المزورة، كانت تجلب من الموانئ الأوربية، أو تصنع محليا بمناطق جرجرة، وقد اشتهرت في صنعها قبيلتا آيت الأربعاء وعلي أوخروبة، بينما اختصت قبائل أخرى في تصريفها، كبني مغيلة وبني درار وبني واصيف، وكان من النتائج السلبية لهذه الظاهرة، أن شاعت المقايضة، وضاق مجال البيع.

يراجع:

سعيدوني والمهدي البوعبدلي، مرجع سابق. ص 67

وليس استخدام اليهود في ميدان العملة، في حد ذاته غريبا، لكن الخطر يكمن فيما يترتب عنه، من دخول إلى القصر، ومعرفة بالعملة، وهي من أسرار الدولة، ولما صارت في أيدي اليهود استغلوها لتثبيت نفوذهم لدى الدايات، ولذلك كتب فيربو أنه حينما أصبح بوشناق مستشارا للداي، صارت خزينة القصبة تحت تصرفه، فأحسن استغلالها لصالحه، ثم أضاف: " وقد نعته (الحمقى) بملك الجزائر، ولم يكن هؤلاء المساكين من الغوييم، يدركون أنهم أقرب إلى الحقيقة" [1]

2-7-4- الصناعة:

عاشت أوربا ابتداء من منتصف القرن 18م تحولات عميقة على كل المستويات، حتى الاجتماعية منها، وقد نشأت هذه التحولات عن الثورة الصناعية، التي نمت في ظل التفكير المتحرر، القائم على المبادئ العقلية، ثم توسعت تأثيراتها مع الثورة الفرنسية، التي أسقطت ما تبقى من امتيازات الإقطاع والطبقة الأرستقراطية، وكان من أبرز نتائجها ظهور رأسمالية صناعية، نتيجة لتراكم رؤوس الأموال، واستثمارها في مشاريع صناعية مختلفة.

وإذا كانت هذه الثورة قد غيرت وجه أوربا، فإن الجزائر ظلت بعيدة عن الاستفادة منها، وليس معنى ذلك افتقار الجزائر إلى أبسط مقومات الصناعة، فقد عرفت حركية صناعية لكنها ظلت بسيطة، تعتمد على الإمكانات المتاحة، والخبرات الموروثة، خاصة في إطار العائلات العريقة ذات التاريخ المعروف، في مجالات الصناعات النسيجية، الجلدية، الفخارية، النحاسية، والغذائية وغيرها.

وحتى إذا سلمنا بأن الحالة الاقتصادية للجزائر، أواخر العهد العثماني، لم تكن أسوأ من مثيلاتها على مستوى الدول الأوربية [2]، باعتبار ما ميز الجنوب الإيطالي وإسبانيا وسردينيا واليونان وغيرها، من فقر وجهل وانتشار للصوصية، وتخلف على مستوى

---

1 - virebeau, G, Op.cit. p 07

2- سعيدوني والمهدي البوعبدلي، مرجع سابق. ص 83

الصناعة والزراعة، فإن انهيار الجزائر أمام فرنسا، في أول صدام حقيقي ضد قوة أوربية، كاف للدلالة على الخلل الذي كان قد أصاب الاقتصاد في الصميم [1].

ثم إن أوربا بذلت كل ما في وسعها ليبقى شمال إفريقيا، والجزائر جزء منه، بعيدا عن التأثر الإيجابي بالثورة الصناعية، حتى يظل سوقا تجارية تصرف فيها المنتوجات الأوربية، ومصدرا هاما يوفر لها المادة الأولية، " ولإبقاء هذا الوضع، كانت الدول الأوربية لا تتردد في تقديم الهدايا والمبالغ الضخمة للأعيان، الذين يمكن أن يكون لهم تأثير في سياسة البلاد" [2]

وإذا كان اليهود قد ساهموا بشكل كبير في تطوير الصناعة بالإيالة، في بداية عهد المهاجرين من الأندلس بها، فإنهم في القرن 18م وبداية القرن 19م، انصرفوا إلى التجارة بكل فروعها، لكثرة الأرباح التي تحققها، وأهملوا الصناعة، ومن بقي منهم متشبثا بها على أنها إرث عائلي، اقتصر على مزاولتها دون القيام بمحاولات جادة لتطويرها، وكان بمقدور اليهود، بحكم معرفتهم بأوربا وقوة اتصالاتهم بها، استغلال الخبرة الصناعية في العالم الأوربي، فيحدثوا بذلك تحولا في الصناعة الجزائرية.

ولا يمكن لأحد أن ينكر اهتمام اليهود بالصناعات الحرفية، خاصة صناعة المعادن الثمينة، فقد كان لهم باع طويل فيها، وهم الذين سيطروا على أسواقها في الحواضر الكبرى، لكنهم اهتموا أكثر بالعملة كنشاط " إستراتيجي" آنذاك، فهي التي أدخلتهم إلى قصر الداي، خاصة بعد أن نقل علي خوجة مقر الحكم إلى القصبة، وألحق به الخزينة عام 1817م، كما اهتموا بالخياطة، حيث كان معظم الخياطين في مدينة الجزائر من اليهود [3]، وقد قربتهم هذه الحرفة أيضا من الدايات، وأدخلتهم إلى قصورهم، بحجة توفير الملابس لهم ولعائلاتهم، ولذلك فتحوا ورشا فيها [4]، فتحولت هذه الحرفة على بساطتها إلى نشاط خطير، يرقب كل التحركات داخل القصر، ويجمع الأخبار ويدبر المؤامرات.

1- لسنا هنا بصدد تأكيد أفكار المدرسة الاستعمارية التي ترى أن الجزائر كانت في مرحلة انهيار كلي، وأن الاحتلال لم يتسبب في شيء، وإنما نحن بصدد إظهار مواطن الخلل الذي عانت منه الإيالة.

2- محمد العربي الزبيري، مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث، الجزائر: المؤسسة الوطنية الطباعة. 1985. ص 110

3- أرزقي شويتام، مرجع سابق. ص 230

4- محمد دادة، مرجع سابق. ص 87

خلاصة:

يتبين لنا من خلال ما سبق، أن النشاط اليهودي في الجزائر، ما انفك يتزايد، وتتشعب فروعه، حتى صارت لليهود سيطرة شبه مطلقة على النشاطات الاقتصادية الجزائرية، خاصة التجارة الخارجية.

ولم يكن اليهود ليصلوا إلى ذلك، لولا التواطؤ الكبير الذي كان من قبل الحكام، فهم الذين سهلوا لهم عمليات الاحتكار على حساب الطبقة التجارية المحلية، بل استخدموا نفوذهم السياسي ليوفروا لهم الحماية الضرورية، حتى على المستوى الخارجي، وكثيرا ما فسدت العلاقات الجزائرية الأوربية بسبب اليهود ومصالحهم.

ثم إن اليهود لم يدخروا أية وسيلة بإمكانها أن توفر لهم توسيعا أكبر لنشاطاتهم المختلفة، لقد زاولوا التجارة بنوعيها الداخلي والخارجي، واهتموا بافتداء الأسرى وبالعملة التي استغلوها لتثبيت نفوذهم داخل القصر، فاطلعوا على كثير من أسرار الدولة، كما اشتغلوا بالنقل الذي سهل لهم التعامل مع الأوربيين، خاصة في أوقات الشدة، كتلك التي تعرض لها الفرنسيون في أعقاب قيام ثورة 1789م.

وفي هذا كله، تجدر الإشارة إلى أن اليهود كانت تحركهم مصالحهم بالدرجة الأولى، أما مصلحة البلاد فلم تكن تعنيهم في شيء، والدليل أنهم عرضوها إلى هزات عنيفة، على المستويين المحلي والخارجي على السواء.

الفصل الثالث

دور اليهود في دبلوماسية الجزائر

مقدمة:

منذ بداية العهد العثماني بالجزائر، رحب خير الدين باليهود الوافدين من إسبانيا[1]، وكان كثير من اليهود الأشكيناز قد قدموا قبل ذلك من إيطاليا عام 1392م، هولندا عام 1350م، فرنسا عام 1403م، إنجلترا عام 1422م ، ليأتي دور اليهود القرانا الذين كان توافدهم على الجزائر ملفتا للنظر.

ولعل التسامح الذي أبداه أهل الجزائر تجاه اليهود هو الذي مثل عامل الجذب الرئيسي لهذه الطائفة التي ساهمت إلى حد ما في الاقتصاد الجزائري، نظرا لتمكنها من كثير من الصناعات الحرفية، ومن التجارة، وحتى من مجال العملة.

لكن هذه الطائفة لم تتوقف عند حدود التجارة والصناعة، وإنما تجاوزتها إلى التدخل في الحياة السياسية للإيالة، إن على المستوى الداخلي أو حتى على مستوى علاقاتها الخارجية، خاصة مع البلدان الأوربية.

ومن هنا صار الوجود اليهودي بالجزائر يكتسي طابعا خاصا بالنظر إلى تفاعل الطائفة اليهودية مع الصراع الجزائري المسيحي، وهو ما أقحمها في النهاية في مسألة التحالفات في المنطقة والمساهمة في المباحثات التي كانت تجري بين الجزائر وغيرها من دول البحر المتوسط، لينتهي ذلك كله بقضية ضلوع اليهود في مؤامرات صارت الجزائر ضحية لها، وهو ما يضعنا أمام ضرورة دراسة دور اليهود في دبلوماسية الجزائر من جهة، ويضعنا من جهة ثانية أمام مسألة أخرى لا تقل أهمية وضرورة، وهي فهم طبيعة هذا الدور وحدوده، حتى لا تضيع في إطار تضخيمه حقائق تتعلق بوجود وطبيعة الدبلوماسية الجزائرية ذاتها.

1- لمحة عن الدبلوماسية الجزائرية في أواخر العهد العثماني:

يمكن تعريف الدبلوماسية بأنها عملية التمثيل والتفاوض التي تجري بين الدول والتي تتناول علاقاتها ومعاملاتها ومصالحها [2].

---

1 - محمد دادة، مرجع سابق. ص 32

2- إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية، دراسة في الأصول والنظريات، الكويت: منشورات ذات السلاسل. 1985. ص 391

وعادة ما يطلق على المؤسسة التي تتولى مهمة التمثيل الدبلوماسي اسم البعثة الدبلوماسية، وتتحدد مرتبة هذه البعثة بحسب الأهمية التي تكتسيها العلاقات الدبلوماسية لدولة ما مع دولة أخرى.

بهذا المعنى تكون الجزائر خلال العهد العثماني قد توغلت في عالم الدبلوماسية وعاشت هذه الظاهرة بتفاعل كبير، إذ فرضت عليها الظروف التي عرفتها منطقة البحر المتوسط ربط علاقات في إطار الصراع الإسلامي المسيحي، أو حتى في إطار الصراع المسيحي المسيحي [1].

ولئن ظلت الجزائر مرتبطة مباشرة بإسطنبول في عهد البايلربايات (1518م-1587م) وفي فترة الباشوات (1587م-1659م)، فإنها عرفت استقلالا فعليا مع تولي الآغوات الحكم (1659م-1671م)، وهو ما تدعم خلال المرحلة الأولى من حكم الدايات (1671م-1711م)، لينتهي كل ذلك بتحويل الجزائر إلى دولة إقليمية لها استقلال شبه تام عن الدولة العثمانية في عهد الدايات الباشوات (1711م- 1830م) [2].

وخلال العهد العثماني برزت معالم الشخصية السياسية للدولة الجزائرية، فقد خرجت من إطار الولاية العثمانية المستخدمة كواجهة عثمانية لصد الهجومات المسيحية في غرب المتوسط، إلى كيان مستقل إلى حد بعيد عن الباب العالي، حتى وإن ظل هذا الكيان يضطلع بنفس مهمة التحدي والمواجهة، وهو ما أدخله في حرب مع إسبانيا دامت ثلاثة قرون [3] ، وجر إليه عداء القوى الأوربية، رغم الخلافات التي كانت بينها [4].

ورغم هذا التجاذب السلبي مع العالم الأوربي، فإن الجزائر ظلت تحتفظ بعلاقات متشعبة وقوية، نظرا إلى موقعها الاستراتيجي الهام المواجه لسواحل بعض الدول الأوربية المطلة على المتوسط، ونظرا أيضا إلى حاجة هذه الدول إليها، بسبب قوة أسطولها البحري الذي فرض نفسه في الحوض الغربي للمتوسط كحام للمغرب الإسلامي.

1- دخل خير الدين، وهو أول باي لارباي في تاريخ الجزائر العثمانية، مجال الصراع الفرنسي الإسباني، مدعما فرنسا التي كانت قد عقدت اتفاقية الامتيازات عام 1535م مع الدولة العثمانية.

2- ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق، بيروت: دار الغرب الإسلامي. 2000. ص 168

3- من المؤلفات الهامة التي عالجت موضوع الصراع الجزائري الإسباني حتى نهاية القرن الثامن عشر، ما كتبه أحمد توفيق المدني رحمه الله بعنوان حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا.

4- صارت الجزائر هدفا للتحالفات الأوربية في بداية القرن 19م، خاصة بعد مؤتمري فيينا وإكس لاشابيل.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى كانت مكانة الجزائر وقوتها الإقليمية سببا في هذه العلاقات، خصوصا في زمن الصراع بين الدول الأوربية، حيث بادرت الجزائر مثلا بالاعتراف بالجمهورية الفرنسية الوليدة، في الوقت الذي وقفت فيه أوربا الملكية ضدها.

ولئن كان الدعم السياسي الجزائري هاما إلى حد بعيد، فإن الدعم الاقتصادي ظل يكتسي أهمية أكبر باعتبار الحاجة إلى ما كانت تنتجه الجزائر، خاصة القمح والصوف والأخشاب.

وفي هذا الإطار عرفت الدبلوماسية الجزائرية نوعا من الاستقلالية عن الباب العالي، خاصة في عهد الدايات، حيث تمتع الداي بصلاحيات واسعة في عقد الاتفاقيات وإعلان الحرب وعقد الصلح، بالشكل الذي يراه مناسبا، ولا يبعث إلى السلطان إلا من باب إعلامه بما يحدث، حتى لا تنقطع الرابطة المعنوية التي كانت تجمع الإيالة بالدولة العثمانية.

فلئن كانت مهمة الداي تطبيق القوانين المدنية والعسكرية وتنظيم الجيوش، والمحافظة على الأمن، والإشراف على المالية وعلى التنظيمات الإدارية الضرورية لها، إضافة إلى تعيينه للوزراء، فإن مراسلة القبائل المختلفة ورؤساء الدول كانت من مهامه الرئيسية، وقد استطاع الدايات بفعل تمكنهم من هذه المهمة، ضبط العلاقات الخارجية بشكل يتلاءم من جهة مع تبعيتهم للدولة العثمانية، ويتلاءم من جهة أخرى مع الخصوصية التي تمتعت بها الجزائر كقوة كبيرة في غرب المتوسط، ويتفق من ناحية ثالثة مع طبيعة التجاذب والصراع على مستوى المنطقة كلها.

وفي ظل هذه الظروف أصبح الدايات " يعتبرون أنفسهم كحلفاء للباب العالي فقط، فهم لا يتعاملون مع الدول الأوربية باسم القسطنطينية، بل يتصلون بالأوربيين مباشرة، دون اعتبار لمصلحة الباب العالي [1]، كما أن ممثلي الدول الأوربية لدى الجزائر وإيالات الغرب الأخرى (طرابلس الغرب وتونس) أصبحوا يتجاهلون السيادة العثمانية في تعاملهم مع هذه الإيالات، ولاسيما ممثل فرنسا الذي أصبح يلقب منذ بداية القرن التاسع عشر بالمكلف بالأعمال، وهذا ما جعل العلاقة بين فرنسا والجزائر تكتسي صبغة خاصة،

1- لا ينبغي تعميم هذا الحكم على نظام الدايات كله، ولا يجب وصف كل الدايات بهذه الأنانية التي تجعل مصالحهم فوق كل اعتبار، حتى وإن تعلق الأمر بمسائل جوهرية تمس مصير الأمة، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار مكانة الدولة العثمانية التي مثلت رابطة إسلامية في إطار الخلافة.

جعلت فرنسا تنظر إلى الجزائر نظرتها إلى المغرب الأقصى الذي كان فيه ممثل فرنسي يحمل نفس اللقب" [1]

لقد حظيت المؤسسة الدبلوماسية في الجزائر أيام حكم الدايات، باستقلالية كبيرة تبعا لاستقلالية الإيالة ذاتها، خصوصا بعد أن جمع الداي علي شاوش[2] بين لقب الداي ولقب الباشا، على إثر طرده لإبراهيم باشا مبعوث السلطان العثماني عام 1711م.

في إطار الإيالة العثمانية إذا تمتعت الجزائر بمساحة واسعة من حرية الممارسة الدبلوماسية، وظلت العناصر التركية تضطلع بهذه المهمة زمنا طويلا، ولئن كانت أواخر القرن 18م وبداية القرن 19م قد عرفت تدخلا يهوديا سافرا على مستوى الدبلوماسية الجزائرية، إلى درجة اعتبرها كثير من الباحثين معبرة عن سيطرة شبه تامة، فإن هذا التدخل يعتبر حدثا عابرا، ولا ينبغي أن يتحول إلى الأصل الذي يحكم المسألة كلها، وذلك بالنظر إلى تاريخ الدبلوماسية الجزائرية، حيث لا يمكن تعميم ما حدث خلال فترة لا تزيد عن الخمسين عاما، ليصبح هو الأصل في تاريخ الجزائر العثمانية كله.

إن هذا النفوذ الذي صار لليهود، لم يكن ليتحقق لولا بعض الظروف التي عانت منها الجزائر، كوجود دايات ضعفاء، وتراجع مداخيل البحرية الجزائرية، وافتقار الخزينة العامة إلى كثير من الأموال، وهو ما تزامن مع القوة التجارية لليهود في ظل نظام حكم لم يحسب بدقة عواقب تقريبهم وتمكينهم من احتكار كثير من المواد، حتى الرئيسية منها كالقمح والأخشاب.

ضف إلى ذلك ظروف الصراع السياسي والعسكري على مستوى الحوض الغربي للمتوسط، والذي كانت الجزائر طرفا أساسيا فيه، واستخدم فيه اليهود نظرا لمعرفتهم بمختلف البلدان المتوسطية وبلغاتها، ونظرا أيضا لقوة الشبكة التجسسية التي أقاموها، والتي كثيرا ما أوصلتهم إلى مراكز القرار في هذه البلدان.

ومن هنا فإن التدخل اليهودي على مستوى الدبلوماسية الجزائرية، كان من باب السمسرة التي تعود اليهود على ممارستها في مجالات عديدة، ولا يدخل أبدا في إطار الهيمنة اليهودية على الجزائر، حتى وإن اتصف تدخلهم بالقوة الشديدة في بعض المراحل،

1- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي... ص ص 22 - 23

2- 1710م – 1718م، مات بالحمى.

تبعا لضعف الداي وموظفيه، أو لقوة الدعم الخارجي للعناصر اليهودية، بهدف تحقيق مصالح معينة داخل الإيالة.

وفي النهاية نقول إن الجزائر لم تكن تنتظر حتى يأتيها يهود ليفورن، فيؤسسوا فيها لتقاليد دبلوماسية، ويعلموها كيف تبني علاقاتها مع القوى الخارجية، سواء الإسلامية منها أو المسيحية، ولكنهم كانوا أكثر قدرة على استغلال نقاط الضعف التي عانت منها المؤسسة الدبلوماسية الجزائرية آنذاك، وحولوها إلى منافذ خطيرة استغلوها للسيطرة على الحياة السياسية في البلاد.

ولعله يجدر بنا قبل أن نتطرق إلى العوامل التي ساعدت اليهود على بسط نفوذهم على الدبلوماسية الجزائرية، أن نعرج في عجالة على أبرز نقاط الضعف التي ميزتها والتي كانت مدخلا للنفوذ اليهودي:

- لم تكن الدبلوماسية الجزائرية تتميز بالحركية والمبادرة، ذلك أنها لم تسطر أهدافا لا ظرفية ولا بعيدة المدى، على عكس المبادرات التي تبناها الأوربيون، ونخص بالذكر حملة نابليون بونابارت، الذي شن حربا على أوربا، بل ونقل الحرب إلى العالم الإسلامي بحملته على مصر، وحاول إخراج اليهود من فرنسا، من خلال دعوتهم إلى التوطن بفلسطين[1].
- كانت الدبلوماسية الجزائرية قاصرة عن إدراك أبعاد الخطر الأوربي منذ نهاية القرن 18م، ولا يمكننا أبدا أن ننفي وجود هذا الفهم العميق لدى بعض المسؤولين، لكننا نؤكد أنهم لم تتوفر لديهم الظروف التي يعبئون من خلالها المجتمع كله لخدمة هذا الفهم حتى يتحول إلى نظرة شاملة لطبيعة العلاقات الجزائرية الأوربية [2].
- من جهة أخرى نلاحظ أن الصراع احتد كثيرا بين الجزائر وأوربا، منذ نهاية القرن 18م، فتعرضت لحملات كثيرة، ولا شك أن ذلك كان يعطل العمليات التجارية، بما يحدثه من خلل في الرسو والإبحار، وبما يحصل من مطاردات

1- سنعالج هذه المسألة لاحقا بنوع من التفصيل، ص 77

2- جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث، الجزائر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد. 1994. ص ص 56-57

للسفن الجزائرية في عرض البحر، ولذلك كله ارتأى الدايات – تفاديا للمخاطر- أن يعهدوا إلى اليهود بالتجارة الخارجية، وحتى بالاستشارة السياسية [1]، فهم أصحاب علاقات قوية وأساليب متعددة تمكنهم من تجاوز هذه العراقيل، لكن اليهود استغلوا هذا التوجه، ليتغلغلوا إلى دواليب الحكم، فوسعوا علاقاتهم؛ الداخلية مع حكام البلاد، والخارجية مع الشخصيات الفاعلة في القارة الأوربية، وبذلك ضمنوا لنشاطاتهم الاقتصادية الدعم الكبير والتوسع الشامل، في ظروف ميزتها المنافسة الشديدة في حوض البحر المتوسط.

وسنحاول فيما يلي التطرق إلى أهم العوامل التي مهدت الطريق أمام اليهود، ومكنتهم من التحكم في الدبلوماسية الجزائرية.

2- عوامل التدخل اليهودي في الدبلوماسية الجزائرية

2 – 1- علاقات اليهود بموظفي الدولة:

لقد سبق الحديث عن علاقات اليهود بالأتراك، وبينا في حينه أن حكام الجزائر العثمانية، كثيرا ما رحبوا باليهود، ابتداء بخير الدين، الذي حاول توظيفهم في المجتمع، خصوصا في صراعه مع الإسبان.

وفي عهد الدايات تواصل الاهتمام بالعنصر اليهودي، خاصة مع تنامي مصالح اليهود وثرواتهم.غير أن الأمر انقلب رأسا على عقب، فبعد أن كان المجتمع يستخدم اليهود، باعتبارهم جزءا منه، صار اليهود يستغلون المجتمع بما فيه حكامه، فقد ذكر لوجي دو تاسي أن اليهودي سليمان المعروف بجاكيت[2] Jaquette، والذي توفي عام

1- كان محمد الكبير باي الغرب، قد قرب اليهود واتخذ منهم وكلاء دبلوماسيين يمثلون مصالحه في الخارج، ومن هؤلاء مردوخاي دارمون، الذي أصبح مستشارا خاصا للباي، ولعب دورا هاما في سياسته الخارجية والداخلية، بعد أن صار أمين سره ومحل ثقته.

يراحع:

إسماعيل العربي، مرجع سابق. ص 38

2- كان مجهزا للسفن، احتكر تجارة الشمع، ونجح في توطيد علاقاته مع حكام الجزائر، مستغلا قدرته على تقديم معلومات عما يحدث في الدول الأوربية.

1724م، قدم منذ زمن من ليفورن إلى الجزائر، واستخدم كل الطرق حتى الفاسدة، للسيطرة على عقول الحكام متظاهرا بالتعلق بمصالح الإيالة[1].

وجاكيت هذا هو المؤسس الحقيقي للنفوذ اليهودي بالجزائر، وقد كان مخادعا ماهرا، يجيد مختلف طرق الإجرام، ويملك مهارة فائقة تساعده على السيطرة على كبار الموظفين[2] .

وإذا كانت مشاعر الكراهية والحقد، قد تملكت كثيرا من الجزائريين، بل ومن الأجانب أيضا تجاه اليهود، فإنهم استطاعوا، بتقربهم إلى الدايات، أن يحظوا بحماية هامة، مكنتهم من تذليل العقبات التي يجدونها أمامهم.

والملاحظ أن إيزنبيث، وهو يعالج مسألة الوجود اليهودي في الجزائر وتونس، خصص قسما من بحثه، للتدخلات التي كانت لصالح اليهود، والتي كان لها أكبر الأثر على مستقبلهم السياسي والاقتصادي في المنطقة. وسنعتمد علي بعض ما ذكره [3] لمعالجة هذه المسألة.

ففي 1689م، طلب الحاج شعبان [4] من لويس الرابع عشر[5]، ملك فرنسا، أن يضغط على دوق فلورنسا ليسمح برجوع اليهودي إسحاق داوود فرديناندز إلى ليفورن، وقد كلف الملك الفرنسي قنصله هناك ليتدخل قصد الحصول على هذا الإذن.

وفي 1695م، بعث الحاج شعبان مجددا، إلى لويس الرابع عشر، عريضة احتجاج بخصوص سفينة كان على متنها سلع استقدمها اليهود من ليفورن، بعد أن جهزهم الداي بأموال على سبيل القرض، وحدث أن هبت عاصفة أجبرت السفينة على التوجه إلى السواحل الفرنسية، حيث قبض عليها، ورميت جوازات السفر الجزائرية في البحر، فاحتج الداي، وهو ما جعل ملك فرنسا، يأمر بالإفراج عن السفينة، ومعاملة اليهود معاملة جيدة.

1- L, de Tassy, Op.Cit. p 296

2- عزيز سامح ألتر، مرجع سابق. ص 410

3- Eisenbeth, M, Les juifs en Algérie… p 363 et suite.

4- داي الجزائر بين 1686م – 1695م.

5- ملك فرنسا بين 1643م – 1715م

هذا، وقد دافع حسن شاوش [1]، عام 1699م، عن مجموعة من اليهود، في خلاف بينهم وبين بعض جنود البحرية الجزائرية.

والأسر اليهودية التي صار لها شأن في البلاد كثيرة، بعضها من التوشابيم، وكثير منها من الميغوراشيم، نذكر على سبيل المثال لا الحصر، عائلات بوشارة، كابيزا، ابن دوران، شيافينو، ستورا وغيرها، لكن أهمها على الإطلاق عائلتا بوشناق وبكري.

تعود أولى الاتصالات بين أسرة بوشناق ودايات الجزائر، إلى عهد عبدي باشا [2]، ففي 1727م، تعاقدت معه لشراء بعض لوازم السفن، لحساب الإيالة [3].

وإذا تتبعنا المسار الجغرافي لهذه العائلة، وجدنا أنها انتقلت من ليفورن إلى جزر الباليار، حيث انقسمت، فاتجه بعض أفرادها إلى ماهون في مينوركة، وبعضها إلى مايوركة، ومن هناك كان الاتجاه عام 1722م إلى الجزائر، بينما فضل البعض الآخر تونس، ونذكر من هؤلاء دافيد بوشناق الذي تقرب من بايها، مستخدما في ذلك صداقته مع القنصل الإنجليزي روتشفورد RochFord ليصل إلى مرحلة تنظيم تجارة الأسرة، والتنسيق بين الجزائر وتونس وماهون.

أما الجزائر فقد قدم إليها نفتالي بوشناق من ماهون، وكان أول اتصال جسد علاقته بالسلطة الجزائرية آنذاك، صفقة 1727م لتزويد الإيالة ببعض المعدات الحربية.

وأما عائلة بكري فقد اختلف الباحثون في تاريخ قدومها إلى الجزائر، كما اختلفوا أيضا في أصل تسميتها.

فبينما ذهب البعض إلى أن أصل الاسم هو بيخور Bekhor، وهو إما عبراني، أو ناتج عن تسمية هي خليط بين العربية والإيطالية[4]، يرى آخرون أن عائلة بكري فرع عن عائلة كوهين[5].

1- هو المعروف بقارة بارلي، وقد حكم البلاد بين 1698م و 1700م.

2- داي الجزائر بين 1724م – 1732م، قيل مات حزنا على سقوط وهران من جديد في يد الإسبان عام 1732م.

3- إسماعيل العربي، دور اليهود في الدبلوماسية... ص 41

4- Ayoun, R, Op.cit.

5- كوهين (Cohen): كلمة عبرية تعني "كاهن"، ومن الأسماء المرادفة لها في المعنى: كوهان، كاهن، كان، كاجان، كوين، كوفين...

يراجع: عبد الوهاب المسيري، مرجع سابق. ج 4. ص 250

لكن هذه العائلة كثيرا ما ذكرت في عقود المحاكم الشرعية باسم بقري[1]، ويشاع أيضا أن أصل الاسم هو بوخريص، الذي حوله النطق الأعجمي إلى بكري[2].

ولم يسلم المسار الجغرافي لهذه العائلة باتجاه الجزائر من هذه الاختلافات، فقد رأى عيون[3] أنها غادرت إسبانيا عام 1492م، بسبب ملاحقات محاكم التفتيش، واستقرت في وادي النيل، ثم انتقلت إلى ليفورن، لما دعا فرنسيسكو الأول دوق فلورنسا اليهود إلى الإقامة في أرضه، لاستغلالهم في الصراع المسيحي العثماني في البحر المتوسط.بينما اكتفى أكثر الباحثين بالإشارة إلى قدومها من ليفورن أو من فرنسا[4]، في سبعينيات القرن الثامن عشر.

أما دخول هذه العائلة إلى عالم الغنى، فقد وردت عنه قصة الحانوتي البسيط بوخريص، الذي كان فقيرا، يعيش ظروفا بسيطة، ثم صار يمارس تجارة الحبوب التي أضاف إليها تجارة الخردوات، فاتصل به ابن عم له من ليفورن، وعرض عليه أن يؤسسا معا بنكا في مدينة الجزائر، يُعهد بإدارته إلى هذا الحانوتي[5]، فكان هذا البنك بداية لمرحلة الغنى والجاه التي ستعرفها هذه العائلة، كما كانت النواة الأولى لشركة بكري وبوشناق.

وقد بدأ تقرب أسرتي بوشناق وبكري من الدايات يزداد تدريجيا، حتى وصل إلى مرحلة النفوذ السياسي والهيمنة التجارية، خاصة على عهد الدايين حسن[6] ومصطفى[7].

فقد أصبح اليهود في نهاية القرن 18م، يشكلون بعثة دبلوماسية مكلفة برعاية مصالح الداي لدى الحكومة الفرنسية، وما يدلنا على ذلك هو الرسالة التي وجهها الداي حسن، يوم 12 جويلية 1795م، إلى السلطات الفرنسية يوصيها فيها خيرا بيعقوب بكري، ويطلب

1- نجوى طوبال، مرجع سابق. ص 70

2 - Aissa Chenouf, Op.Cit. p 77

3- Ayoun, R, Op.cit.

4- إسماعيل العربي، مرجع سابق. ص 43

5- Aissa Chenouf, Op.cit, p 77

6- أصبح دايا على الجزائر يوم 13 جويلية 1791م، وقد تقلد قبل ذلك مناصب مختلفة، مثل منصب الخزناجي وقائد الجيش.

7- خلف الداي حسن عام 1798م، وقتل في 31 أوت 1805م في خضم أحداث مدينة الجزائر ضد اليهود

منها حمايته ومساعدته، منبها إلى أن علامات الصداقة التي يمكن أن يبديها الفرنسيون لحسن باشا، يجب أن تتمثل في الاهتمام الخاص الذي ينبغي أن يحظى به بكري[1].

وقد جاءت الرسالة ردا على تخوف التجار الفرنسيين من تزايد نفوذ بكري التجاري، حيث كتب مدير الغرفة التجارية لمرسيليا إلى قيادة الثورة، يطلب التدخل للحد من هذا النفوذ، فلما صارت مصالح اليهودي مهددة في فرنسا، لجأ إلى الداي حسن، يستخدمه ضد الفرنسيين.

وفي 18 ماي 1797م، كتب الداي حسن إلى فرنسا رسالة يصحح من خلالها نظرة الفرنسيين إلى بكري وبوشناق، وينفي عنهما تهمة التدخل والوساطة لحصول الإنجليز على امتيازات الفرنسيين في الشرق الجزائري، ويؤكد إخلاصهما النزيه، وتعلقهما بما يخدم مصالح الأمة الفرنسية: " ... كل ما نطلبه منكم هو أن يحظى رعايانا عندكم بكل احترام، خاصة شركة بكري وبوشناق، والمسمى سيمون أبو قية الذي سيسلم لكم الهدية" [2].

ولما كان حسن دايا على الجزائر، وضع اليهود أعينهم على من سيخلفه، تحسبا لأية ظروف قد تطرأ في المستقبل، ولهذا استغل نفتالي بوشناق أحوال مصطفى الوزناجي السيئة ليمد له يد المساعدة، وليأخذ منه مستقبلا أضعاف ما أعطاه.

فبعد أن كان مصطفى بايا على التيطري، فسدت العلاقة بينه وبين حسن باشا، حتى صار مطاردا، لكن نفتالي بوشناق تدخل وأنقذه من الموت عام 1792م، ثم توسط له لدى الداي فجعله قائدا على سيباو [3]، ثم بايا على قسنطينة عام 1794م، ليتحول إلى داي للبلاد عام 1798م[4].

1- محمد دادة، مرجع سابق. ص 190

2- Eisenbeth, M, Les juifs en Algérie… p 382

3- وادي سيباو ينبع من جرجرة ويصب غرب مدينة دلس بعد قطعه لمسافة 120كلم.

4- معلوم أن بوشناق مارس ضغوطا مختلفة على الناخبين من الانكشارية، ليختاروا مصطفى الوزناجي دايا للجزائر، وكان الضغط بشكلين مختلفين؛ التهديد بالقوة، وتقديم الرشوة لشراء الأصوات.

وإذا كان الزهار قد وصف مصطفى باشا بأنه" كان رجلا صالحا حليما كريما محبا للعلماء والصلحاء، رحيما بالفقراء والأيتام، محبا للمجاهدين والغزاة، وكان شجاعا رحمه الله"[1]، فإنه رآه "مبغضا للعرب محبا لليهود"[2].

وقد حظي بوشناق بمكانة خاصة لدى مصطفى، بمجرد أن صار بايا على قسنطينة[3]، وهذه الخطوة ستعطي اليهودي، إلى جانب استيلائه على مقاليد التجارة في جميع أنحاء الإيالة، نفوذا سياسيا هاما، بحيث أصبح يوزع الحظوة في قصر الباي كما يشاء، ويتحكم في أرزاق الناس، حيث لم يعد التجار قادرين على " إخراج درهم من أرزاق قسنطينة إلا بموافقة ورضا بوشناق" [4]

وبعد أن صار مصطفى دايا على الجزائر، توسعت معارف بوشناق وزاد نفوذه، فصار على اتصال دائم بالدول الأجنبية، يلعب دور الوسيط بينها وبين الإيالة، ونذكر، على سبيل المثال، تدخله عام 1800م، لحل الأزمة بين الجزائر وإنجلترا، وقد بلغ به الحد إلى درجة الحديث باسم الجزائر، ومن ذلك مثلا أنه صار" الناطق الرسمي للبلاد في المفاوضات التي جرت مع البرتغال عام 1803م"[5]

ولهذا كتب روزي وكاريت: " هذا التاجر، صاحب الذكاء الخارق، والشجاعة غير العادية في نظر أبناء دينه، أصبح له تأثير شبه مطلق على قضايا الدولة"[6]

1- الزهار، مرجع سابق. ص 71

2- الزهار، مرجع سابق. ص 71

3- بعد أن صار مصطفى الوزناجي بايا على قسنطينة، عمل الفرنسيون على كسبه كحليف في صفوفهم، فقد كتب السيد كيبار ممثل الوكالة في عنابة إلى الهيئة التي يمثلها: " لقد وضعت تحت تصرف الباي ترجماننا وطبيبنا، وكل ما لدينا من إمكانيات، أملا منا في الحصول على مساعدته، ولكنه يبدو مترددا" وقد صدق ظن كيبار، فقد وقف بوشناق حاجزا بين الطرفين، لأن تأثيره على الباي الجديد كان أقوى بكثير.

محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية ... ص 221

4- عزيز سامح ألتر، مرجع سابق. ص 568

5- محمد زروال، مرجع سابق. ص 12

6- Rozet et Carette, Op.Cit. p 504

وقد استطاع يهودي إفساد العلاقة بين إبراهيم باشا [1]، وباي الغرب مصطفى المسراتي [2]، حيث كان يخدم الباي، حتى حاز تحت يده مالا كثيرا، ثم أوحى إليه أن الداي يطلبه، وأن عليه النجاة بنفسه، وكان ذلك مجرد ادعاء من اليهودي، ليبقى له المال الذي جمعه [3].

وكان محمد الكبير باي الغرب، قد قرب اليهود واتخذ منهم وكلاء دبلوماسيين يمثلون مصالحه في الخارج، ومن هؤلاء مردوخاي دارمون، الذي أصبح مستشارا خاصا للباي، ولعب دورا هاما في سياسته الخارجية والداخلية [4]، بعد أن صار أمين سره ومحل ثقته.

وفي بايلك الغرب دائما كان تأثير اليهود على الباي محمد بوكابوس كبيرا جدا، فقد تحول قصره إلى قصر لهم، حيث يجتمعون ويخطون له الخطوط العريضة لسياسته، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار، علاقته بحنينة اليهودية، التي كانت تدخل بحرية إلى قصره، وتنتقل عبر المدينة على بغلة مزينة بطوق جميل، يحرسها أربعة شواش. ومن بين تأثيراتها أنها كانت تحول دون معاقبة أي يهودي في المدينة، بل وتحصل على عفو لمن صدر في حقه حكم[5].

ونلاحظ أنه كلما صار موظف خطرا على مصالح اليهود، وأقرب إلى فضحهم، عزلوه وتخلصوا منه [6]، ثم جاؤوا من بعده بمن يكون أكثر استعدادا للعمل معهم، والخضوع لأوامرهم.

وكل ما ذكرناه عن الدايات والبايات غيض من فيض، وهو حتما ملفت للنظر، ولكن الأمر يصبح أشد غرابة، حين ندرك أن مبعوثا للسلطان العثماني، حمل إلى الجزائر

1- حكم الجزائر بين 1745م و 1748م.

2- لعبت أسرته دورا بارزا في الغرب الجزائري، وكان والده محيي الدين خليفة للباي مصطفى بوشلاغم. وفي 1748م توفي الباي المسراتي مسموما.

3- ابن حمادوش (عبد الرزاق)، مرجع سابق. ص 253

4- إسماعيل العربي، مرجع سابق. ص 38

5- Aissa Chenouf, Op.Cit. pp 49-51

6- مثال ذلك ما حصل لصالح باي، وهو أمر سنعود إليه لاحقا، ص 130 وما بعدها.

رسالة عام 1804م، لكنه لم يسلمها إلى الداي إلا بعد أن زار بكري[1]. وهنا نتساءل: هل كان ذلك تصرفا فرديا، أم كان موقفا رسميا بتوجيه من السلطان نفسه؟

2 – 2- علاقات اليهود بالشخصيات الأجنبية:

من عيوب نظام حكم الدايات في الجزائر، أنه فتح الباب أمام القوى الأجنبية، ممثلة في القناصل والتجار، دون مراقبة [2].

وقد جرت العادة على أن تحتمي الأقليات، التي ليس لها قنصل يمثلها، بالقنصل الفرنسي، ومن هذا الباب دخل اليهود، فرغم وجود قضاة يهود في كل مدينة لمعالجة قضاياهم الخاصة، كان اليهود الأوربيون les juifs francs يتقاضون أمام قنصل فرنسا، الذي يحتمون به[3] رغم كل الخطر الذي شكله اليهود على المصالح الفرنسية في الجزائر.

كما عمل اليهود على كسب ود الشخصيات الفاعلة في أوربا خاصة في فرنسا، فتاليران وبونابارت، وتانفيل، ودوفال وغيرهم شخصيات ورطها اليهود بعمليات مشبوهة وبرشاوى كبيرة، بل وأدخلوها في المحافل الماسونية.

فقد حضر تاليران مثلا المؤتمر الماسوني المنعقد في فيفري 1785م، وهو الذي اكتشف نابليون، وأهّله بهدف تحطيم الكنيسة المسيحية [4].

وكان تاليران ماجنا لا يملك مالا، رغم منصبه السياسي، وهو الباب الذي دخل منه إليه اليهود، حتى صار حاميا لهم[5]، ذلك أنه لم يكن قادرا على مقاومة الرغبة في الحصول على زجاجة خمر، وهو حال أغلبية رجال السياسة في ذلك الوقت[6].

1- إسماعيل العربي، مرجع سابق. ص 53

2- هذا الحكم العام لا يمنع من وجود اليقظة لدى بعض الدايات، فقد أرسل الداي حسين إلى السلطان محمود الثاني، تقريرا من الجزائر، عن كتاب (العهد الجديد) وبيان دسائسه، وأنه قد أرسل منه 1000 نسخة إلى الجزائر، ثم بيان رد الفعل الجزائري الذي تمثل في جمع هذه النسخ وإحراقها.

دفتر خط همايون، الرقم العثماني 22524، التاريخ 1240ه

3- L, de Tassy, Op.Cit. p 76

4- فوزي سعد الله، مرجع سابق. ص 304

5 -Virebeau, G, Op.Cit. p 9

6 -Virebeau, G, Op.Cit. p 12

فالشائع إذا، أن تاليران كان جشعا، محبا للمال، صاحب رغبة جامحة في جمعه دون اعتبار لمصادره، لكن الذي تنبغي الإشارة إليه، أنه كان ماسونيا نشطا، ولذلك كانت تغطيته على أعمال اليهود في فرنسا، ومنعه لأجهزة الحكومة من اتخاذ إجراءات ضدهم، نابعين من توجهاته الماسونية، ومن هنا كان دعمه ليهود الجزائر، ولذلك كان تعويل اليهود عليه كبيرا، فقد كتب يعقوب بكري إلى أخيه إبراهيم، ينبهه إلى مكانة تاليران قائلا: " إذا لم يكن الشيطان الأعرج في يدي، فأنا لن أعتمد على شيء في الدنيا بعد الآن"[1].

أما نابليون بونابارت فقد مرت علاقته باليهود بمرحلتين، حيث استخدموه في الأولى لتحطيم الكنيسة المسيحية من باب التمكين للعلمانية، والذي كان من ثمار الثورة الفرنسية، وللاستفادة أيضا من القوانين الجديدة التي أصدرتها الثورة، وكان من نتائجها إصلاحات واسعة لصالح اليهود، كتلك المتعلقة بحرية التجارة.

ففي فيفري 1807م، أعلن نابليون أن اليهود أصبح لهم كيان رسمي داخل الدولة، وأن الديانة اليهودية أصبحت إحدى الديانات الرسمية في فرنسا، وأن من حق المؤسسات الدينية اليهودية فيها أن تحظى برعاية وحماية الدولة. وتعهد نابليون بإجبار حكام الدول الأوروبية التي يحتلها على منح اليهود من سكانها الحقوق التي منحتهم إياها فرنسا.[2]

أما في المرحلة الثانية، فقد غير نابليون موقفه من الكنيسة، واتبع سياسة التقارب مع البابا، لتقف الشعوب المسيحية إلى جنبه، وفي 30 ماي 1808م، تحدى نابليون اليهود حين اعتبرهم غرباء عن المجتمع الفرنسي، وعدّد جرائمهم البشعة، وأعلن عن تمرده عن الماسونية التي يتحكم فيها اليهود، فقد كتب إلى أخيه جيروم: " ما من عمل أكثر خسة يمكنك فعله، أكثر من استقبالك لليهود...لقد قررت إصلاح اليهود، ولكنني لا أريد زيادتهم في مملكتي" [3]

ورغم أن نابليون تحول بهذا الموقف، إلى واحد من أهم المعادين لليهود في العالم الغربي، فإنه صاحب أول مشروع صهيوني حقيقي، إذ دعا اليهود، في 20 أفريل

1- محمد دادة، مرجع سابق. ص 153

2- أمين عبد الله محمود، مرجع سابق، ص 15

3- سبيرودوفيتش (شيريب)، حكومة العالم الخفية، ترجمة مأمون سعيد، بيروت: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع. 1990. ص 99

1799م، إلى الاستيطان في "بلد أجدادهم" من خلال دعوته لهم إلى التوطن بفلسطين، ووعده لهم بالمساعدة على ذلك بكل ما أوتي من قوة:

" من نابليون؛ القائد الأعلى للقوات المسلحة للجمهورية الفرنسية في إفريقيا وآسيا، إلى ورثة فلسطين الشرعيين... إن هي إلا اللحظة المناسبة التي قد لا تتكرر لآلاف السنين، للمطالبة باستعادة حقوقكم ومكانتكم بين شعوب العالم، تلك الحقوق التي سلبت منكم ... وهي وجودكم السياسي كأمة بين الأمم، وحقكم الطبيعي في عبادة يهوه، طبقا لعقيدتكم علنا وإلى الأبد[1] "

وكان هذا الوعد مقابل تقديم الممولين اليهود قروضا مالية للحكومة الفرنسية، التي كانت تمر آنذاك بضائقة اقتصادية خانقة، والمساهمة في تمويل الحملة الفرنسية المتجهة صوب الشرق، بقيادة نابليون بونابرت، وأن يتعهد اليهود ببث الفوضى وإشعال الفتن، وإحلال الأزمات في المناطق التي سيرتادها الجيش الفرنسي لتسهيل أمر احتلالها، ودعا أحدُ زعماء اليهود الفرنسيين، إلى تكوين مجلس يضم جميع الطوائف والفئات اليهودية، ويتخذ من باريس مقرا له، ليعمل بالتنسيق مع حكومة الإدارة الفرنسية، من أجل إعادة بناء وطن يجمع شمل اليهود [2].

وإذا كان اليهود قد ركزوا على الشخصيات الهامة في فرنسا، فإنهم اعتمدوا عليها أيضا في الجزائر، حيث كان التواطؤ واضحا بينهم وبين شخصيات دبلوماسية أجنبية فاعلة، فقد أثبتت في السجل التذكاري للمتحف الوطني للفنون الشعبية، شهادة مؤرخة في 24 جويلية 2001م، دونها صحفيون من الوفد الإسرائيلي الذي زار المتحف، جاء فيها "نحن الصحفيين عن الوفد الإسرائيلي من جريدة يادعوت أحرانوت، قمنا بزيارة المتحف الذي كان يسكن فيه اليهودي باكري[3] صديق بوشناق وبوتان، ولا يزال يحمل معلم اليهودية"[4]

1- عبد الوهاب المسيري، مرجع سابق. ج 6. ص ص 47-49

2- أمين عبد الله محمود، مرجع سابق. ص 12

3- استأجر ميشال كوهين بكري هذا المنزل عام 1783م للسكن فيه، وهو الذي تحول إلى متحف الباردو.

4- نجوى طوبال، مرجع سابق. ص 70

وبوتان هو الجاسوس الفرنسي الذي بعثه بونابارت في مهمة خطيرة إلى الجزائر عام 1808م وعاد بتقرير عن المناطق المحصنة وغير المحصنة من الساحل الجزائري.

وفي خضم أحداث 1805م ضد اليهود في الجزائر، استفاد جوزيف بكري من حماية قنصلية اسبانيا، واستفاد دافيد بكري من حماية قنصليتي السويد والولايات المتحدة الأمريكية[1].

كما أن قنصل إنجلترا قدم مبلغ 500 قرش، لإنقاذ شاب يهودي من الموت [2].

بينما نلاحظ في المقابل، أن اليهود لم يتورعوا أبدا عن إلحاق الضرر بكل شخصية تريد المساس بمصالحهم، وتشكل خطرا عليهم. فقد كاد القنصل الفرنسي كليرومبو Clairambault [3] أن يقتل في فتنة أثارها ضده اليهود، ومواطنه القنصل تالبو Tailbout [4] كان عليه أن يدافع عن نفسه بعد المؤامرة التي حاكها ضده نفتالي بوشناق الجد[5].

ورغم كل ما قدمته فرنسا لليهود، سواء في عهد الثورة، أو بعد عودة الملكية، فإن الحاخام اليهودي جورج فيربو، يعزو الإطاحة بشارل العاشر، واستخلافه بصنيعة اليهود لويس فيليب، إلى الدور الذي قاموا به ، ويذكر فضل روتشيلد في هذا، ثم يعقب " لقد ذهب الملك المسيحي منفيا، ليلتحق بالداي المسلم الذي هزمه، ولم يعلم الملكان أبدا أن سقوطهما كان بتخطيط من اليهود" [6]، ولعل اليهود لم ينسوا لشارل العاشر، كما ذكر فيربو في نفس الصفحة، أنه من سلالة فيليب الجميل Philipe le Bel، الذي طرد اليهود من فرنسا بسبب ممارستهم للربا.

ولما ازداد نفوذ اليهود الأوربيين في الجزائر صاروا لا يدفعون الضرائب، وأصبح بمقدورهم التدخل لتبديل القنصل الفرنسي الذي لا يرغبون فيه، ولذلك توجس الإنجليز

---

1 - Eisenbeth, M, Les juifs en Algérie… p 378

2 - Eisenbeth, M, Les juifs en Algérie ... p 366

3- قنصل فرنسا بالجزائر بين 1706م و 1717م.

4- استلم مهامه رسميا يوم 06 أفريل 1735م، وبعد مرضه خلفه جوانفيل في مارس 1740م.

5 -Masson, P, Op.Cit. p 311

6- Virbeau, G, Op.Cit. p 13

والهولنديون منهم خيفة، فصاروا يتفادون كل صدام معهم، ومن هنا أمروا قناصلهم بتقديم كثير من الهدايا لليهود بدلا من الداي [1].

2 – 3 - شبكة التجسس اليهودية:

رغم أن الاعتقاد السائد لدى أغلبية الباحثين يركز على اتهام بعض الدايات بضلوعهم في عمليات مشبوهة مع اليهود، بل وبحصولهم على رشاوى منهم، فإنه ينبغي التنبيه إلى أن اليهود إنما اكتسبوا ثقة الدايات، إلى جانب ما سبق ذكره، بسبب انتشار عيونهم في أنحاء البلاد، تزود نظام الحكم بمعلومات تتعلق بتحركات القبائل، وحتى الدول الأجنبية، من خلال جواسيسهم الذين كانوا منتشرين فيها.

وقد وصف شالر اليهود بأنهم " الطائفة الوحيدة من السكان، التي لها معرفة صحيحة بالشؤون الخارجية، وهم ينغمسون في مختلف أنواع المؤامرات التي يقامرون فيها أحيانا بحياتهم"[2].

وفي هذا الإطار، كان بكري وبوشناق يديران شبكة للتجسس على الشعب الجزائري لفائدة الحكام تقربا منهم، ولربما خدعوهم كثيرا، فأوغروا صدورهم بمعلومات كاذبة، وكان لهم جواسيس في شرق البلاد وغربها، يأتونهم بأخبار السياسة والتجارة من داخل الجزائر ومن خارجها[3].

وقد كتب عزيز سامح التر أن بكري وبوشناق " كانت لهما مخابرات سرية تتجول بين الأهالي على شكل تجار متجولين ينقلون لهما أتفه الأخبار، وكانا ينقلان هذه الأخبار بدورهما للداي حسن باشا، ولهذا احتلا لديه مكانة بارزة، وأصبحا موضع ثقته [4] "

وإذا كان اليهود، كما ذكرنا، يتجسسون لصالح الدايات، فإنهم تجسسوا أيضا ضدهم لصالح الأوربيين.

1- عزيز سامح ألتر، مرجع سابق. ص 410

2- شالر، مرجع سابق. ص 91

3- محمد زروال، مرجع سابق. ص 11

4- عزيز سامح ألتر، مرجع سابق. ص 568

فقد كانوا المصدر الأساس لتسريب المعلومات حول شؤون الإيالة، السياسية والاقتصادية، وعن القرصنة لصالح السلطات الرسمية التوسكانية والقناصل الأجانب، إما عن طريق الرواية الشفهية أو الرسائل[1].

كما ثمنت فرنسا جهود اليهود، خلال سنوات القطيعة الجزائرية الفرنسية بسبب حملة 1798م على مصر، وخدماتهم الجليلة حين قدموا إليها معلومات دقيقة تمس جميع الشؤون السياسية والاقتصادية للإيالة، سواء مباشرة عن طريق عناصر يهودية، أو بواسطة أفراد من القنصليات الإسبانية، السويدية، الهولندية و الدانماركية [2].

وحين غادر القنصل دوبوا تانفيل الإيالة، على إثر فساد العلاقة الجزائرية الفرنسية بسبب الحملة على مصر، تكفل بوشناق بالتجسس لصالحه، إذ كان يطلعه على كل شيء، فلما استئنفت العلاقات الجزائرية الفرنسية من جديد، وعاد هذا القنصل إلى عمله بالجزائر، لم يجد مشقة في التعامل مع الأوضاع الجديدة.

والثابت أن اليهود إنما كانوا يقدمون مصلحتهم على مصلحة الجزائر في هذا كله، حتى وإن تظاهروا بالولاء لها.

فقد تحدث كاثكارت في مذكراته عن حضور كوهين بكري ودافيد ماردوخاي بكري مأدبة غذاء في منزل السفير الأمريكي دونالدصون، وشروعهما، بعد الغذاء، في إعداد الهدايا، رغم أن ذلك اليوم كان يوم عيد ديني عند اليهود، وعقب على ذلك بقوله" واليهود الجزائريون متمسكون بالمناسبات الدينية، أكثر من اليهود في أي بلد آخر في العالم، ولكن مصلحة اليهودي الجزائري تجعله ينسى إلهه، وتجعله يتغاضى عن جميع الاعتبارات الإنسانية والإلهية معا"[3].

أما في نظر لوجي دو تاسي، فاليهود لم يكونوا شرفاء، بل كانوا يربحون باستخدام كل أنواع الاحتيال والخبث والخداع [4]. وقد استغلوا الكوارث الطبيعية والصعوبات السياسية والاقتصادية التي كانت تمر بها البلاد، فنتج عن رغبتهم الجامحة في تحقيق

1- رحمونة بليل، مرجع سابق. ص 132

2- إسماعيل العربي، مرجع سابق. ص 54

3- كاثكارت، مرجع سابق. ص 183

4- L, de Tassy, Op.Cit. p 298

الربح، مشكل ارتفاع الأسعار، بسبب تصديرهم للمواد الأساسية،خاصة القمح، دون اعتبار للمجاعات التي كانت تضرب الإيالة[1].

وحين تحركت مشاعر المسلمين في الجزائر، وقوفا مع إخوانهم في مصر لما غزاها نابليون، لم يهتم اليهود بهذه المشاعر، فقد مونوا الحملة الفرنسية بالمؤونة والذخيرة، إذ نقلوا على مراكب جزائرية، كميات كبيرة من القمح، وشحنات من العتاد الحربي، إضافة إلى مليوني زجاجة خمر، وكميات من الأقمشة والأدوية [2].

يتبين لنا مما سبق أن اليهود استطاعوا التغلغل إلى مؤسسات الدولة، عن طريق انتهاج كل الطرق والأساليب، التي كانت ممكنة، دون اعتبار لطبيعتها، ودون مراعاة لتأثيرها على الحياة السياسية والاقتصادية، وانعكاساتها على الواقع الاجتماعي. وكان المحرك الأساسي لليهود في كل هذا هو خدمة مصالحهم، وتوسيع نشاطاتهم.

3- تدخل اليهود في الدبلوماسية الجزائرية:

3 – 1 – تدخلهم في العلاقات الجزائرية الإسبانية:

في 1569م، استدعت عائلة ميديتشي Médicis الحاكمة في فلورنسا بإيطاليا، بعض يهود البرتغال، الذين أجبروا هناك على اعتناق المسيحية، وسمح لهم بالارتداد عنها في فلورنسا، وكان سبب اهتمام هذه العائلة باليهود، هو إدراكها لدورهم في التجارة، لكن الأهم من هذا، هو رغبة هؤلاء الحكام في استخدامهم ضمن شبكة تجسسية، للحصول على معلومات حول تحركات العثمانيين في منطقة البحر المتوسط.

والدليل هو رسالة فرنسيسكو الأول دوق فلورنسا، إلى فيليب الثاني ملك إسبانيا [3]، والتي دعاه فيها إلى تزويد بعض الرعايا الأجانب، ومنهم اليهود، برخصة للمرور في البحر المتوسط، وكان موضوع الرسالة التعاون في مجال التجسس على الدولة العثمانية[4].

---

1 -Garrot, Op.Cit. p 45

2- محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية ... ص 270

3- ملك إسبانيا بين 1556م و 1598م

4- Ayoun, R. Op.Cit.

وكانت عائلة بكري مقيمة بوادي النيل، فلبت النداء وقدمت إلى ليفورن، حيث حصلت كغيرها من العائلات اليهودية على حق ممارسة التجارة انطلاقا من هذه المدينة.

وبمجرد وقوع بعض المدن الجزائرية في يد الإسبان في بداية القرن 16م، تعاون معهم اليهود بشكل خطير، إذ تحولوا إلى جواسيس يجمعون الأخبار، ويشتغلون مترجمين لدى الجيش الإسباني، كواسطة بينه وبين الأهالي، خصوصا القبائل الموالية له، وهو ما سهل عليه عقد صفقات التموين، ونذكر كمثال على هذا، عائلة كازينو، التي تدربت على الجاسوسية في وهران، حتى صارت محل ثقة كاملة لدى السلطات الإسبانية.

ولقد كانت العزلة التي عاشتها وهران في ظل الاحتلال الإسباني، دافعا قويا ليتفهم الإسبان مصلحتهم في استخدام اليهود، كوسطاء بين المسلمين والمسيحيين، ولذلك احتل بعض اليهود مكانة هامة في المدينة، وهو ما شجع يهودا آخرين على القدوم إليها.

صار اليهود إذا في ظل الوجود الإسباني تجارا كبارا، فقد تحكموا في تموين الحامية الإسبانية، وفي تصريف الغنائم التي يحصل عليها الإسبان، بعد هجماتهم على الأهالي خارج المدينة، كما صاروا وسطاء في تجارة العبيد.

ونظرا لمعرفة اليهود باللغات الأجنبية، تبوؤوا مراكز حساسة كالترجمة الرسمية، والجوسسة، مثلما كان حال يعقوب كازينو والحاخام يعقوب ساسبورتاس Sasportas، حتى صارت لهم القدرة على التفاوض المباشر مع الأتراك، إذا تعرض بعض اليهود إلى مشاكل أثناء تنقلهم عبر الإيالة.

وقد أشرنا سابقا إلى اليهودي سطورا أو شطورا الذي خان وهران مع جماعة من المسلمين خدمة للإسبان، حين فتحوا أبوابها أمام جيوش الكاردينال خيميناس[1].

ولما استعاد الإسبان مدينة وهران عام 1732م، قرروا طرد اليهود، لكن الحصار الذي ضرب عليها جعل تموينها عن طريق البر مستحيلا، لذلك كان تموينها من ألمرية Almeria و قرطاجنة Carthagène، ومن هنا أدرك الإسبان أهمية وجود اليهود في المدينة، فاستدعوهم رسميا للعيش بها منذ 1734م[2]، للاستعانة بهم في هذا الإطار.

1- محمد دادة، مرجع سابق. ص 28

2- Aissa Chenouf, Op.Cit. p 48

ولما هاجم الإسبان الجزائر في الحملة المشهورة بحملة أورايلي Oreilly، عام 1775، وقعت فرنسا في حرج كبير، إذ لم يكن سهلا عليها اتخاذ موقف مساند لأحد البلدين دون الآخر، وهي التي لم تحقق السلم مع إسبانيا إلا بعد جهد كبير، وهي أيضا صاحبة الامتيازات في الجزائر، والتي لم تكن بإمكانها التضحية بها.

ورغم أن الفرنسيين كانوا يرون في كل تقارب بين الجزائر وإسبانيا تهديدا لمصالحهم [1]، فإنهم لم يعد لهم خيار في التدخل للتقليل من حدة التوتر، حيث وجدوا أن الحل لا يكمن إلا في محاولة رأب الصدع، الذي ما انفك يتسع بين البلدين. ولهذه الاعتبارات كلها قام فرنسي بفتح باب المفاوضات بين الجزائر وإسبانيا، ثم قام القنصل الفرنسي بدعمها، حتى انتهت إلى توقيع معاهدة بينهما في 16جوان 1785م.

ورغم أن وهران حررت وانتهى الوجود الإسباني بها، ووقعت معاهدة صلح، إلا أن العلاقات تأثرت بمشكلة ديون بعض اليهود.

ففي رسالة تخص التدخل لصالح بكري، مؤرخة في 25 ربيع الأول 1210ه / 09 أكتوبر 1795م، كتب الداي حسن إلى الوزير الأول الإسباني، يطلب منه التدخل لصالح الإخوة اليهود من عائلة بكري، الذين اشتروا قمحا من الجزائر، وباعوه في إسبانيا، لكنهم لم يتلقوا ثمنه كاملا، حيث بقي لهم عند الإسبان مبلغ 16450 ريالا منذ سنتين:" كما يجب وينبغي فإننا نسر لكم بذكر ما يلي: إن يوسف كوهين، وميخاييل بكري، وخوان، من أوجاقنا ومن خدامنا وسماسرتنا... لتقوموا عند استلامكم لهذه الرسالة بالواجب، والعمل لإرجاع مبلغ 16450 ريالا مدورا، المطلوب تسديدها لخدامنا المقربين، رعاية للود وتطييبا للخاطر، سواء يتم التسديد من خزينتكم العامة، أو من جهات أخرى، فإذا فعلتم هذا

1- لم يكن الفرنسيون مخطئين في نظرتهم هذه، فبعد سنوات من ذلك، أي عام 1791م، وقع الجزائريون والإسبان معاهدة سلم وصداقة، كان من نتائجها احتكار الإسبان لصيد المرجان في المنطقة الغربية، بين وهران والحدود المغربية، بل وأعطي لهم امتياز شراء 1000 حمولة من الحبوب في السنة، وهو ما سمح لهم بتزويد الأقاليم الشرقية والجنوبية من إسبانيا ، بما يصدرونه من ميناء أرزيو.

يراجع:

سعيدوني والمهدي البوعبدلي، مرجع سابق. ص 76

فإن هؤلاء السماسرة سوف يخدمونكم أيضا فيما يخصكم، ويخص أعمالكم عندنا هنا... واعلموا أن أعز ملتمس عندكم، هو الاستعجال في النظر في هذه القضية[1] "

وفي رسالة أخرى مؤرخة في 07 رجب 1211ه / 06 جانفي 1797م، أكد الداي حسن للوزير الأول الإسباني قودوي Godoy، مرة أخرى على مشكلة الإخوة اليهود من عائلة بكري، وقد جاءت ردا على رسالة سابقة من هذا الوزير: " ... لقد وصلتنا رسالتكم الودية، وفهمنا مضمونها، إلا أننا كنا نظن أن قضية اليهود، لن تتأخر إلى هذا الحد من الزمن، فيا ترى ما الذي أخرها إلى هذا الوقت؟ لقد كان هذا التأخير سببا في بعض القيل والقال، ولكننا يا صديقي نأمل منكم الآن، بعد أن تتسلموا هذه الرسالة الودية التي أرسلناها إليكم، أن تبذلوا كل ما في وسعكم من جهد وإمكانات، لإتمام هذا الأمر، وإدخال السرور إلى قلوبنا [2] "

إن أي قارئ لهذه الرسائل، يستغرب هذا الإصرار من الداي حسن على تحقيق مصالح اليهود، وكيف أنه أحيانا، يتودد إلى الإسبان للوصول إلى هذا الهدف، الذي يعتبره مدعاة إلى إدخال السرور إلى قلبه، وهل كان حرصه على كل مصالح الأمة، بقدر حرصه الشديد على خدمة بكري وإخوانه؟

وهذا التوجه من الداي حسن، لم يكن وليد ظروف خاصة، بقدر ما كان مسايرة لمصالح اليهود، منذ الأيام الأولى لتوليه منصب الداي. ففي رسالة من القنصل الإسباني ميقيل دولاريا إلى فرانسيسكو دو مونتينقون Francisco de Montengon، بتاريخ 31 أكتوبر 1792م، ورد حديث المرسِل عن مشاكل اليهود من عائلة بكري، وممارستهم للتجارة في قمح الجزائر بينها وبين إسبانيا، وحديث عن تقديمهم نقودا ومواد غذائية للإسبان في القنصلية الإسبانية، ثم إشارة إلى مركزهم القوي لدى الداي الذي أعطاهم كامل الحرية في التعامل مع الإسبان[3].

1- يحيى بوعزيز، المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد (1780م- 1798م)، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية. 1993. ص ص 195-197

2- يحيى بوعزيز، نفسه. ص 202

3- يحيى بوعزيز، نفسه. ص 164

وعمل اليهود على تثبيت نشاطاتهم في وهران بعد استرجاعها عام 1792م، فقد وجد اليهوديان جوزيف تورال وإسحاق إسرائيل المقيمان بجبل طارق، وكيلا لهما في المدينة هو يامين توليدانو، يتولى شؤونهما المالية، ويرعى نشاطاتهما التجارية.

ومن باب تثبيت وجودهم في المدينة خلفا للإسبان، تقرب بكري وبوشناق أكثر إلى بايها، حتى أعطى أوامره بعدم شحن القمح إلا لصالح شركتهما[1].

ولما أعلن الوكيلرجي وزير البحرية عداءه للإسبان، خافوا على مصير مصالحهم في الجزائر، في ظل منافسة أوربية شديدة، فحاول القنصل الإسباني تهدئة الموقف، حيث لجأ إلى بوشناق الذي ناور حتى جعل الوكيلرجي يستدعي هذا القنصل إلى بيته، ويقيم معه صلحا في 27 ديسمبر 1803م[2]، ويطمئنه بخصوص المستقبل، وكان ذلك كله بحضور بوشناق[3].

وقد تكررت الخلافات بين الجزائر وإسبانيا بسبب اليهود، ففي 1808م، استولى الإسبان على سفينة لبكري، كان على متنها، زيادة عليه، بعض اليهود وبعض وزراء الداي، وتم سجنهم، وقد تم تحريرهم بعد احتجاج الداي.

وفي 1809م بلغت ديون بكري على القنصل الإسباني 55783 بياستر قوي، وصارت ديونه أيضا على جوزيف نوفولا Joseph Novola الإداري بالمستشفى الملكي الإسباني، 28030 بياستر، ولم يتم تسديد هذه الديون إلا في نوفمبر 1814م لوكيل بكري في مدريد ومفاوضه رافارا Ravara [4]، بعد مراسلات عديدة.

ولما اجتمعت أسباب الثورة في الغرب الجزائري على يد الباي محمد بوكابوس (1808م – 1813م)، عوّل على يهودي من عائلة كابيزا، وكان هدف الباي هو الحصول على الذخيرة من إسبانيا، فقد أرسل إلى أونطونيو هيغويرو Antoni Huguiro نائب

1- محمد دادة، مرجع سابق. ص 177

2- Eisenbeth, M, Les juifs en Algérie… p 376

3- نظرا لمواقف اليهود الداعمة للإسبان في الجزائر، وقفت القنصلية الإسبانية معهم لما قامت الثورة ضدهم عام 1805م، ونتيجة لتدخلها سلم بيت بكري شريك بوشناق خلال هذه الأحداث.

يراجع:

Eisenbeth, M, Les juifs en Algérie… p 376

4- Eisenbeth, M, Les juifs en Algérie… p 380

القنصل الإسباني بوهران، يطلب منه السماح لليهودي داود كابيزا بشراء 200 قنطار من البارود، لتغطية حاجاته في العملية التي أقدم عليها، وأن هذا اليهودي موكل من قبل الباي المذكور لدفع ثمن هذه الكمية [1]، لكن عمر آغا استطاع أن يقضي على هذه الثورة، وكان ذلك كله سببا في فساد العلاقة بين الإيالة وإسبانيا، فقد صار عمر دايا على الجزائر [2]، وترسخ اعتقاده أن إسبانيا كانت وراء هذه الحوادث، خصوصا وأن يهوديا كان مقربا من الباي بوكابوس، هرب إلى جبل طارق، ومعه جزء من كنوز البايلك، فرفع الداي دعوى ضد الحكومة الإسبانية مطالبا إياها بإعادة المبلغ الضخم.

وردت إسبانيا بإنكار هذه الدعوى، ثم ببعث أسطول إلى الجزائر، عام 1817م، صرح قائده بأن إسبانيا لا تعترف بادعاءات الداي، وأنها لا تنوي حتى الدخول معه في مباحثات من أجلها [3].

ثم إن الإسبان فهموا أن الوضع الذي آلت إليه علاقاتهم مع الجزائر، لم يعد يخدم مصلحتهم، باعتبار العراقيل التي تقف حجر عثرة أمام أية تسوية للخلافات، ولعل أبرز هذه المشاكل تلك التي يتسبب فيها اليهود بشكل مستمر، ولهذا أوعز الإسبان إلى قنصلهم بالجزائر أن يصفي جو العلاقة نهائيا، أو يغادر الجزائر [4].

مما سبق يتبين بوضوح أن اليهود كانوا سببا في مشاكل كبيرة بين الجزائر وإسبانيا، وأنهم لم يكونوا يراعون في ذلك كله سوى مصالحهم، بل يعملون على تعكير الأجواء حتى يتسنى لهم استغلال الأطراف المختلفة.

3 – 2 – تدخلهم في العلاقات الجزائرية الإنجليزية:

في إطار الصراع الأوربي في نهاية القرن 18م وبداية القرن 19م، شهدت العلاقات الإنجليزية الفرنسية توترا شديدا، ولذا حاولت بريطانيا أن تمنع كل تقارب جزائري

1- أورد مولاي بلحميسي نص رسالة هيغويرو Huguiro حول نفس الموضوع إلى القبطان العام بقرطاجنة. انظر الملاحق.

2- عمر آغا أصبح دايا سنة 1815م حتى 1817م

3- شالر، مرجع سابق. ص 180

4- شالر، مرجع سابق. ص 180

فرنسي من شأنه أن يخفف الضغط على فرنسا، في ظل الحصار المفروض عليها من قبل الأنظمة الأوربية الملكية، واستخدموا اليهود في ذلك، فقد ورد في رسالة بعث بها قنصل فرنسي إلى حكومته قوله: " إن السبب في ضعف القناصل في إفريقيا مرجعه إلى ازدياد نفوذ هؤلاء اليهود... الإنجليز مدينون لهم بحظوة قليلة من حيث المبدأ، ولكنها فعالة في الواقع، وبدون نفوذ هؤلاء، لم يكن في وسع الأسطول الأمريكي أن يظهر في البحر المتوسط"[1]

ولما كان البرتغال حليفا للإنجليز، كان ضروريا التوصل إلى صيغة للاتفاق بينها وبين الجزائر، فحاولت بريطانيا استغلال علاقاتها مع الجزائر ومع الدولة العثمانية، للتوسط بين الإيالة وبين البرتغال، وفي هذا الإطار تمت الاستعانة ببكري صاحب النفوذ القوي لدى الداي ، حين رفض الدخول في هذه المفاوضات، " واقتضى الأمر أن يركع بكري بين يدي الداي ليحمله على العدول عن قراره" [2].

ونجحت وساطة بكري، لكن البرتغاليين نقضوا هذه المعاهدة، فغضب الداي حسن لذلك، وهنا لجأ الإنجليز إلى بكري بغية التدخل لتهدئته،" فانحنى بكري على أقدام الداي طالبا منه العفو عن القنصل الإنجليزي، فأجابه الداي لذلك" [3]

وليس من السهل فهم طبيعة التحركات اليهودية في هذه المرحلة، نظرا لتقلباتها الشديدة، فعندما بدأت الحملة الفرنسية على مصر عام 1798م، وقف اليهود إلى جانب بونابارت من خلال دعم جيوشه بالقمح والخمور وحتى الذخيرة، واستخدموا نفوذهم لدى الداي مصطفى ليرفض أمر الباب العالي بإعلان الحرب على الفرنسيين، وكان في ذلك تحد واضح للدولة العثمانية، رغم كون الجزائر إحدى إيالاتها، ولذلك تدخل الإنجليز لدى السلطان العثماني ليجبروا مصطفى باشا على الإذعان لأمره. كما طلبوا أن يصدر عن

1- إسماعيل العربي، دور اليهود... ص49

2- إسماعيل العربي، دور اليهود... ص52

3- عزيز سامح ألتر، مرجع سابق. ص 570

الدولة العثمانية أمر بطرد جميع اليهود من كافة أراضيها،[1] نظرا للدور الذي قاموا به في دعم الفرنسيين.

وقد كان وقوف اليهود مع نابليون نابعا من مخطط فرنسي- يهودي، يرتكز على مساندة اليهود للحملة الفرنسية على مصر، في مقابل المشروع الاستيطاني الذي سيتبناه نابليون، الذي انخدع بقوة اليهود، وما يناله من خير حين يستعين بهم في حروبه، حيث قدم الضابط الفرنسي اليهودي توماس كوربيت تقريرا إلى بول باراس Paul Barras[2]، عضو حكومة الديركتوار بتاريخ 17فيفري 1799م، يعرض عليه فيه موضوع اليهود وضرورة الاستفادة منهم، لكن مقابل المعونة التي يقدمونها إلى نابليون في حروبه في الشرق، يُمنحون منطقة محاذية لقناة السويس، تمهيدا للوصول إلى فلسطين،[3] ولذلك أصدر نابليون نداءه المشهور إلى اليهود في 20 أبريل 1799م.

ولم يكن اليهود الجزائريون منقطعي الصلة بيهود فرنسا، فالعلاقات التجارية صارت قوية بين الطرفين، خصوصا لما أعلنت قيادة الثورة الفرنسية حرية التجارة، وهو ما سمح بتوغل اليهود إلى الأراضي الفرنسية، خاصة مرسيليا التي توسعت بها نشاطاتهم.

كما لا يخفى الدور الخطير الذي قام به الوكلاء التجاريون اليهود في فرنسا، فقد تعددت وظائفهم مهمة ممارسة التجارة، إذ تحولوا، منذ زمن، إلى جواسيس يجمعون الأخبار، ويدبرون المؤامرات، فلم يكن صعبا إذا، إدخال يهود الجزائر في هذه الخطة الشاملة، التي كانت تقضي بتوظيف الطاقات اليهودية في البحر المتوسط، لخدمة المخطط النابليوني، وتجسيدا لوعد بونابارت الشهير لليهود.

وإذا تتبعنا قضية طلب الإنجليز طرد اليهود من الجزائر، باعتبارها جزءا من الدولة العثمانية، وجدنا أنفسنا أمام ضرورة فهم أهداف إنجلترا البعيدة.

1- نظرا لأن اليهود مونوا الحملة الفرنسية التي كانت بقيادة الجنرال مينو Menou ، طلب الأميرال الإنجليزي يوم 08 جوان 1801م من الباب العالي طردهم من الأراضي العثمانية.

يراجع:

Eisenbeth, M, les juifs en Algérie ... pp 375-376

2- 1755م – 1829م، سياسي فرنسي، من أبرز الشخصيات الفاعلة زمن حكومة الديركتوار.

3- عبد الله التل، مرجع سابق. ص 18

فقد تسبب اليهود في فساد العلاقة بين الجزائر وإنجلترا، ولكن حين بلغ الصراع أشده عام 1800م، تدخل بوشناق لصالح الإنجليز، ونظرا لمهارته الدبلوماسية، ومكانته لدى الداي، استطاع أن يحصل منه على تكريم للعلم الإنجليزي، الذي أعطي مكانة الشرف في الإيالة، بل وأدى الداي ذاته التحية للسفينة التي كانت تحمل القنصل الإنجليزي فالكان Falcan ، في 01 جويلية 1800م[1]. ولهذا علا شأن بوشناق، فصار له بعد عام من ذلك، شرف استقبال قناصل الدانمارك والسويد وهولندا، وتسلُم الضرائب التي كانوا يدفعونها للإيالة.

وحين عزم الإنجليز على كسب مكانة لهم في الجزائر، بالحلول محل فرنسا صاحبة الامتيازات في الشرق الجزائري، وهو ما حققوه ابتداء من 01 جانفي 1807م[2] ، تخوفوا من أن قوة القرار اليهودي بالإيالة، وتأثيراته على المسؤولين فيها، بداية بالداي، قد تعيق المساعي الإنجليزية، ولهذا أرادوا التخلص من اليهود، حتى تتمتع الإيالة ببعض الحرية في اتخاذ القرار، أو بالأحرى حتى تحل قرارات بريطانيا محل القرارات اليهودية فيها.

فلماذا إذا هذا التقلب في مواقف اليهود، والذي يصل إلى حد التناقض؟

إذا كانت القاعدة التي ننطلق منها، هي أن اليهود إنما كانت تهمهم مصلحتهم، بغض النظر عن الأطراف التي يتعاملون معها، اتضحت المعالم الكبرى لهذه التناقضات.

فقد أقام الإنجليز قواعد هامة في البحر المتوسط، ونخص بالذكر جبل طارق، وماهون في جزر الباليار، وأحسوا بضرورة اللجوء إلى يهود الجزائر لتموين القاعدتين، برغم الحذر الشديد الذي كان ينتابهم بخصوص مستقبل مصالحهم بالجزائر.

وقد توصلوا فعلا إلى اتفاق مع اليهود، الذين ظلوا يموّنون ماهون، حتى والإنجليز في أشد حالات الخلاف مع الجزائر.

1- محمد دادة، مرجع سابق. ص 168

2- في ظل الصراع الفرنسي الإنجليزي لم تصبح فرنسا قادرة على التواجد بقوة في البحر المتوسط، لتحمي سفنها التجارية، فأسندت إلى الإيطاليين - بمن فيهم النابوليطانيين والجنويين- استغلال مؤسساتها في الشرق الجزائري، وهو ما أغضب الجزائر باعتبار أن هؤلاء كانوا في حالة حرب معها، وكرد فعل انتزعت الامتيازات من الفرنسيين، وسلمتها إلى الإنجليز، بموجب عقد وقعه الداي أحمد، والقنصل الإنجليزي العام بالجزائر هنري بلانكلي.

للتوسع في موضوع العلاقات الجزائرية الفرنسية، يراجع:

جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619م – 1830م، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب. 1987

وقبل ذلك، وخلال الاحتلال الإسباني لوهران، ركز التجار الماهونيون على التعامل مع الغرب الجزائري، ثم وسعوا نشاطهم إلى الشرق، حيث وقع صراع بينهم وبين المؤسسات الفرنسية، فلجأوا إلى شركة بكري وبوشناق لتسهّل تعاملهم التجاري مع الأهالي.

ولما اشتد الحصار الأوربي على فرنسا، وظهر أن ميزان القوى قد يعرف بعض التحولات، مال اليهود أكثر إلى الإنجليز، تحسبا لما قد تسفر عنه الصراعات الأوربية، خصوصا بعد معركة الطرف الأغر Trafalgar، في 21 أكتوبر 1805م، التي قضت على الأسطورة الفرنسية، وأعطت الإنجليز فرصة السيطرة على البحر المتوسط[1].

وفي 1805م، وفي خضم الصراع الفرنسي الإنجليزي، لجأ الإنجليز إلى رئيس الطائفة اليهودية بوهران آرون كاردوزو Aron Cardoso، الذي كان ممثلا لأعمال باي وهران في جبل طارق، واستخدموه في مهمة لإقناع الباي بتموين الحامية الإنجليزية هناك. ولذلك جاءت سفينة إنجليزية محملة بالبارود، لتشحن في المقابل بما تحتاجه الحامية، والتقى كاردوزو الباي وأقنعه بما جاء من أجله، فبعث بايلك الغرب إلى جبل طارق 200 ثور، و 100 كبش[2].

ورغم كل الخلافات الجزائرية الإنجليزية، عمل الإنجليز على تحسين علاقاتهم بدايات الجزائر، وتظاهروا برغبتهم في الحصول على المؤسسات الفرنسية في الشرق الجزائري لممارسة التجارة، لكن ذلك كان مجرد مناورة لإنهاء النفوذ الفرنسي في المنطقة، واتخاذ عنابة والباستيون قاعدتين عسكريتين تدعمان مالطا وجبل طارق، ولهذا أوكلوا التجارة إلى 20 تاجرا مالطيا لم يتجاوز رأسمالهم الإجمالي 20 ألف دولار[3]. ومن هنا وجد بكري الفرصة سانحة ليتقرب من الإنجليز، ويحصل بذلك على موافقة الداي أحمد [4] باستغلال المؤسسات الفرنسية في الشرق الجزائري، واحتمى اليهود بأسكديرو

1- كانت القوات البريطانية بقيادة الأميرال نيلسون، وألحقت هزيمة كبرى بالقوات المتحالفة الفرنسية الإسبانية، حيث مات منها 7000 جندي، وأسر القائد الفرنسي Villeneuve.

2- رحمونة بليل، مرجع سابق. ص 167

3- محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية ... ص 235

4- أحمد خوجة حكم بين 1805م و 1808م

نائب القنصل الإنجليزي بالجزائر، حيث جعلوه ممثلا لشركة بكري وبوشناق، و لا تخفى درجة الحماية التي يمكن أن يقدمها لها صاحب مركز سياسي كهذا.

وفي نوفمبر 1810م، وقف اليهود مرة أخرى مع الإنجليز، حين عقدت المحكمة الإسلامية في عنابة جلسة حضرها أعيان المنطقة، حيث تمت مناقشة وضع البناءات التي كان الفرنسيون قد أقاموها في هذه المدينة.

فبعد أن طالب نائب القنصل الفرنسي باسترجاعها من الإنجليز، حكمت المحكمة بأحقية الفرنسيين في استعادتها، ورغم أن فرنسا رحبت بالقرار، وكافأت الداي وموظفيه بهدايا قيمة، فإن تأثير بكري على الداي الحاج علي[1] وقف حجرة عثرة أمام تطبيق القرار، حيث ظل الإنجليز يحتفظون بهذه المباني حتى عام 1824م، حيث استرجعت منهم بسبب الحملة الإنجليزية على الإيالة [2].

ولم يتخوف اليهود من النفوذ الإنجليزي لأسباب معينة، حيث علموا، كما ذكرنا سابقا، ومن خلال شبكتهم التجسسية الواسعة، أن هدف الإنجليز الأول ليس التجارة، وإنما القواعد العسكرية، وبذلك يتلاشى خطر المنافسة التجارية، وتصبح المؤسسات اليهودية في مأمن.

من جهة أخرى كان الهدف هو إبعاد المؤسسات الفرنسية، حتى إذا أبعدت لجأت السلطات الفرنسية، نظرا لحاجتها إلى المنتجات الغذائية الجزائرية، خاصة وهي في حالة حرب، إلى تكليف اليهود بتوفيرها في الأسواق الفرنسية، وبذلك يتوسع مجال تجارتهم وتزداد أرباحهم.

1- داي الجزائر بين 03 مارس 1809م و 23 مارس 1815م، كان يسمى خوجة الخيل، قيل إنه كان عربيا من الشام، قتله جنده بوابل من الرصاص

2- محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية ... ص ص 237- 238

وقد فشلت الحملة الإنجليزية على الجزائر عام 1824م، رغم تحقيقها بعض المكاسب، ولذلك أرسل الداي حسين تقريرا إلى السلطان العثماني محمود الثاني، يخبره فيه بانتصار الجزائر على الإنجليز، فأجابه السلطان:" لم أتمالك نفسي، فبكيت عند مطالعته، أسأل الله أن يرزق كل العالم الإسلامي هذه الغيرة الدينية، وهذا الاتفاق"

دفتر خط همايون، الرقم العثماني:22554 /1، التاريخ 1239ه

ثم إن ملامح عالم ما بعد حروب نابليون، بدأت تتضح، ولذلك حاول اليهود ألا يخسروا الإنجليز، فقد يشكلون مستقبلا القوة العظمى في القارة الأوربية، وبالتالي يستحسن كسبهم كحليف في البحر المتوسط.

ولعل الأخطر من هذا كله، هو محاولة اليهود التغلغل إلى المجتمع الإنجليزي ومؤسساته السياسية، التي كانت محافظة إلى درجة كبيرة، ولا تسمح لأي يهودي بالوصول إليها، فكانت سياسة التودد إلى الإنجليز من جهة، وسياسة التقلب وخلط الأوراق في منطقة البحر المتوسط من جهة أخرى، وسائل هامة ليتسنى لليهود استغلال الفوضى في المجتمعات الأوربية، واستغلال المشاكل التي تنجم عنها لتحقيق أهدافهم المسطرة.

3 – 3 – تدخلهم في العلاقات الجزائرية الأمريكية

في نهاية القرن 18م، صار للولايات المتحدة الأمريكية حضور في البحر المتوسط، ولم يكن حضورا تجاريا محضا، وإنما امتزج بأهداف سياسية، حيث فكر الأمريكان في إقامة حلف يتكون من الولايات المتحدة والدول الأوربية الغربية ضد الدول المغربية.

لكن هذا الحلف فشل، خصوصا مع اشتداد خلافات الدول الأوربية، وتضارب مصالحها، فصارت الولايات المتحدة مضطرة إلى الاهتمام بعقد اتفاقية مع الجزائر للأسباب التالية:

- تجنب هجمات الأسطول الجزائري على البواخر الأمريكية، التي صار لها حضور قوي في المحيط الأطلسي، وبدايات حضور في البحر المتوسط، فمن المعلوم أن الأمريكان كانوا يزودون فرنسا بالمؤونة خلال حربها مع الدول الأوربية، وكل خطر يهدد هذه السفن، يؤثر على وضعية الإنتاج والمنتجين واليد العاملة في أمريكا، ولهذا لم يعد من مصلحتها التعرض لمثل هذه الهجمات.

وفـي هـذا الإطـار نـذكر أنـه فـي 24 جويليـة 1785م، أسـر الجزائريـون السفينة الأمريكيـة ماريـا، وبعـد أسـبوع أسـروا السفينة دوفين، فـي 30 جويليـة 1785م[1]، وكان على متن السفينتين 21 أمريكيا صاروا أسرى.

- كان هدف أمريكا من إقامة علاقات مع الجزائر هو التوصل إلـى تحرير أسراها، فمنذ 7 مـارس 1784، أصـدر الكـونغرس قـرارا ينص علـى تشكيل لجنـة ثلاثيـة مهمتها مباشرة المفاوضات لعقد اتفاقيات مع دول المغرب، وقد تكونت اللجنة من جون أدمز[2]، توماس جيفرصون[3]، بنجامين فرانكلين[4]، أمـا ديفيد هـامفري[5] فكـان أمين سر هذه اللجنة[6].
- حاولت أمريكا استخدام صداقتها المرتقبـة مـع الجزائـر جسرا للوصـول إلـى ربـط علاقات مـع كـل دول المغـرب، ولـهذا توجـه تومـاس بـاركلي، وكيـل اللجنـة سـابقة الذكر، إلى المغرب عـام 1788م، بغرض التفـاوض، ونجـح فـي عقد اتفاقيـة معـه منحت فيها الولايات المتحدة وضع البلد الأكثر رعاية فيما يتعلق بالتجارة.

1- إسماعيل العربي، "المعاهدة الجزائرية الأمريكية، وكيف كانت سببا في إنشاء أول أسطول أمريكي"، الثقافة، العدد 40. 1977. ص 28

2- 1738م – 1826م، ثاني رئيس للولايات المتحدة بين 1797م – 1801م

3- 1743م – 1826م، كاتب وسياسي، وهو ثالث رئيس للولايات المتحدة

4- 1706م – 1790م، عالم وسياسي أمريكي، كان له دور في ميلاد الدولة الأمريكية، فهو واحد من الخمسة الذين حرروا وثيقة إعلان الاستقلال عام 1776م

5- 1752م- 1818م، شاعر وسياسي أمريكي.

6- إسماعيل العربي، المعاهدة الجزائرية الأمريكية... ص 24

والملاحظ أن ظروف البحر المتوسط لم تكن في صالح أمريكا، فقد صار الإنجليز أشد حرصا على قطع الطريق أمام السفن الأمريكية التي تزود فرنسا بالمؤونة، ولهذا استغلوا علاقاتهم مع الباب العالي، ليتوسطوا بين الجزائر والبرتغال، وهو ما أثمر عقد اتفاق بينهما، وبذلك ضاق الأمر على الأمريكان[1]، فقرروا في جانفي 1794م، إنشاء أسطول حربي مهمته حراسة السفن الأمريكية[2].

لكن مثل هذه الترتيبات تتطلب أموالا ووقتا، ولم يكن ذلك في صالح الأمريكان، ولهذا لجأوا إلى التفاوض مع الجزائر، وانتهى ذلك بعقد معاهدة 1795م، التي تعرضت لكثير من العثرات، فكان لزاما ، من أجل تجاوزها، الاستعانة باليهود أصحاب النفوذ في الجزائر.

فقد حضر كوهين بكري المفاوضات بين السلطة الجزائرية وممثلي الولايات المتحدة، ومثل الداي، إذ حمل إلى السفير الأمريكي قائمة بمطالبه من أجهزة وعتاد مقابل عقد المعاهدة.

وكان الأمريكان قد وعدوا بدفع 100 ألف دولار، لكنهم رأوا بعد ذلك أن دفع المبلغ وتقديم الأجهزة والعتاد معا سيثقل عليهم، فتوجه كاثكارت، الأسير الأمريكي الذي كان يشتغل في قصر الداي، ومعه بكري للاجتماع بالداي، وأقنعاه بخصم قيمة العتاد البحري أي 60 ألف دولار.

ولما توجه الموكب الرسمي للسفير الأمريكي إلى قصر الداي، كان بكري واحدا من أعضائه.

1- نثبت هنا تعليق كاثكارت عن هذا الأمر: " وأما تجارتنا، فكان من المحتم أن تبقى تحت رحمة بريطانيا، التي كان نفوذها قويا على البرتغال، إلى درجة كان يمكن معها أن توقع من جديد كارثة مثل كارثة 1723م (أسر 10 سفن أمريكية) متى تراءى لها ذلك"

كاثكارت، مذكرات أسير الداي كاثكارت، قنصل أمريكا في المغرب، ترجمة وتعليق وتقديم إسماعيل العربي، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية. 1982. ص 191

2- كتب جون وولف " إن أول أسطول للجمهورية الفتية، قد أنشئ وفي الذهن البحارة الجزائريون" وفي ذلك إشارة إلى أن سياسة الجزائر البحرية، هي التي جعلت الأمريكان يعتمدون أموالا لبناء أسطول بحري قوي، يقف في وجه الأسطول الجزائري.

جون وولف، مرجع سابق. ص 417

ورغم أن كاثكارت ذكر أن بكري " لم يتلفظ بكلمة واحدة أثناء المفاوضات مع الداي"[1]، فإننا نعتقد أن تأثيره كان قويا للغاية، وآراءه كانت بليغة، وذات نفوذ على الداي، لكنه كان يتعمد الصمت عند حضور الأمريكان، تجنبا لأي صدام معهم، وحفاظا على المصالح التي تربطه بهم.

فقد ذكر إيزنبيث أن كوهين بكري كان من الذين صنعوا السلم بين البلدين[2]، وفي ذلك إشارة إلى هذا الدور الكبير.

وحين قدم بارلو Barlow على الجزائر ممثلا لمصالح الولايات المتحدة، انتاب الداي قلق كبير، لأن الأموال المتفق عليها في المعاهدة لم تصل بعد، ولذلك أعد بارلو بعض الهدايا، وبعث كوهين بكري ليحصل له على مقابلة مع الداي ليقدمها إليه، رغبة في الحصول على مهلة إضافية لوصول أموال المعاهدة، لكن الظرف لم يعد مناسبا " فقد زاد الصيام من حدة مزاج الداي وشراسته"[3]

وفي 11 مارس 1796م، جاء كوهين بكري، وأخذ من بارلو صندوقا صغيرا مصنوعا من الفضة، ليقدمه إلى ابنة الداي باسم بارلو، ملفتا بذلك نظر والدها إلى ضرورة الاعتناء بالشؤون الأمريكية.

وفي 1796م، تلقى بكري 18000 دولار من بارلو، مقابل تدخله لدى الداي، وإقناعه بتأجيل دفع الأمريكان لمستحقاتهم للخزينة الجزائرية[4].

1- كاثكارت، مرجع سابق. ص 181

2- Eisenbeth, M, les juifs en Algérie ... p374

3- كاثكارت، مرجع سابق. ص 242

يجب أن ننبه هنا إلى موقف كثير من الكتاب الغربيين من العبادة لدى المسلم، وخاصة من شهر رمضان المعظم الذي يعتبرون الصيام خلاله مدعاة إلى الكسل والقلق والتعصب الديني في المجتمع الإسلامي، ونحن إذ ننبه إلى هذا الأمر لا نستغربه، لأنه يكاد يكون الطابع العام لمواقف الغرب المسيحي من الإسلام.

فكاثكارت مثلا كتب ص 243: " إن شهر رمضان شهر ركود تام، ولا تكاد تنجز في غضونه أية أعمال"

أما جون وولف فكتب متحدثا عن حادثة المروحة: " لقد كانت صدفة سيئة الحظ، إذ حدثت في نهاية شهر رمضان، وهو الوقت الذي يصل فيه التعصب الإسلامي درجته القصوى"

جون وولف، مرجع سابق. ص 449

4- رحمونة بليل، مرجع سابق. ص 165

بعد تسوية الخلاف الجزائري الأمريكي الحاصل بسبب التأخر في دفع المبالغ المتفق عليها، حمل الأسرى الأمريكان إلى مرسيليا على متن سفينة يهودية تحمل علما جزائريا، ومن ثم إلى الولايات المتحدة عبر المحيط، لكن الإنجليز ألقوا القبض عليها، فحصل بكري من القنصل الأمريكي على مبلغ 40000 دولار كتعويض له عن سفينته[1]. ومن هنا نرى أن اليهود لم يكونوا يخسرون شيئا، إنما يحققون الربح في كل شيء؛ في التجارة، في الوساطة السياسية، في القروض، في افتداء الأسرى، وفي غيرها.

ففي جانفي 1797م، قدم وزير الحربية الأمريكي أوليفيي سكوت إلى الرئيس الأمريكي تقريرا عن معاهدة الصلح بين إيالة الجزائر والولايات المتحدة الأمريكية، مشيرا إلى المبالغ الضخمة التي كان على دولته أن تدفعها، وقد قاربت مليون دولار، وضمّن ذلك إشارة إلى نصيب اليهود منها، وهو 30 ألف دولار حصلوا عليها كعمولة على الوساطة لدى الداي[2].

لم يدم التفاهم الجزائري الأمريكي طويلا ، حتى أعلنت الجزائر الحرب على الولايات المتحدة، بسبب فساد العلاقة بينهما تدريجيا، حيث تم حجز 3 سفن مشحونة ببضائع مختلفة، وهو ما أجبر القنصل الأمريكي لير Lear على استلاف المبالغ المستحقة من بكري لإنهاء الخلاف[3].

ورغم هذا الولاء اليهودي للأمريكان، فإن مصلحة اليهود كانت ذات الأولوية، فحين لاحظوا أن النشاط الأمريكي يهدد مصالحهم في المنطقة، لجأوا إلى تحريض الداي الحاج علي، تحت قناع النصيحة، على إعلان الحرب على أمريكا، وهو ما فعله في جوان 1812م[4]، بعد أن أقنعوه أن الإيالة ستحصل على مبلغ كبير من المال، يدفعه الأمريكان مقابل تجديد معاهدة السلام معهم [5].

1- إسماعيل العربي، المعاهدة الجزائرية الأمريكية... ص 31

2- رحمونة بليل، مرجع سابق. ص 165

3- محمد داة، مرجع سابق. ص 161

4- شالر، مرجع سابق. ص 161

5- شالر، مرجع سابق. ص 141

ونلاحظ هنا أن شالر الأمريكي قد دافع عن هؤلاء اليهود، رغم تضرر مصلحة بلاده، ووجد لهم العذر الكافي، واعتبر أن حساباتهم البشرية قد قادتهم إلى إسداء هذه النصيحة للداي، لكن الشيء الذي غفل عنه شالر، أو حاول تجاوز الإشارة إليه، هو أن هذه النصيحة لم تكن لصالح الإيالة، بقدر ما كانت من أجل المصالح اليهودية، التي بدأت تتضرر بفعل النشاط الأمريكي.

واليهود الذين دافع عنهم شالر، كانوا في الجزائر أصحاب سلطان، في ظل تعفن جهاز الحكم، ونسي أن يهود أمريكا كانوا يفتقرون آنذاك إلى كثير من الحقوق، فمواطنه ونظيره نوح Noah القنصل في تونس، أثارت يهوديته مشكلا في أمريكا، بمجرد ما عرفت، ولذلك كتب إليه الرئيس الأمريكي جيمس مونرو بتاريخ 25 أفريل 1815م، يطلب منه أن يغادر القنصلية الأمريكية بتونس فور استلامه لرسالته[1].

حين تعقدت الأمور بين البلدين، أصبح اليهود يناورون، ويعرضون خدماتهم بنوع من الترفع، وهم في الواقع يخادعون الأمريكان، ويكذبون عليهم، وهو ما أثبته كاثكارت حين قال متحدثا عنهم: " ثم يرجعون بكذبة إلى ممثلينا، دون أن يحظوا حتى بمجرد رؤية الداي"[2]

1- Eisenbeth, M. Les juifs en Algérie… p 371

لكن معلوم أن جيمس مونرو صار رئيسا للولايات المتحدة الأمريكية عام 1817م، وليس عام 1815م

ونوح هو صاحب كتاب: Travels in the Barbary states in the years 1813, 1814, 1815 وهو يحوي معلومات هامة عن يهود الجزائر.

وكانت رحلة هذا اليهودي في شمال إفريقيا، قد ألهمته فكرة اقتراح هام على اليهود، ذلك أنه اعتبر حياتهم في هذه البلدان حياة بؤس ، لا يخرجهم منها سوى العيش في أرض فلسطين، لكن نقلهم إليها في ظل الظروف التي كانوا يعيشونها، أمر مستحيل، ولذلك صرح عام 1825، بفكرة إنشاء مستوطنة يهودية بالولايات المتحدة سماها Ararat يتعود فيها اليهود على الحياة الجماعية التي سيعيشونها في فلسطين ، بعد أن تتوفر ظروف تسمح بنقلهم إليها. لكن مشروعه هذا فشل، لأن اليهود اعتبروا نظرته هذه مجرد وهم، وربما لأنهم اعتبروها وهما، ركزوا أكثر على الجزائر. للاستزادة يراجع:

Eisenbeth, M, "Les juifs en Algérie ... pp 371-372

عبد الوهاب المسيري: مرجع سابق، ج 6، ص 491

2- كاثكارت: مرجع سابق، ص 244

وقد استخلص كاثكارت نظرته هذه عن اليهود، عن تجربة حقيقية جمعته بهم، وكان يلاحظ مؤامراتهم ودسائسهم وهو داخل القصر، فقبل سنوات تعامل مع داود بكري الذي لاحظ حظوته الخاصة لدى الداي، إذ أنه في 28 فيفري 1799م، حمل من الداي مصطفى إلى كاثكارت رسالة كانت عبارة عن توصية إلى باشا طرابلس.

وفي يوم الجمعة 01 مارس 1799م، جاءه بكري برسالة أخرى، لكنها لم تكن من الداي هذه المرة، وإنما من بكري ذاته، إلى يهودي آخر في طرابلس يسمى فرفرا. ويقر كاثكارت أنه لم يجرؤ على فتحها، رغم أنه شك في أمرها، ثم علق على الحادث، معبرا عن شكوكه حول تصرفات اليهود المشبوهة بقوله: " إنني أخشى أن يكون اليهود بصدد التآمر لخداع الولايات المتحدة"[1]

وكانت محصلة التدخل اليهودي على مستوى العلاقات بين الجزائر والولايات المتحدة الأمريكية، هي إفساد هذه العلاقة، وقيام صدام بين قوتيهما البحريتين، ففي 17 جوان 1815م، التقى الأسطول الجزائري بقيادة الرايس حميدو، بنظيره الأمريكي بقيادة الربان ديكاتور Decatur، في البحر المتوسط، وبعد معركة طويلة توفي الرايس حميدو، واستولى الأمريكان على بارجته ذات 46 مدفعا، وفي 19 جوان استولوا على باخرة جزائرية أخرى ذات 22 مدفعا[2].

3 – 4 – تدخلهم في العلاقات الجزائرية الفرنسية:

3 – 4 – 1 - قبل الثورة الفرنسية:

في 1535م، توصلت فرنسا إلى عقد اتفاقية الامتيازات مع الدولة العثمانية، فعمل التجار الفرنسيون على توسيع نشاطاتهم التجارية في البحر المتوسط، ولذلك أنشأ التاجران

1- كاثكارت: مرجع سابق، ص 249

2- عبد الجليل التميمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، الجزائر وتونس وليبيا 1816، 1871. زغوان: منشورات مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني. ط 2. 1985. ص 143

الفرنسيان لانش Thomas Lenche و ديديي Carlin Didier مؤسسة تجارية ومراكز لصيد المرجان بالقالة، وهو ما سيعرف فيما بعد بحصن الباستيون Bastion de France [1].

وفي 1569م، وتحت حكم شارل التاسع [2]، تم تجديد اتفاقية 1535م، لإعطاء الأسبقية للتجارة الفرنسية في الإيالة، وتدعيما لذلك تمت إقامة قنصلية فرنسية في مدينة الجزائر منذ 1564م [3].

وكان الإنجليز يستغلون ساحل القالة، منذ 1684م، بموجب عقد امتياز لمدة 10 سنوات، ليتحول هذا الامتياز بعد ذلك إلى شركة هيلي Helly التي حققت أرباحا طائلة، لكن اليهوديين سيمون Simon وميلهان Milhan تسببا في إفلاسها والهروب إلى إسبانيا [4].

وقد توسع النشاط التجاري الفرنسي في البحر المتوسط، لكن المنافسة اليهودية شكلت خطرا على المصالح الفرنسية، خاصة لما تغلغل اليهود في فرنسا ذاتها، فصار التجار الفرنسيون يشتكون آثار هذه المنافسة، ولذلك كتب القنصل بوم Baume يوم 05 أوت 1718م، إلى الملك الفرنسي، يحثه على معاقبة اليهود الفرنسيين على نشاطهم غير الشرعي مع اليهود الجزائريين [5].

ثم كتب هذا القنصل في25 جويلية 1719م، يشحذ همم المسؤولين عن الغرفة التجارية بمرسيليا، ليتخذوا إجراءات صارمة ضد التجار اليهود، وينبههم إلى أن التجارة اليهودية تعرف حماية هامة من حكام الإيالة [6].

ويعطي إيزنبيث دليلا على تعرض اليهود لبعض المواقف المتصلبة، من قبل شخصيات فرنسية، من خلال ما ذكره عن مصادرة شحنة أرز بتونس، لتاجر يهودي،

1- أرزقي شويتام، مرجع سابق. ص 254

2- ابن هنري الثاني، حكم فرنسا بين 1560م و 1574م، خلفا لأخيه فرانسوا الثاني، وكان عمره 10 سنوات عند تنصيبه ملكا.

3 - Rozet et Carette, Op.cit. p 476

4- رحمونة بليل، مرجع سابق. ص 204

5- جون وولف، مرجع سابق. ص 169

6- محمد دادة، مرجع سابق. ص 185

وكانت قادمة من مرسيليا، وقد برر القنصل إعادتها إلى فرنسا بكون تصدير هذه المادة مناقضا لأوامر الملك، بينما لم توجد أية آثار لعمليات مشابهة تمس غير اليهود [1].

وفي 10 أبريل 1734م، حث لومير Lemaire الغرفة التجارية بمرسيليا على منع التجار اليهود من شحن البضائع الفرنسية من أرصفة مرسى هذه المدينة [2].

ونظرا لهذه التنبيهات المتكررة، تحركت السلطات الفرنسية، فاتخذت إجراءات لطرد اليهود الجزائريين من مرسيليا [3]، لكن ردود أفعالهم كانت في الجزائر، بتحريض نظام الحكم فيها، على التضييق على المصالح الفرنسية.

وجاءت اتفاقية 1719م، بين الجزائر وفرنسا، والتي سمح البند الثامن والعشرون منها للفرنسيين بالتجارة بحُرية في وهران، وبتنصيب نائب قنصل فيها، لكن ذلك ظل حبرا على ورق، حتى جاء التاجر الفرنسي برنارد ميشان Bernard Maichens، فحصل على امتياز من الداي بالمتاجرة مع الجزائر، يقتني بموجبه لصالح الداي، وبموافقة ملك فرنسا، الأشرعة والأخشاب الضرورية للبواخر، وفي المقابل حصل على امتياز آخر بالمتاجرة في وهران، فكلف ابن أخيه بشحن كميات من القمح منها [4].

ولكي يثبّت الفرنسيون أقدامهم أكثر في الجزائر، أنشأوا الشركة الملكية الإفريقية يوم 22 فبراير 1741م [5]، بناء على اتفاق جزائري فرنسي، يقضي بتقديم 36141 جنيه سنويا

1- Eisenbeth, M, les juifs en Algérie … p 117

2- جون وولف، مرجع سابق. ص 169

3- عبر جون وولف عن حدة الصراع اليهودي الفرنسي واشتداده في القرن 18م، بقوله: " وعلى أية حال، فإذا كان هناك من يشك في قدم، أو في عمق العواطف الأوربية المعادية لليهود، فعليه أن يقرأ مراسلات القناصل الفرنسيين من الجزائر، خلال القرن 18م"

جون وولف، مرجع سابق. ص 426

4- Masson, Op.cit. p 312

5- Feraud, C. Histoire des villes de la province de Constantine; La Calle. Alger: V.Aillaud et Cie, 1877. p 303

وقد خلفت الشركة الهندية، حيث اشترت منها حصن الباستيون مقابل 150 ألف فرنك.

يراجع:

محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري ... ص 201

للجزائر، مقابل حمايتها لمصالح الشركة، التي سيتم استبدالها بالوكالة الوطنية الإفريقية في فبراير 1794م.

ونظرا لأهمية الجزائر بالنسبة للمصالح الفرنسية، عملت فرنسا على التودد إلى الإيالة عن طريق الاهتمام بتجارها، إذ وجه الوزير مورا Moras، إلى أعضاء الغرفة التجارية، رسالة بتاريخ 17 أكتوبر 1757م، تتحدث عن التاجر قدور، الذي قدم إلى مرسيليا، مطالبا بتسديد ثمن كميات من الصوف: " فعليكم بترضيته بتسديد المبلغ، ومن اللائق منحه تعويضا عن رحلتيه، وخذوا منه توقيعا كشهادة على العدالة وحسن المعاملة" وقد أعطي مبلغا إضافيا من المال كتعويض [1].

وكان كبار التجار الفرنسيين في مرسيليا، يشيرون على حكومتهم بضرورة الحفاظ على العلاقات مع الجزائر، لارتباط مصالحهم بها، وكانت الغرفة التجارية بمرسيليا هي المشرفة على إدارة العلاقات الجزائرية الفرنسية، حتى صار لها حق التدخل في السياسة الفرنسية، إذ أصبحت تتمتع بحق تعيين القناصل الفرنسيين بالجزائر [2].

وقد حرص لويس السادس عشر [3]، الذي اعتلى عرش فرنسا عام 1774م، على أن يغلب على العلاقات الجزائرية الفرنسية، طابع السلم والصدق في المعاملة، حتى أنه أرسل إلى الداي يخبره بميلاد واحد من أمراء الأسرة الحاكمة، ورغبته في أن يشاركه الحلفاء والأصدقاء الفرحة، وكان يَعتبر الداي واحدا منهم [4].

وحين دخل الروس إلى المياه الدافئة، بموجب معاهدة كوجوك كينارجي مع الدولة العثمانية في جويلية 1774م، ألقوا القبض على تجار جزائريين، قادمين من الإسكندرية على متن سفينة فرنسية، وسلموهم إلى فرسان مالطا، فتدخل الفرنسيون بطلب من الداي لإطلاق سراحهم، ورد سلعهم إليهم [5].

1- رحمونة بليل، مرجع سابق. ص ص 192 - 193

2- محمد زروال، مرجع سابق. ص 01

3- (1754م – 1793م) قامت الثورة الفرنسية في عهده، وحكم عليه بالموت.

4- جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا... ص ص 163 - 164

5- جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا... ص 165

ورغم اعتراض الأوربيين على الفرنسيين، بدعوى أنهم يساندون " القرصنة" الجزائرية، استمرت هذه العلاقات بين الجزائر وفرنسا، التي حرصت على استمرار امتيازاتها في الإيالة، في ظل التنافس التجاري القوي الذي ميز حوض البحر المتوسط.

ومما سبق يتبين أن اليهود لم يؤثروا بشكل كبير في العلاقات الجزائرية الفرنسية في زمن الملكية، وهذا راجع إلى عدم تمكنهم من بسط نفوذهم في فرنسا، في ظل التعصب المسيحي الذي كان غالبا على توجهات الكنيسة الكاثوليكية، ومن جهة أخرى لم يكن دايات الجزائر أدوات طيعة في أيدي اليهود، رغم أن أغلبهم كانت له معهم علاقات وتعاملات قربت بينهم بشكل واضح، على عكس ما ستعرفه العلاقات الجزائرية الفرنسية في الفترة اللاحقة، والتي سيكون لليهود فيها بالغ الأثر.

3 – 4 – 2 - بعد الثورة الفرنسية:

3 – 4 – 2 - 1 – يهود الجزائر والثورة الفرنسية:

لم يكن لليهود في فرنسا قبل ثورة 1789م نفوذ كبير [1]، رغم أن بعضهم وصل إلى مناصب عليا، مثل وزير المالية جاك نيكر Jacques Necker [2]، في عهد لويس السادس عشر، ولذلك كان ضروريا ليهود فرنسا أن تتغير الظروف السياسية، لكي تتبدل، تبعا لها، ظروف اليهود الذين روجوا لأفكار الإصلاح، ولذلك كان المحفل الماسوني الأكبر في باريس، مقرا لتجمع قادة الثورة، ولا عجب في ذلك، فالماسونية والثورة الفرنسية توأمان[3] ولا يولد التوأمان إلا من رحم واحدة [4].

ولم تكن مساندة الثورة الفرنسية لتقتصر على يهود فرنسا فقط، وإنما استخدم في ذلك يهود الجزائر، مع مراعاة بعض خصوصياتهم، كمصالحهم التي لم يضحوا بها تماما،

1 - Garrot, Op.cit. p 60

2- 1732م – 1804م، سياسي سويسري، كان وزيرا للمالية، وهو صاحب دور فيما آلت إليه فرنسا الملكية من ديون.

3- عبد الله التل، مرجع سابق. ص 13

4- من الكتابات التي اهتمت بدور اليهود في الثورة الفرنسية:

- داود عبد العفو سنقرط، اليهود في المعسكر الغربي، عمان: دار الفرقان للنشر والتوزيع. ط 2. 1987

- سبيرودوفيتش (شيريب): مرجع سابق.

وإنما حاولوا التأقلم مع الظروف الجديدة، حيث يدعمون الثورة، وذلك هو الهدف الأكبر، ويربطون، في نفس الوقت، علاقات مع أطراف أخرى، تحسبا لأية تقلبات قد تعرفها منطقة البحر المتوسط، وهذا شيء طبيعي جدا في الدبلوماسية وحسن رعاية المصالح.

فبعد قيام الثورة الفرنسية التي هددت الأنظمة الملكية في أوربا، عملت بريطانيا على استغلال الصعوبات التي كانت تواجه فرنسا، حيث تدخلت لدى السلطات الجزائرية، لإقناعها بعدم تزويد الفرنسيين بالمواد الغذائية الضرورية، وكان الهدف هو تجويع الشعب الفرنسي، والضغط عليه، كي ينقلب على النظام الجديد، الذي جاءت به الثورة.

لكن اليهود ساهموا في إفشال المخطط الإنجليزي، من خلال تموين فرنسا خاصة بالحبوب، ولذلك رأى القنصل الإنجليزي أن يتصل ببكري وبوشناق، ليقنعهما أن الثورة الفرنسية إنما هي حدث عابر، لا يلبث أن يزول، وأن الأنظمة الملكية الأوربية سوف تنتصر لا محالة، ورغم أن اليهوديين قللا من التصدير باتجاه فرنسا، خاصة بعد أن فتح الإنجليز أمامهم جبل طارق، إغراء لهم، فإنهم لم يسايروا الخطة الإنجليزية إلى النهاية، لاسيما بعد أن حقق نابليون بونابارت انتصارات كبرى في حروبه التوسعية.

ولعل من حسن حظ الثورة الفرنسية، أن حسن باشا صار دايا على الجزائر، بين 1791م و 1798م، وهي الفترة الحرجة التي مرت بها فرنسا، باعتبار أن الأنظمة الملكية عملت على القضاء على الثورة في مهدها، والداي حسن كان صديقا لليهود، مدعما لهم على المستوى المحلي، وخاضعا لهم في سياسته الخارجية، ولهذا استغلوه في الترويج لتجارتهم من جهة، ولدعم إخوانهم في فرنسا من جهة أخرى [1].

فحين أصبح الحصار مضروبا على فرنسا منذ 1792م، بسبب التحالف الإنجليزي الإسباني، تمت مضايقة الملاحة الفرنسية، نظرا لقرب القوات المتحالفة من سواحل فرنسا، فلجأ الفرنسيون إلى التعامل مع اليهود الجزائريين، الذين صاروا ينقلون بضائع

1- يرى جون وولف أن بكري وبوشناق نصحا الداي حسن بالوقوف على الحياد، في الصراع الفرنسي الإنجليزي، بعد قيام ثورة 1789م، كما يرى أنهما لم يميلا إلى فرنسا إلا بعد تحقيقها انتصارات كبرى، بعد 1794م، لكننا نستبعد هذا الرأي، بناء على الدعم القوي الذي قدمه بابا حسن للثورة الفرنسية في سنواتها الأولى.

يراجع:

جون وولف، مرجع سابق. ص 441

من الجزائر إلى فرنسا، لحساب المؤسسات الفرنسية العاملة بالجزائر، وكان ذلك يتم عن طريق استخدام سفن ترفع عليها الراية الجزائرية.

ولكي تتم مخادعة الإنجليز والإسبان، كان اليهود يوجهون سفنهم إلى إيطاليا، ثم تنقل البضائع برا إلى فرنسا، وهكذا ساهم يهود الجزائر في فك الحصار عنها، مقابل أموال كثيرة، حتى أن الفرنسيين نزلوا لهم عن المتاجرة مع الأهالي في الشرق الجزائري، وسمحوا لهم باستعمال المؤسسات الفرنسية للتصدير والاستيراد.

كما أن الوكالة الإفريقية لجأت إلى توظيف بعض يهود الجزائر، ليصحبوا سفنها بجوازات سفر جزائرية، وكان من بين هؤلاء إسرائيل صابر تيس، وشمعون كوهين، كما استأجرت الوكالة خدمات بعض اليهود الإيطاليين لنفس الغرض [1].

ونظرا لأهمية اليهود بالنسبة لفرنسا في هذا كله، كتب القنصل الفرنسي بتونس دوفواز Devoise إلى وزير الخارجية تاليران [2]، رسالة بتاريخ 14 مارس 1799م، يبين له فيها أن أسهل طريق أمام الفرنسيين، للوصول إلى عقد اتفاق مع الجزائر، هو الاستعانة باليهود: " وإذا أرادت حكومة الديراكتوار [3] أن تكظم غيظها، وتعقد سلاما مرقعا مع الجزائر، فهي لا تحتاج إلا إلى تدخل بكري سريا لهذه الغاية، فإن هؤلاء اليهود لهم نفوذ قوي على شؤون الإيالة، بفضل ثقة الداي ووزرائه فيهم" [4]

وحينما كانت فرنسا في أمس الحاجة إلى الأموال والمؤونة، لم تستغل الجزائر ظروفها هذه، بل مدت إليها يد المساعدة، وكان ذلك بوحي من اليهود إلى صديقهم الداي حسن، حيث تم إقراض الفرنسيين 5 ملايين فرنك بدون فوائد، وسمح لهم بالتزود من الموانئ الجزائرية، وكان ذلك، في حد ذاته، دعما قويا للنظام الجديد.

وحتى حينما تنكرت فرنسا لكل هذه الجهود المقدمة من بلد إسلامي، وعقدت عزمها على احتلال مصر، وهي إحدى ولايات الدولة العثمانية، تواصل دعم اليهود للفرنسيين،

1- محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية ... ص 214

2 بالرغم من كل ما قيل عن تاليران، من أنه كان بيدقا في يد اليهود، وأنه تحول إلى محام بارع يدافع عن مصالحهم، فإنه كان حريصا على هدف كبير، وهو ألا تفقد فرنسا الحليف اليهودي بالجزائر.

3- حكمت فرنسا بين 26 أكتوبر 1795م و 10 نوفمبر 1799م.

4- محمد دادة، مرجع سابق. ص 153.

من خلال تزويد جيوشهم في إيطاليا بشحنات من القمح والمواد الضرورية الأخرى، ولما وصلت الجيوش الفرنسية إلى مصر، بعث إليها يهود الجزائر بمليوني زجاجة خمر، وبكميات من منتوجات جزائرية أخرى، بل وتم تزويدها حتى بالأسلحة والذخيرة[1].

وكان في الجزائر أسرى فرنسيون، تحول بعضهم إلى عبيد، فطالبت السلطات الفرنسية الداي بإطلاق سراح 106 منهم، ففعل في ماي 1808م، مقابل وعد من فرنسا بالتدخل لإطلاق سراح بعض الجزائريين الأسرى في البرتغال، إضافة إلى بعض الهدايا التي تقدم إلى الداي، لكن الفرنسيين لم يوفوا بوعدهم، فتم إخطار القنصل الفرنسي، في جوان 1809م، أنه سيتم سجنه، هو وبعض الفرنسيين، حتى يصل العدد إلى 106، لكن اليهودي بكري تدخل فزود الفرنسيين بـ 25000 فرنك ليستطيعوا مغادرة الجزائر [2].

وهنا نتساءل: بأي حق كان بكري يتصرف ضد رغبة أول حاكم للبلاد؟ وكيف يساعدهم على حساب الأسرى الجزائريين الذين كانوا محتجزين في البرتغال؟

لم يكن اليهود، في جميع خططهم وأعمالهم، يخدمون إلا أنفسهم، ولم يكونوا يراعون إلا مصالحهم، أما مصلحة المجتمع الجزائري فكانت آخر شيء يفكر فيه اليهودي، خصوصا وأنه كان مرتبطا مع إخوانه اليهود في فرنسا، بمصلحة واحدة، وهي ضرورة إنجاح مشروع الثورة، التي كانت من وحيهم وتخطيطهم [3]، ليعوضوا ما لم يحصلوا عليه في عهد الملكية.

فقد كان دور اليهودي سيرفبير Cerfbeer [4] في فرنسا كبيرا، إذ أقنع الجمعية التأسيسية[5] بتحرير اليهود المقيمين في فرنسا [6]، ولذلك صدر قانون 28 سبتمبر 1791م، الذي أعطى يهود التراب الفرنسي جميع الحقوق المدنية التي كانت للمسيحيين [7].

1- سنعود لاحقا لتفصيل الحديث عن موقف اليهود من الحملة الفرنسية على مصر (ص 107 وما بعدها)

2 - Eisenbeth, M. les juifs en Algérie … p 380

3- للاستزادة في موضوع دور اليهود في التحولات التي عرفتها أوربا في القرنين 18م و 19م، يراجع:
محمد قطب، مذاهب فكرية معاصرة، بيروت: دار الشروق. ط 3. 1988.

4- رجل أعمال يهودي، ولد عام 1730م ومات عام 1793م، بسط حمايته على يهود فرنسا بشكل مذهل.

5- هي التي حكمت فرنسا في بداية الثورة، بين 09 جويلية 1789م و 01 أكتوبر 1791م.

6 - Virebeau, G, Op.Cit. p 05

7- فوزي سعد الله، مرجع سابق. ص 242

ونظرا للحاجة المتبادلة بين فرنسا ويهود الجزائر، قويت علاقات بعض الشخصيات اليهودية بهم، وهو أمر استغلوه للوصول بنفوذهم إلى الأجهزة الفرنسية، وحينما تفطنت شخصيات سياسية إلى خطرهم، نبهت إلى ضرورة محاربته، فمدير الغرفة التجارية بمرسيليا مثلا، كتب ينبه قيادة الثورة الفرنسية إلى هذا الخطر الداهم، ويدعو إلى مجابهة نفوذ اليهود في فرنسا، كما نبه آخرون إلى الأساليب الملتوية التي ينتهجونها، فجونبون دو سانت أندري Johnbon de Saint André، كان قنصلا للجمهورية لدى الجزائر[1]، ونظرا لبصيرته، التي استغربها الحاخام اليهودي فيربو لدى مسيحي مثله، عرّض مصالح اليهود للخطر، لما نبه باريس إلى خطورة ما يقوم به اليهود، حين يبيعون شحنات من القمح لفرنسا، يستحوذ عليها القراصنة بوحي من اليهود أنفسهم، والذين يشترونها، ثانية، بأثمان أقل، ليعيدوا بيعها للفرنسيين من جديد [2].

وبهذه الأساليب الملتوية، تمكن اليهود من الحفاظ على مصالحهم من جهة، ومن استمرار علاقاتهم بقيادات الثورة الفرنسية، والشخصيات الفاعلة من جهة أخرى.

<u>3 – 4 – 2 – 2 - يهود الجزائر والحملة الفرنسية على مصر:</u>

بعد أن تجاوزت الثورة الفرنسية مرحلتها الأولى، وسلمت من الوأد وهي في مهدها، عمل بونابارت على تصديرها إلى الخارج، متبنيا فكرا استعماريا، فعزم على مهاجمة الشرق الإسلامي، وكانت البداية مع مصر، عام 1798م، التي نظم حملة لغزوها، وكانت هذه الحملة سببا قويا لفساد العلاقة بين فرنسا والدولة العثمانية، واستغل الإنجليز هذه الظروف، لتأليب الرأي العام الإسلامي ضد الفرنسيين، فأصبحت الجزائر تحت ضغط الرأي العام المحلي والخارجي، ولذلك لما تلقى الداي مصطفى القفطان والسيف التقليدي، من السلطان، يوم 16 أكتوبر 1798، تلقى معه الأمر بإعلان الحرب على فرنسا، لكن بكري وبوشناق مارسا ضغطا على الداي، حتى جعلاه يتلكؤ في إعلان هذه الحرب، ولذلك جاءه الأمر ثانية من السلطان، في 22 نوفمبر 1798م، بضرورة قطع العلاقات مع فرنسا، وإعلان الحرب عليها، فعمد إلى سجن القنصل مولتيدو، يوم 21 ديسمبر 1798م،

1- خلف القنصل فاليير Vallière يوم 07 أبريل 1796م.

2 - Virebeau, G, Op.cit. p 09

ليطلق سراحه بعد أسابيع فقط من ذلك، يوم 22 فبراير 1799م، بضغط من بكري وشريكه [1]. وكان السجن الذي أدخل فيه الفرنسيون يدل دلالة واضحة على وقوع الداي تحت ضغط اليهود، فقد وضعوا تحت الإقامة الجبرية [2]، وتم الاهتمام بهم إلى حد كبير.

ويفسر هذا الموقف من اليهود، بكون بوشناق وبكري فتحا، في نفس الفترة فرعا جديدا لشركتهما في مرسيليا، بهدف توسيع علاقاتهما التجارية في البحر المتوسط [3].

لكننا نفسر الموقف أيضا بكون اليهود طرفا في الثورة الفرنسية، وهم الذين سيستفيدون من شعاراتها وإصلاحاتها، فيتحول الغبن الذي عاشوه في فرنسا منذ عدة قرون، إلى امتيازات تجارية، ومناصب عليا في حكومات الثورة المتعاقبة [4].

وما يدل على صحة هذا التفسير، هو مجازفة يهود الجزائر، ومغامرتهم بدعم حملة نابليون على مصر، وقد جنوا بذلك أرباحا طائلة، لكنهم عرضوا وجودهم في الجزائر إلى خطر كبير، ذلك أن الإنجليز ضغطوا على الباب العالي، ليخرج، من الأراضي التابعة له، كل اليهود بسبب موقفهم الداعم للثورة الفرنسية.

وحتى حين أعلن الداي مصطفى الحرب ثانية على نابليون [5]، في 25 جانفي 1801م، ضغط عليه اليهود، ويظهر أثر توجيههم له في استقباله للقنصل الفرنسي دوبوا تانفيل، والإفصاح له عن مشاعره الخالصة، تجاهه وتجاه الرعايا الفرنسيين، ثم أعقب ذلك بكتابة رسالة إلى نابليون، في 13 أبريل 1801م، اعتذر له فيها عن إعلانه الحرب ثانية على فرنسا [6]، ولذلك جامله بونابارت برسالة بتاريخ 24 نوفمبر 1801م، يقول فيها: " لقد أرغمتكم أسباب سياسية عليا، لكن الرسالة التي بعثتموها إلي، وتعاملكم منذ مغادرة

1- محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية ... ص 225

2- جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا... ص 192

3- إسماعيل العربي، دور اليهود في دبلوماسية الجزائر... ص 54

4- كان مانويل اليهودي الإسباني، قد نشط خلال الثورة، وأصبح قائد عامة الشعب، وهو الذي قاد الحملة ضد الملك لويس السادس عشر وأسرته، وأعدمهم، كما ترأس اليهودي ديفيد الرسام لجنة الأمن العام، وحاكم كثيرا من الفرنسيين. يراجع:

عبد الله التل، مرجع سابق. ص 15

5- معلوم أن الإيالة عقدت صلحا مع فرنسا في 30 سبتمبر 1800م، بتوجيه من اليهود، لكن استمرار الحملة الفرنسية على مصر، جعل الباب العالي يطالب الداي مصطفى بإعلان الحرب مجددا على الفرنسيين.

6- G, Virebeau, Op.Cit. p 05

القنصل تانفيل، جعلتني أتفهم الأسباب التي دفعتكم إلى تلك التصرفات، ولكن الماضي مضى وانقضى" [1]

وبتحريض من الإنجليز، كان الباب العالي قد أصدر أمرا، إثر استعادة العلاقات بين الجزائر وفرنسا في 30 سبتمبر 1800م، باعتقال كل الرعايا الجزائريين في الإمبراطورية العثمانية، ومصادرة ممتلكاتهم، وهو ما أدى إلى خسائر كبيرة مست الجزائريين، فتلقى الداي وعدا من القنصل تانفيل بالتعويض، ولذا طالب بـ 200 ألف قرش إسباني [2]، لكن نابليون رد عليه برسالة شديدة اللهجة، هدده فيها بغزو الجزائر، إذا لم يعدل عن المطالبة بهذه المبالغ [3].

ورغم هذا كله أجاب الداي مصطفى نابليون برسالة فيها كثير من الضعف: " لما رفضتم أن ترسلوا إلي المائتي ألف قرش التي كنت طلبتها، تعويضا عن الخسائر التي تكبدتها بسببكم، وفقا لما تعهد به القائم بالأعمال باسمكم، وسواء دفعتم لي هذا المبلغ أو لم تدفعوه، فإننا سنبقى مع ذلك أصدقاء" [4]

وقد نجد لهذا الموقف المتخاذل بعض المبررات، فحملة نابليون على مصر قد بينت بوضوح الفرق الشاسع بين أوربا المسيحية، التي تزداد قوة بفعل منتجات الثورة الصناعية، وبين الشرق الإسلامي الذي يزداد ضعفا، ولربما كان تهديد نابليون بغزو الجزائر سببا في استخدام الداي مصطفى للهجة تحمل كل مظاهر الخنوع، خصوصا وأن البلاد عاشت ثورات داخلية، عرضتها لهزات قوية على المستويين السياسي والاقتصادي، فقد قل الأمن، وهجر الناس أراضيهم، وتضررت بذلك التجارة.

لكن ذلك كله لا ينبغي أن يجعلنا نغفل دور بكري وبوشناق، اللذين عملا على الضغط على الداي، حتى لا يحدث أي تقارب بينه وبين الباب العالي، من شأنه أن يؤثر على

1- C, Feraud, Op.cit. p 564

2 -Nettement, Histoire de la conquête d'Alger, Paris: Librairie Jacques Lecoffre, 1867. p 125

3- بعث تاليران وزير الخارجية الفرنسي تقريرا إلى المبعوث فوق العادة للدولة العلية، يشتكي تعرض بعض الرعايا الفرنسيين إلى مضايقات في الجزائر، وقد حصلنا على نسخة من ترجمة هذا التقرير من مركز الأرشيف الوطني، وهي مثبتة في الملحق.

4- جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا... ص 200

مستقبل الحملة الفرنسية على مصر، وذلك تدعيما لنابليون، صاحب المشروع الاستيطاني اليهودي في فلسطين [1].

ونظرا لهذا النفوذ اليهودي، والهيمنة على الداي مصطفى، الذي وقف حجر عثرة أمام الإنجليز يمنعهم من استغلال الجزائر ضد نابليون، حرض القنصل الإنجليزي فالكون Falcon ومواطنه الأميرال كايت Keith بعض أفراد الجيش الانكشاري ضد الداي، فتعرض إلى محاولة اغتيال، في 18 سبتمبر 1800م، حينما كان في المسجد، يصلي الجمعة، إذ اقتحم القصر تركي يدعى بالي (ولي) خوجة، ومعه اثنا عشر شخصا، وجلس على العرش، وأعلن أن المكانة التي يتمتع بها اليهود، هي التي دفعته إلى اتخاذ هذه الخطوة [2]، لكن هؤلاء الثوار قتلوا، ووزع الداي على المدافعين عن عرشه 30000 قرش ذهبي [3]، كما تعرض في مارس 1805م، إلى محاولة اغتيال أخرى [4].

ورغم فشل هذه المحاولات، فإنها تعبير واضح عن حالة الغليان التي عاشها المجتمع، بسبب وقوع الداي تحت تأثير اليهود.

3 – 4 – 2 – 3 - قضية الديون:

تعتبر قضية الديون مسألة حادة، طبعت العلاقات الجزائرية الفرنسية، منذ نهاية القرن الثامن عشر الميلادي.

1- معلوم أن نابليون هو صاحب أول وعد يعطى لليهود في العصر الحديث، ويقضي بإسكانهم في فلسطين، وكان هذا الوعد بتاريخ 20 أفريل 1799م، كما أشرنا سابقا، لكن تجدر الإشارة إلى أن أوليفر كرومويل Oliver Cromwell (1599م – 1658م) زعيم إنجلترا، حاول الاستفادة من الخبرة التجارية لليهود، فقدم لهم التسهيلات الضرورية، وقد أنشئت في زمن حكمه، حركة تدعو إلى مساعدة اليهود على الاستيطان في فلسطين، قدمت إلى الحكومة الإنجليزية، عام 1649م، عريضة جاء فيها: " إن الأمة الإنجليزية مع سكان الأراضي المنخفضة، سيكونون أول الناس وأكثرهم استعدادا، لنقل أبناء إسرائيل وبناتها على سفنهم، إلى الأرض الموعودة لأجدادهم، إبراهيم وإسحاق ويعقوب، كي تصبح إرثا دائما لهم "

أمين عبد الله محمود، مرجع سابق. ص 12

2- أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان(1830م – 1855م)، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب. 1989م. ص 40

3- أبو العيد دودو، نفسه. ص 40

4- نجوى طوبال، مرجع سابق. ص 191

وتعود أصول هذه القضية إلى مرحلة قيام الثورة الفرنسية، وما نتج عنها من صراع بين فرنسا الجمهورية والأنظمة الأوربية الملكية، التي لم تتأخر في إظهار نيتها في التضييق على النظام الجديد، خوفا من انتشار عدواه إلى المنطقة كلها.

في هذه الظروف، أصبحت فرنسا في أمس الحاجة إلى كل مساعدة، خصوصا المواد الغذائية الضرورية، وعلى رأسها القمح، فقد تعرض الوسط الفرنسي إلى موجات من الجفاف أضرت بالإنتاج الزراعي، وصارت السفن الأوربية تتتبع السفن الفرنسية، لتمنعها من تزويد البلاد.

ولما قلت المواد الأولية كالشمع والجلود، صارت المصانع الفرنسية مهددة بالغلق، وهو ما كان يعني تعرض عمالها إلى البطالة، وذلك أمر لم تكن فرنسا قادرة على تحمل نتائجه في تلك المرحلة الخطيرة.

ووجد الفرنسيون ضالتهم في الجزائر، لتفك عنهم هذا الحصار الخطير، فطلبوا من الداي حسن إقراضهم مالا، ورغم أنه اعتذر عن توفير مبلغ كبير لهم، إلا أنه أعطى المبعوث الفرنسي هيركولي، مبلغ مليون فرنك، وطلب إلى اليهود إرسال صادراتهم إلى فرنسا، ولما كانت رغبة اليهود موافقة لهذا الطلب، أظهروا بعض التملص، بحجة عدم امتلاك الأموال الكافية لدفع أثمان المواد المصدرة، باعتبار أن الفرنسيين سيقيدونها كديون لصالح بكري وبوشناق.

وانطلت الحيلة على الداي، فقبل تزويد الشركة بالأموال الضرورية، من خزينة الإيالة [1]، وقد قام بكري وبوشناق بدور الوساطة في هذه المفاوضات المتعلقة بالديون، وتلك الخاصة بشحنات القمح [2]، حتى جعلوا فرنسا تستفيد من قرض إجمالي، بخمسة ملايين فرنك، من الداي حسن بدون فوائد، إضافة إلى شحنات القمح العديدة، التي أنقذت أقاليم الوسط الفرنسي.

ولعل الأهم من هذا كله، هو أن الإيالة أعفت الفرنسيين من دفع الضرائب السنوية، واكتفت بالهدايا، وقوفا إلى جنبهم في الظروف التي عاشوها عقب قيام الثورة.

1- جمال قنان، معاهدات الجزائر ... ص 190

2- Rozet et Carette, Op.cit. p 503

ولم تلبث قضية الديون أن تحولت إلى مشكلة بين البلدين، ففي 1798م، بعث الداي مصطفى رسالة إلى المديرية التنفيذية في فرنسا، حول تباطؤ الفرنسيين في تسديد الديون المستحقة لبكري وبوشناق.

ورغم أنه لم يكن أحد في فرنسا يفكر في تسديد هذه الديون [1]، فإن تصرفات اليهود جعلت الفرنسيين يصرون أكثر على ذلك، فقد لاحظ القنصل سانت أندري، نفاق بكري ودسائسه مع القنصل الإنجليزي، فقدم نصيحة إلى وزير المالية الفرنسي رامل Ramel ليؤجل تسديد الديون [2] من باب الضغط على اليهود.

ومن جهة أخرى، حاول هذا القنصل تجاوز بكري في التفاوض مع الداي، حيث توصل معه إلى اتفاق يسمح بتصدير مزيد من الحبوب إلى فرنسا، وبعد ذلك عاد، فلجأ إلى اليهود الذين صار دورهم أهم، فيما يتعلق بتزويد فرنسا بالمؤونة عوضا عن الوكالة الإفريقية.

لكن بكري وجد في باريس حليفا قويا هو تاليران، الذي طالب بضرورة توفر النية الصادقة لدى الفرنسيين، لدفع ديون اليهود، وأعطى الدايَ وعودا بذلك.

وحين قدم تانفيل إلى الجزائر، استخدم بكري، ليمهد له الطريق لدى الداي، فكانت بداية المحادثات الرسمية يوم 15 جويلية 1800م، ليتم التوصل إلى اتفاق 30 سبتمبر 1800م بين البلدين.

وقد تعددت القضايا التي وجبت مناقشتها، وكان على رأسها ملابسات الحملة الفرنسية على مصر، وقضية ديون بكري وبوشناق، ونظرا لأن وعود تانفيل كانت سخية للغاية، والتي أكدت على تسديد الفرنسيين لهذه الديون، على أقساط، بمجرد انتهاء حالة الحرب بين البلدين، فإنه استطاع إقناع الداي بتزويد الحامية الفرنسية بمالطا، بالحبوب والمواد المختلفة، وهو ما تكفل اليهود بإيصاله إلى هناك.

وظلت مسألة الديون هذه عالقة، بسبب شخصيات فرنسية، وأخرى يهودية، عملت على استغلالها لإفساد العلاقة بين الجزائر وفرنسا، فدوبوا تانفيل مثلا عرّض هذه العلاقات، بين 1800م و 1814م، إلى صعوبات كبيرة، بحكم تقلب مزاجه وحالته

1- Eisenbeth, M, Les juifs en Algérie….p 383

2- Eisenbeth, M, Les juifs en Algérie….p 383

الشخصية [1]، وهو الذي كان تسييره لأموال القنصلية الفرنسية سيئا للغاية، حتى أن لجنة تحقيق فرنسية اتهمته باختلاس كثير منها، وحكم عليه بمصادرة أمواله لصالح الخزينة الفرنسية.

ونظرا لمواقفه الملتوية، طالبت السلطات الجزائرية فرنسا بإبعاد تانفيل، مرحبة بأي شخص جديد يعين محله.

أما دوفال فقد عمل على زعزعة أسس العلاقات الجزائرية الفرنسية، وقد اتفق مع بكري على تفعيل قضية تصفية الديون في فرنسا، وكان ينوي أن يستولي مع بعض أصدقائه على هذه المبالغ [2]، في حين أنه كان يجدد الوعود للداي بتسليمه إياها.

وقد ذكر حمدان خوجة أن دوفال كان يمنع وصول رسائل الداي إلى فرنسا، مستعملا في ذلك طرقا مختلفة [3]. ويرد جمال قنان رأي خوجة، ويرى أنه لم يكن مقتنعا بهذا الكلام، لكنه ذكره من باب الدفاع عن الجزائر [4]. غير أننا لا نرى في رأي خوجة ما يرد، باعتبار أن دوفال كان شديد التعصب لبلده، والحرص على مصالحه، رافضا رفضا مطلقا الاعتراف باستقلال الجزائر وسيادتها [5]، وهو الذي كان سببا في حادثة المروحة، وفيما وقع للجزائر بعدها.

1- جمال قنان، معاهدات الجزائر... ص 197

2- حمدان خوجة، مرجع سابق. ص 179

نفس الرأي يذهب إليه بيرو Perrot إذ يذكر أن اليهود اقتسموا السبعة ملايين، بالاتفاق مع دوفال وشخصيات أخرى. يراجع:

M, Perrot, La conquête d'Alger, Paris: Langlois Fils Editeurs, 1830. p 22

3- حمدان خوجة، مرجع سابق. ص 180

4- جال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث، الجزائر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد. 1994. ص 60

5- هذا رأي جمال قنان نفسه في دوفال. ينظر أيضا الملحق الثاني ص 156 وفيه حديث هام عن حادثة المروحة.

يراجع: معاهدات الجزائر ... ص 217

أما محمد العربي الزبيري فقد همّش في المرآة لحمدان خوجة، ص 185، في تعريف لدوفال بأنه: " آخر قنصل فرنسي في الجزائر قبيل الاحتلال، كان في نفس الوقت تاجرا، تورط في كثير من القضايا مع محلات بكري وبوشناق، ولقد كانت مواقفه الشخصية من الأسباب التي زادت الوضع تعفنا، عندما وقعت الأزمة الأخيرة بين الجزائر وفرنسا"

وقد استخدم دوفال ابن شقيقه، ألكسندر دوفال، وكان نائبا له في عنابة، لتوتير العلاقات بين فرنسا والجزائر، فقد أقام منشآت تمهيدا لتدعيمها بالعسكريين والمدافع، استفزازا للداي الذي أرسل قواته لتدمير هذه التحصينات، لما وصله خبر إنشائها[1].

أما اليهود، فكان دورهم كبيرا جدا في هذه المسألة، وما تبعها من إفساد لعلاقة الجزائر بفرنسا، فقد استلم ورثة بكري وبوشناق المبلغ الذي قيمته 7 ملايين فرنك، لكنهم انطلاقا من هويتهم اليهودية، لم يعطوا الإيالة نصيبها [2].

ونستدل على رأينا هذا، بما كتبه سعيدوني: " مهدت حكومة شارل العاشر لغزو الجزائر، بإحداث قطيعة في العلاقات الفرنسية الجزائرية، معتمدة على مناورات القنصل الفرنسي بالجزائر، بيار دوفال في معالجة قضية الديون الجزائرية على فرنسا، والتي ظلت معلقة، بسبب مماطلة فرنسا في تسديد ما يتوجب عليها من مبالغ، وتدخل الموردين اليهود (بكري وبوشناق) في هذه الصفقة، ومحاولتهم الحصول على مكاسب ولو بتعميق الخلاف بين داي الجزائر والحكومة الفرنسية، فوقع الداي حسين باشا [3] في الفخ الذي نصب له" [4]

كما أن عمار بوحوش يرى أن بكري تواطأ مع قنصل فرنسا بالجزائر ووزير خارجيتها، وقاموا بمخادعة حكومة الجزائر، بحيث تراخت الشركة اليهودية في سعيها

1- شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، القاهرة: المكتبة الأنجلو- مصرية. ط1. 1977. ص 256

2 - Garrot, Op.Cit. p 51

محمد زروال، مرجع سابق. ص 24.

3- لم يكن الداي حسين غافلا عن مناورات دوفال، فقد كتب إلى وزير الخارجية الفرنسية: " إنني لا استطيع أن أرى هذا الإنسان الكذاب عندي... أطلب من سموكم أن تقدموا احتراماتي إلى صاحب الجلالة الملك، وتطلبوا منه أن يأخذ كل هذا بعين الاعتبار، فيأمر هذا الخسيس بمغادرة الجزائر، ويعين بدلا منه قنصلا آخر مستقيما"

يراجع:

محمد زروال، مرجع سابق. ص 27

4- ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير عبد القادر، ويقصد بالفخ الذي نصب له حادثة المروحة.

الرابط: http://albabtainprize.org/readbook.aspx?bid=9&pNumber=194 بتاريخ 2007/07/06

ينظر:

Perrot, M, Op.cit. p 22

لتحصيل ما تبقى من الديون على فرنسا، وذلك " إمعانا منها في تعقيد القضية، وإحداث مشاكل مع فرنسا، وتعكير صفو العلاقات الجزائرية الفرنسية" [1]

وكان الداي علي[2] قبل ذلك قد جدد مطالبة فرنسا بتسديد الديون، وأعطى الشركة اليهودية حرية أكبر، لتضيق على المصالح الفرنسية في الشرق الجزائري، من باب الضغط على الفرنسيين، ولذلك كُونت لجنة دخلت في مفاوضات مع المعنيين، لحل هذه المشكلة، وانتهت إلى توقيع اتفاقية في باريس على عهد الداي حسين، بتاريخ 28 أكتوبر 1819م [3].

ولم يكن ممثلو مصالح الداي حاضرين ضمن هذه اللجنة، وإنما مثله يعقوب بكري وميشال بوشناق [4]، أما نص الاتفاق فحمله إلى الداي يعقوب بكري ودوفال ليوقع عليه في 23 ديسمبر 1819م [5].

وإذا كانت اللجنة قد حددت في محضرها قيمة الديون بـ 24 مليون فرنك، فإن الاتفاق الأخير حصرها في 7 ملايين فرنك، تدفع في غضون سنة، ابتداء من 01 مارس 1820م [6].

لكن المادة الرابعة من اتفاق 28 أكتوبر 1819م، تضمنت استثناء خطيرا، إذ أشارت إلى دفع المبلغ، في غضون عام، إلا إذا قدم مواطنون فرنسيون اعتراضات تدعمها المحاكم [7]، وبذلك دخلت المسألة نفقا جديدا.

1- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، بيروت: دار الغرب الإسلامي. 2005. ص 77

2- حكم البلاد بين 1817م و 1818م

3 - Card,E, R, de, Traités de la France avec les pays de l'Afrique du Nord; Algérie, Tunisie, Tripolitaine, Maroc, PARIS: A. Pédone Éditeur, 1906. pp 84 - 85

4 - Ayoun, R, Op.cit.

5- فوزي سعد الله، مرجع سابق. ص 254

6- حمدان خوجة، مرجع سابق. ص 178. هامش 2

7- محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية ... ص 281

ورغم أن غرفة النواب في فرنسا قبلت ، بموجب قانون 24 جويلية 1820، الذي أقر اتفاق 28 أكتوبر السابق، أن تدفع مبلغ 07 ملايين [1]، فإن دعاوى ظهرت في فرنسا وليفورن، يزعم أصحابها أن لهم ديونا على شركة بكري وبوشناق، ومنهم اليهودي الجزائري ناتان بكري [2].

وقد حدث أن طلبت إسبانيا من الداي حسين، تعويضات عن حمولات أخذت، وهي تحت حماية رايتها، وفي المقابل كشف الداي عن قائمة حساب كان على إسبانيا أن تدفعها إلى شركة بكري [3]، ثم كاتب الإسبان، واستخلص منهم مليون فرنك، مقابل تسوية هذا المشكل بصفة نهائية، وقد كادت العلاقات بين البلدين تنتهي، بعد أن رحل قنصلها عن مدينة الجزائر.

وبعد استخلاص هذا المبلغ، وزعه الداي على من كانت لهم ديون على بكري، ولكن بحضوره، حتى يضع حدا للشكاوى المتكررة [4]. ورغم ذلك بقيت على بكري ديون، وهو ما استدعى بيع جميع ممتلكاته في المزاد العلني عام 1826م، بثمن قدره 3200 ريال[5].

وليست هذه هي المرة الأولى التي تتم فيها مصادرة ممتلكات يهودية، فإثر انتفاضة 1805م ضدهم، تعرضت ممتلكات بكري وبوشناق إلى المصادرة [6].

---

1 - جاء في تقرير حول مسألة الديون ما يلي: " وقعت المصالحة على دفع سبعة ملايين، وفي ظن الباشا السبعة ملايين اتصالها بيده، وزيادة أيضا على المنوال المذكور وانعقد الشرط، ونهاية الأمر، كان الباشا لم يتصل بيده درهم من عدد السبعة ملايين، وبقي الأمر معطلا"

3190/382 ، المكتبة الوطنية بالحامة. ونلاحظ بساطة التعبير بسبب سيادة اللهجة العامية على كثير من المراسلات والكتابات التاريخية آنذاك.

2- إسماعيل العربي، دور اليهود في الدبلوماسية... ص 66

3- أبو العيد دودو، مرجع سابق. ص 73

4- حمدان خوجة، مرجع سابق. ص 182

5- نجوى طوبال، مرجع سابق. ص 181

6- تحولت هذه المصادرات إلى موضوع يكتب فيه الباحثون، ليدللوا على حالات الاضطهاد التي تعرض إليها اليهود في الجزائر، في العهد العثماني. لكن الواقع يثبت أن عمليات المصادرة، لم يتعرض إليها اليهود فقط، وإنما كانت تمس كل العصاة، حتى الأتراك منهم، بما فيهم الموظفون السامون كالبايات مثلا، ففي 1792م تمت مصادرة أملاك صالح باي، إثر تمرده وقتله، وفي 1800م تمت مصادرة أموال عصمان باي الغرب، إثر عزله.

يراجع:

سعيدوني والمهدي البوعبدلي، مرجع سابق. ص 35

وتطورت مسألة الديون، حتى إذا كان عيد الفطر، جاء القناصل لتهنئة الداي، وكانت مناسبة ليحدث فيها قنصلَ فرنسا عن تماطلها في تسديد الديون، فلما رد دوفال على الداي في غير أدب [1]، أشار إليه الداي بمروحة كانت في يده، واعتبرت فرنسا ذلك مساسا بكرامتها، وضربا لهيبتها، فكان حصارها للجزائر عام 1827م.

وليست لحادثة المروحة أية اعتبارات، حتى وإن وقعت زمنيا قبل بداية الحصار الفرنسي البحري لمدينة الجزائر، ذلك أن الداي، حينما تماطلت فرنسا في تسديد الدين بشكل يثير الغضب، أمر بالتعرض إلى السفن الفرنسية، وهو ما ردت عليه فرنسا، عام 1826م، ببعث سفينتين حربيتين، تهديدا للداي، ورغبة في إجباره على قبول كل المطالب الفرنسية [2].

وقد أدرك الداي حسين خطورة ضلوع اليهود في هذه القضية، كما كان يدرك طبيعة اليهودي ذاته، لكن يبدو أن هذا الإدراك جاء متأخرا، وهو ما نستخلصه مما كتبه بونافون Bonnafont، فقد ذكر أن الداي حسين عند مغادرته للجزائر، نصح قائد الحملة الفرنسية ديبورمون، بالتعامل بحذر شديد مع يهود الجزائر، لأنهم "حقيرون ومرتشون أكثر من يهود إسطنبول" [3]، ثم نصحه باستغلال ذكائهم الحاد في المسائل المالية والتجارية، ليلخص رأيه فيهم في النهاية بقوله: " لا ينبغي أن يغيب اليهود عن نظرك، واجعل السيف دائما معلقا فوق رؤوسهم" [4].

وبعد أن تم نفيه، ظل يلازمه شعوره بخيانة اليهود له ، فقد جاء في رسالة كتبها من نابلي، إلى الملك لويس فيليب، بتاريخ 25 سبتمبر 1830م: " إن جلالتك ستندهش إذا

1- بعث حسين باشا رسالة إلى الباب العالي، من ضمن ما جاء فيها قوله: " إن القنصل المذكور بعناده وعجرفته، أجاب بعبارات وقحة، وتجرأ فتلفظ بكلام يسيء إلى الدين الإسلامي، ويمس شرف السلطان"

يراجع:

محمد زروال، مرجع سابق. ص 60

2 - Virebeau, G, Op.cit. p 12

3 - Bonnafont, Op.cit. p 94

4 - Bonnafont, Op.cit. p 94

عرفت أن لصّين جزائريين قد تواطآ مع قنصل فرنسا، وأولئك الذين يبسطون عليه حمايتهم، ليختلسوا مني، ومن بعض الرعايا الجزائريين، عدة ملايين" [1]

لكننا نتساءل: إذا كان صاحب هذا الفهم العميق لطبيعة الشخصية اليهودية، هو الداي حسين، الذي حكم الجزائر أكثر من 12 عاما، فلماذا لم يتخذ مواقف إيجابية منهم، تمنعهم من تخريب اقتصاد البلاد، ومن التعامل مع الأجانب على حساب الإيالة؟

لقد كان الداي حسين رجلا عاقلا متدينا محبا للأشراف والصالحين [2]، لكنه لم يستطع فهم الأمور على حقيقتها إلا بعد فوات الأوان، والدليل أنه ظل يستمع إلى نصائح اليهود [3] حتى وقعت المواجهة الفرنسية الجزائرية، فبعد حملة الإنجليز على الجزائر، عام 1824م، أعاد إلى المؤسسات الفرنسية بعض مكانتها، وهو ما هدد مصالح اليهود، فنصحوه أن يفتح باب الامتيازات في وجه جميع الأمم، وأقنعوه بأن ذلك سيوفر لخزينة الدولة أموالا طائلة، فأصدر بيانا يسمح فيه للجميع، بصيد المرجان، والتجارة في القل وعنابة، وبذلك استرجعت الشركة اليهودية قوتها في المنطقة، على حساب المصلحة العامة للبلاد.

وحين كان الداي يستمع إلى نصائح اليهود، كانت المؤامرات تحاك ضد الجزائر، وضد الداي نفسه، فقد كتب ميشال هابارت[4] : " إن مبررات إعلان الحرب، الذي قررناه في 1827م، لم تكن سوى سلسلة من الاستفزازات، تم حبكها بباريس من قبل المتطرفين، وبمدينة الجزائر من قبل رجل المال يعقوب بكري، الذي اشترى ذمة قنصلنا دوفال، صنيعة تاليران، بمليونين، مع العلم بأن تاليران ذاته، باع نفسه لبكري بمبلغ أكبر بكثير، وتحول إلى شريك له في مؤامراته، طيلة أكثر من 30 سنة " [5]

1- إسماعيل العربي، دور اليهود في الدبلوماسية الجزائرية... ص 65

2- الزهار، مرجع سابق. ص 141

3- يذكر زروال أن بكري ساهم في إفساد علاقة الداي بدوفال، بوشاية مفادها طلب دوفال لرشوة من بكري مقدارها مليونا فرنك، ليسوي له قضية ديونه نهائيا.

يراجع:

محمد زروال، مرجع سابق. ص 26

4- هو صاحب كتاب الخدعة الكبرى (Le grand parjure) الذي منع من النشر عام 1960م بفرنسا.

5- فوزي سعد الله، مرجع سابق. ص 255

ونظرا لأن اليهود، بعد ذلك، اعتبروا الاستعمار الفرنسي تخليصا لهم من الحكم العثماني، فإنهم ثمنوا جهود بكري وشركائه، ولذلك كتب الحاخام إيزنبيث: " لقد تم تخليد اسم عائلة بكري، لأن خلافاتهم مع فرنسا هي سبب احتلال الجزائر عام 1830م" [1]

أما اليهودي فيربو، فيعتز صراحة بما قام به اليهود في هذه المرحلة؛ " لقد ذهب الملك المسيحي [2] منفيا، ليلتحق بالداي المسلم المهزوم [3]، ولم يعلم الملكان أبدا، أن سقوطهما كان بتخطيط من اليهود" [4]

3 – 4 – 2 – 4 - موقف اليهود من الاستعمار:

عاش اليهود في المجتمع الجزائري زمنا طويلا، حيث تقاسموا كل شيء مع الأهالي، سواء ما كان ماديا أو معنويا، فقد عاشوا على خيرات الجزائر، يسكنون أرضها ويجوبون مناطقها الشاسعة يزاولون التجارة، كما سكنوا مدنها، واستقروا في بعض أحيائها، يمارسون كل أنواع الصناعات الحرفية التي جعلتهم أصحاب ثروة.

وفي أواخر العهد العثماني، صار نفوذهم المالي والسياسي أكبر بكثير، حتى أن عمليات الاحتكار التي كان يقوم بها الدايات وموظفو الجهاز الإداري، كانت لصالحهم في النهاية.

كما أن نشاطاتهم السياسية تعاظمت مع مرور السنين، فصار بعضهم يصول ويجول كما يشاء في قصر الداي، وكثرت دسائسهم ومؤامراتهم، وكانوا سببا في قضية الديون، السبب المباشر في فساد العلاقة بين الجزائر وفرنسا.

ورغم عضوية اليهود في المجتمع الجزائري، فإنهم لم يكونوا أبدا حريصين على إبعاد الخطر عن البلاد، ذلك أنهم تواطأوا مع الشخصيات الفرنسية التي عزمت على إدخال الجزائر في مشكل انتهى بالحصار، ثم بالاحتلال.

---

1 - Eisenbeth, M, les juifs en Algérie … p 382

2- يقصد شارل العاشر، بعد أن قامت ضده ثورة جويلية 1830

3- يقصد الداي حسين

4 - Virebeau, G, Op.cit. p 13

وإذا ذكرنا تاليران ودوفال من ضمن الشخصيات المتآمرة على الجزائر، فإنه لا ينبغي أن نغفل دور بكري [1] وإخوانه الذين كان فرحهم بالاستعمار الفرنسي من باب الانتقام من الأتراك، أو من المجتمع الجزائري على العموم.

فبعض يهود الجزائر الذين فروا إلى مرسيليا، في أعقاب أحداث 1805م، عادوا مع الجيش الفرنسي، في 1830م كمترجمين، ونزل بقية اليهود إلى شوارع مدينة الجزائر، يقبلون الجنود الفرنسيين ويرحبون بهم، ووضع بعض كبارهم مثل بكري وابن دوران أنفسهم تحت تصرف ديبورمون.

فابن دوران كان يشغل منصب المترجم الرسمي للداي حسين، لكن بعد دخول الفرنسيين، تقرب إلى قائدهم حيث استأثر بثقته، وصار قصره مفتوحا أمامه في أية ساعة، حتى نشأت بينهما صداقة حميمية [2].

وبعد أن تأكد اليهود أن المعركة صارت لصالح الفرنسيين، بدأوا عملية الانتقام من الأتراك بالقتل والنهب، كما ضغطوا على الأهالي فأجبروهم على بيع كثير من ممتلكاتهم، بأبخس الأثمان خوفا من الوشاية بهم لدى الفرنسيين [3].

ولقد أبدى اليهود منذ بداية الاستعمار تعاطفا قويا مع الجيوش الفرنسية، واستعدادا للقيام بالوساطة بين الفرنسيين والأهالي، وكان هدف اليهود هو إثبات حضورهم على الساحة السياسية، إلى جانب الفرنسيين للحفاظ على مصالحهم، دون مراعاة للمجتمع الجزائري ومأساته. وقد كتب فيربو: " إن المنتصرين الحقيقيين لم يكونوا الفرنسيين، وإنما إخواننا يهود الجزائر الذين أعطاهم الجنرال ديبورمون وخلفاؤه، ما لم يعطوا أبدا للمسلمين" [4].

1- يرى بيرو Perrot أن اليهود تآمروا لاقتسام السبعة ملايين التي حصلوا عليها من الإدارة الفرنسية، وكان تآمرهم هذا بالاتفاق مع دوفال وشخصيات أخرى.

يراجع:

M, Perrot, La conquête d'Alger, Paris: Langlois Fils Editeurs, 1830. p18

2- Bonnafont, Op.Cit. p 190

3- فوزي سعد الله، مرجع سابق. ص 275

4 - Virebeau, G, Op.Cit. p 13

واستطاع اليهود التسلل تدريجيا، حتى صار لهم شأن لدى الفرنسيين، فقد عمدت الإدارة الفرنسية إلى ربط اليهود بالوجود الاستعماري، من خلال استخدامهم في إخضاع السكان، والتحكم في اقتصاديات البلاد.

ومن باب إظهار الموقف المعادي للجزائر، المساند لفرنسا، عمل اليهود على إحباط عمليات المقاومة، وحين قرر باي وهران الدخول في مفاوضات مع الفرنسيين، استخدم ماردوخي عمار، وفي المقابل بعث ديبورمون قائد الحملة الفرنسية، يهوديين للتفاوض مع الباي، ورغم أن هذا كله فشل، فإن سكان وهران اعتبروا اليهود سببا في نكبتهم هذه [1].

ولم يتوقف اليهود عند هذا الحد، بل استمروا في دعمهم للفرنسيين، حتى إذا تم احتلال وهران في بداية 1831م، صار ماردوخي عمار رئيسا للطائفة اليهودية بها، وتم تشكيل جيش يهودي كبير، تحت قيادة أنجيل عمار Ange Amar [2] .

ولم يتورع اليهود عن النهب والسلب، انتقاما من المجتمع الجزائري، مستخدمين التهديد والوعيد للضغط على الناس، فقد " حمل اليهودي بكري وكيل الحرج على أن يبيع له أثاثه الثمين وأنواعا مختلفة من أمتعة الزينة، تقدر قيمتها بحوالي 50 ألف فرنك، بمبلغ 4 آلاف فرنك، ولم يدفع له ذلك نقدا، وإنما وقع له سندا لأجل معلوم، ثم نفي وكيل الحرج هذا، وبقيت القيمة عند بكري" [3]

والقصص الدالة على تدني مستوى اليهود كثيرة ومتعددة، وكلها ذات دلالات واضحة على أن مصالحهم هي التي كانت تحركهم، وأن الوفاء حتى للأوربيين، لم يكن من شيمهم، فقد كان في مسكن باي قسنطينة بمدينة الجزائر، حياك وبرانس وأوان فضية وغيرها، تقدر قيمتها بأكثر من مليون فرنك، لكن الضابط السامي الفرنسي الذي كان يسكن المنزل، لم يكن يعرف قيمتها، فاحتال عليه ابن دوران، واشتراها منه بـ 2200 فرنك، وهو ثمن زهيد للغاية [4].

---

1 - Aissa Chennouf, Op.Cit. p 104

2 - Aissa Chennouf, Op.Cit, p 104

3- حمدان خوجة، مرجع سابق. ص 216

4- حمدان خوجة، مرجع سابق. ص 216

أما كنوز الداي التي كانت في القصبة، فلم تسلم من اليهود، إذ هم الذين دلوا سلطات الاحتلال عن المكان الذي خبئت فيه [1].

وأما كنوزه التي حفظتها له معاهدة الاستسلام، وأعطته حق نقلها، فقد نقل القليل منها إلى إيطاليا، حيث الداي نفسه، وكان بكري وابن دوران، هما اللذان تكفلا بذلك، لكن بكري اختلس منها مليون فرنك على الأقل، بينما بلغت قيمة الأموال المسروقة من ممتلكات الداي " عشرات الملايين من الجواهر والذهب" [2]

لقد مهد اليهود الطريق أمام الفرنسيين ليحتلوا الجزائر، ثم صاروا واسطة بينهم وبين الأهالي، نظرا لمعرفتهم باللغتين العربية والفرنسية، واستغلوا هذه المناصب لينتقموا من الأتراك ومن الأهالي، إذ لم يكن صعبا عليهم تحريض الجنود ضد كل من يرفض أوامرهم، أو يمتنع عن النزول لهم عما يطلبون.

ولهذا اتصل بكري بالأتراك في اليوم الأول للاحتلال، ووعدهم بالحماية، شريطة أن يدفعوا مقابل ذلك ما يطلبه منهم [3]، ولم يكن في نيته سوى ابتزازهم والضغط عليهم انتقاما منهم، بعد أن وجد الفرصة السانحة، وهو الذي لم ينس بعد ما فعل بإخوانه اليهود في عام 1805م، لكنه تناسى أن تلك الأحداث، إنما كان السبب فيها اليهود أنفسهم.

وهكذا، فإن يهود الجزائر رأوا في الاستعمار الفرنسي تخليصا لهم من الحكم الإسلامي، فأمعنوا في مجاراة السياسة الاستعمارية، حتى يحققوا اندماجا في أوساط الأوربيين في الجزائر، تحت المظلة الفرنسية.

خلاصة:

لقد توفرت عوامل عديدة جعلت النفوذ اليهودي كبيرا على مستوى الدبلوماسية الجزائرية، ولعل أبرز هذه العوامل على الإطلاق هو الفراغ الذي أحدثه نظام الدايات، خاصة في مراحله الأخيرة، وذلك بتهميشه للطاقات المحلية.

فقد تم شغل الأتراك بجمع الأموال والصراع على المناصب العليا، ولم يتم ربطهم بالجزائر كوطن يعملون من أجل تعميره، أما الكراغلة فكان خوف الأتراك منهم حاجزا

1- محمد دادة، مرجع سابق. ص 209

2- فوزي سعد الله، مرجع سابق. ص 280

3- محمد دادة، مرجع سابق. ص 210

قويا منع من حسن استغلال طاقاتهم، وأما الأهالي، فقد تحولوا في هذه المراحل الأخيرة إلى مصدر يوفر الأموال الضرورية، من خلال الضرائب المفروضة عليهم.

وفي هذه الظروف الصعبة، صار اليهود يصولون ويجولون في البلاد، يحركون دواليب الحكم فيها، ويحتكرون منتوجاتها كالحبوب مثلا، ويستغلون خيراتها كالأخشاب، وهذا كله في الوقت الذي كانت فيه الجزائر في أمس الحاجة إلى هذه المواد، فالمجاعات كانت تضرب البلاد، والبحر المتوسط تراجعت مكانته الدولية، والأسطول كان بحاجة إلى غابات الكراستة [1]، لتجديد قطعه، تماشيا مع التطورات التي كان يعرفها العالم آنذاك.

ومن باب الضغط على الجزائر، تم استخدام اليهود من قبل الأوربيين، أحيانا لعقد الاتفاقيات، وأحيانا لتزويد جيوشهم، وأحيانا أخرى لاستعمار الجزائر ذاتها، والذي كان ضلوع اليهود فيه بارزا للغاية، وهذا ما أكده أحد الكتاب اليهود عند تعرضه لموقفهم هذا بقوله [2] : " إن ميول اليهود كانت إلى جانب الجيوش الغازية، وهذا ما جعلهم يدفعون الثمن من دمائهم في السنوات الأولى للاحتلال"

1- احتكر بكري وبوشناق التجارة في الأخشاب، فصارت البحرية الجزائرية تدفع لهما أموالا طائلة للحصول على ما تحتاج إليه من خشب، بينما لا يشتري اليهوديان هذه المادة من الحطابين إلا بأثمان زهيدة جدا، رغبة في الربح، وهو ما أدى في النهاية إلى عزوف الأهالي عن ممارسة هذا النشاط، فقلت الأخشاب وتضررت البحرية الجزائرية تبعا لذلك، باعتبار أن المادة الخام لصناعة السفن، قد صار الحصول عليها صعبا للغاية، رغم غنى الجزائر بالغابات المختلفة.

2- سعيدوني والمهدي البوعبدلي، مرجع سابق. ص 104، وهو لا يذكر اسم الكاتب اليهودي ولا عنوان كتابه.

الفصل الرابع

آثار التدخل اليهودي في الدبلوماسية الجزائرية

مقدمة:

لم يكن تدخل اليهود في الشؤون الدبلوماسية الجزائرية أمرا هينا بالنظر إلى النتائج التي ترتبت عليه، سواء على المستوى الرسمي أو على المستوى الشعبي، وجدير بالذكر أن هذه النتائج تراكمت تأثيراتها خصوصا منذ نهاية القرن 18م، وهي الفترة التي عرفت تحولات جذرية على مستوى البحر المتوسط، وكثر خلالها تنافس الأوربيين للوصول إلى تحقيق مصالح اقتصادية في الجزائر، وهو ما جعل التدخل اليهودي ذا أبعاد سياسية كبرى ونتائج خطيرة. وهو ما سنعالجه فيما يلي:

1- تهميش الطاقات المحلية

إن الشائع حول تجارة الجزائر الخارجية، في نهاية العهد العثماني، هو سيطرة اليهود عليها بشكل تام، لكن الواقع يثبت أن الجزائريين ساهموا في هذه التجارة، بالقدر الذي أتاحته الظروف المحلية والدولية.

فقد أثر الصراع الذي طبع العلاقات الجزائرية الأوربية، على مساهمة الجزائريين في التجارة الخارجية، ولذلك ركزوا نشاطاتهم على البلدان المجاورة، حيث تعاملوا مع أسواق غدامس وتونس، فصدروا إليها المنتجات والمصنوعات المحلية، واستوردوا منها بعض المنتوجات التونسية، مثل الشواشي والأحزمة، وكثيرا من المنتوجات الأوربية القادمة من مالطة، إيطاليا وفرنسا، وحتى هذه كان لليهود نصيب منها [1].

وكانت مواقف الأوربيين من التجار الجزائريين، متصلبة للغاية، فتجار مرسيليا كانوا يعاملونهم بتعسف، حتى فضل كثير من الجزائريين في نهاية الأمر، التخلي عن مشاريعهم التجارية، خاصة بعد أن صارت سفنهم تتعرض لعمليات تفتيش واسعة، بحجة البحث عن المسيحيين المرتدين، ومن هنا أصبح التنقل عبر سفن حربية أمرا ضروريا للغاية [2].

وبعد أن منعت الدول الأوربية الجزائريين من الاقتراب من سواحلها، وجد الجزائريون أنفسهم، تدريجيا، مجبرين على الاستعانة باليهود الذين امتلكوا القدرة على التنكر، بالتنقل عبر سفن أجنبية يستأجرونها، واستخدام جوازات سفر مزورة.

1- محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية ... ص 188

2- أرزقي شويتام، مرجع سابق. ص 259

لكن الثابت في ظل هذه الظروف السياسية المتقلبة، التي عاشها البحر المتوسط، هو أن اليهود أيضا تعرضوا لكثير من المضايقات، وكان الدايات كثيرا ما يتدخلون لمساعدتهم. وهنا نتساءل: لماذا لم يتفان الدايات في الدفاع عن مصالح التجار الجزائريين، مثلما تفانوا في حفظ مصالح اليهود؟

إن اهتمام الدايات باليهود، شجعهم على مواصلة نشاطاتهم التجارية، إذ وفر لهم الحماية الضرورية، سواء على المستوى الدبلوماسي أو على المستوى العسكري، وهو ما أدى تدريجيا إلى اختلال التوازن بين اليهود والجزائريين، رغم وجود محاولات جادة قام بها هؤلاء، مرتكزين على معاهدات مع الدول الأوربية، كمعاهدة 23 ديسمبر 1719م التجارية، بين الجزائر وفرنسا، التي أكدت على حقوق الجزائريين والفرنسيين في مزاولة التجارة في البلدين على حد سواء.

ولذلك نجد عائلات جزائرية تعاطت مهنة التجارة، كعائلة حمدان خوجة، الذي كان كبار الموظفين في الإيالة، يستعينون به لاستثمار أموالهم في الأسواق الأوربية، ومنهم الحاج يوسف وكيل الخرج، مصطفى خوجة العيون، أحمد خوجة الخيل، وحفيظ خوجة الرحبة [1].

وفي الجدول التالي، ذكر لبعض العائلات الجزائرية [2]، وأهم أفرادها الذين مارسوا التجارة بشكل فعال.

1- رحمونة بليل، مرجع سابق. ص 191

2- رحمونة بليل، مرجع سابق. ص ص 194 - 195

العائلة	أهم أعضائها
بوضربة	الحاج مصطفى بوضربة الأب، أحمد بوضربة الابن، إسماعيل بوضربة الابن
البحار	علي بن سعيد البحار، محمد علي البحار، عبد الرحمن بن البحار، حمدان بن البحار، عمر خال علي بن سعيد البحار
ابن المرابط	قاسم بن المرابط، محمد بن المرابط، حسان بن المرابط، محمد بن عمر بن المرابط
الصائغي	سيد أحمد الصائغي، عبد الرحمن الصائغي، إبراهيم ابن الصائغي

جدول بأهم العائلات التجارية الجزائرية

وقد أورد دوغرامون [1] رسالة كتبها السيد جوانفيل Joinville من الجزائر، إلى الغرفة التجارية بمرسيليا، بتاريخ 04 سبتمبر 1741م، يتحدث فيها عن حادثة غرق السفينة التي كان يقودها الربان بوايي Boyer على سواحل مدينة مارتيق Martigues بالجنوب الشرقي لفرنسا، وكان على متنها تجار جزائريون، من بينهم محمد الذي لقي حتفه، بينما سلمت البضائع التي كانت على متنها.

لم تكن الكفاءة إذا، هي التي تنقص التجار الجزائريين، فحين تضررت تجارة بعض اليهود حل محلهم الأهالي، وهو ما عبر عنه شالر بقوله: " وفي نفس الوقت يحل محل التجار اليهود، كل يوم عرب ممن يتمتعون بالذكاء والبراعة، في التجارة؛ في مختلف فروع الأعمال في البلد" [2]

لكن الذي كان ينقص التجار الجزائريين، هو مساندة نظام الحكم لهم، أو على الأقل رفع يده عن النشاطات التجارية الخارجية، والتخلي عن الاحتكار، وفسح المجال للمبادرات الفردية، التي كان من شأنها أن تبرز الطاقات الهائلة التي عبر عنها شالر.

1 -H, D, de Grammont, Correspondance des consuls (1690- 1742), Paris: Librairie Ernest Leroux, 1890. pp 272 - 273 .

2- شالر، مرجع سابق. ص 93

وقد عرفت التجارة الداخلية نوعا من الاستقلالية، باعتبار أن السلطة كانت تهتم بجمع الرسوم والغرامات ومراقبة الأسواق، ولم تكن تركز على احتكار المنتوجات التي تسوق محليا [1].

ورغم هذه الاستقلالية، تضررت الأنشطة المختلفة كالزراعة والرعي، لأن منتجاتها خضعت لسياسة الاحتكار، التي أدت إلى هبوط أسعار المواد الأولية المعدة للتصدير، فالبايلك كان يشتري الشمع من منتجيه، بـ 60 باتاك شيك، ويبيعه بـ 163 باتاك شيك، وكانت تجارة الجلد، بيد وكيل الخرج، حيث يدفع للخزينة 10000 بياستر كل شهر، في مقابل احتكاره لهذه المادة، التي يشتريها بـ 6، 7، 8 موزونات حسب الحجم، ويبيعها بـ 30 موزونة ، كبيرها وصغيرها، أما القمح فكان يشتريه باي قسنطينة، من عنابة بسعر يتراوح بين 8 و 12 بياستر، ليبيعه بسعر يتراوح بين 26 و 30 بياستر [2].

لقد عمد حكام الجزائر والشخصيات السياسية ذات المناصب العليا، إلى ممارسة التجارة، وكثيرا ما احتكروا مواد متنوعة، وكانت تجارتهم هذه تتم عن طريق الوكلاء، فلماذا كانوا يختارون اليهود كوكلاء؟ ألم يكن في الجزائر تجار أتراك أو أندلسيون أو حتى من الأهالي، تتوفر فيهم شروط الوكالة؟ هل كانت قدرة اليهود الفائقة، على دخول معترك المنافسة التجارية مع الأوربيين، هي وحدها المعيار الذي جعل هؤلاء المسؤولين يلجأون إلى اليهود لتكليفهم بهذه المهام؟

حتما إن ضغط اليهود السياسي والاقتصادي، كان وراء إبعاد الجزائريين وإقصائهم، حتى لا يشكلوا قوة منافسة لهم، ويزاحموهم بها، ولهذا استخدم اليهود الدايات، خاصة حسن ومصطفى، حتى تحولوا إلى رعاة للمصالح اليهودية، إن على المستوى الداخلي، أو حتى على المستوى الخارجي، من خلال الرسائل العديدة التي كانوا يبعثون بها إلى المسؤولين في أوربا، لاسيما في فرنسا، والتي كانت مواضيع كثير منها، تتمحور حول التوصية خيرا باليهود والمصالح اليهودية.

ولذلك، وحين نجد اسم الداي مصطفى من بين أسماء التجار الجزائريين ، الذين لهم نشاط تجاري مع مرسيليا وليفورن، يصبح التساؤل التالي مشروعا: لماذا يركز الداي

1- أرزقي شويتام، مرجع سابق. ص 281

2 - Ventures de Paradis, Op.cit. p p 124 - 126

على هذين المحورين، اللذين هما، في ذات الوقت، محورًا النشاط اليهودي الأساس في البحر المتوسط؟ هل كان هذا من باب الاهتمام بأسواق هاتين المدينتين، باعتبارهما قطبين اقتصاديين في حوض المتوسط الغربي، أم أن هذا يتحول إلى دلالة قطعية، على تلاقي مصلحة الداي مع مصالح حلفائه اليهود؟

لقد أصبحت التجارة في عهد هذا الداي وسابقه الداي حسن، في أيدي اليهود، وفي خدمة مصالحهم بالدرجة الأولى [1]، والسبب هو أنهم عرفوا كيف يستفيدون من الظروف الدولية، ليحولوها إلى أداة يستغلونها لتحقيق مكاسبهم، مركزين على تقديم معلومات إلى الدايات، حول التحركات الأجنبية، وتقديم الرشوة إلى الموظفين، ومساعدة بعضهم على الوصول إلى مناصب عليا، وغيرها من الأساليب التي تعود اليهود على استعمالها.

وليس الحديث عن احتكارات الدايات وموظفيهم، وعن اهتمامهم باليهود ونشاطاتهم، من باب إلقاء اللوم عليهم، لتبرير الضعف الذي انتاب المجتمع كله في هذه الفترة، بقدر ما هو من باب تحديد المسؤوليات، فقد تم تقييد الجزائر، بمعاهدة بينها وبين فرنسا، نصت على تجميد أسعار المنتوجات الزراعية لمدة طويلة (1628م – 1790م) [2]، حتى لم تعد خاضعة لقانون العرض والطلب، وإنما حدد لها سعر إجباري، يؤخذ بعين الاعتبار عند تسويقها، في حين أن أسعار المواد ذاتها، كانت في أوربا تتجه نحو الارتفاع، وقد أضر تحديد الأسعار هذا، بمصالح الناس في الإيالة، لكنه وفر أرباحا هائلة للتجار، خاصة اليهود الذين كانوا يشترون المنتجات من الجزائر، بأسعار منخفضة، ويبيعونها في أوربا بأسعار باهظة، مستفيدين من ارتفاعها بموجب قانون العرض والطلب، الذي صارت تتحكم فيه الظروف الدولية إلى حد كبير.

وحين نتتبع بعض فصول التقرير، الذي كتبه فريزر Fraser بتاريخ 19 فبراير 1768م [3]، ندرك حالة التهميش التي كان يعاني منها الجزائريون، في ميدان التجارة الخارجية، بمحوريها: التصدير والاستيراد.

1- محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية... ص 266

2- جمال قنان، معاهدات الجزائر... ص 101، ص 135

3- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، بيروت: دار الغرب الإسلامي. 1976. ج 2. ص 314

فبخصوص صادرات الجزائر إلى فرنسا، يشير التقرير إلى أن التجار الذين تكفلوا بذلك، كانوا من الفرنسيين [1]، وأنهم يمتلكون مستوطنات في القالة والقل وحصن الباستيون، وأنهم يحققون أرباحا طائلة من نشاطاتهم هذه.

وفيما يتعلق بالواردات الجزائرية من مرسيليا، يشير التقرير إلى أن التجار الموردين لهذه البائع، هم فرنسيون أيضا، يقومون باستيراد 43 مادة مختلفة.

أما اليهود فلم يكن حظهم بأقل من حظ الفرنسيين، لكن مجال نشاطهم كان يتركز، حسب ذات التقرير، في مدينة ليفورن.

فرغم أن المواد المصدرة نحو ليفورن، هي ذاتها المصدرة نحو مرسيليا، فإن الفرق هنا يكمن في حضور العناصر اليهودية، التي سيطرت على هذا النشاط، وعلى النشاط المقابل أيضا، وهو الواردات، التي شملت 45 اسما لمواد مختلفة، والتي يدفع عنها أصحابها رسما جمركيا، مقداره 10% من مجموع قيمتها.

وبسبب سياسة التهميش، وما نتج عنها من ظروف، تحول التجار الجزائريون إلى متعاملين تجاريين صغار، يقحمهم اليهود في بعض أعمالهم التجارية، مقابل أرباح زهيدة[2] وهو ما أدى في النهاية إلى جمود الطبقة التجارية الجزائرية، التي لم تعد تجرؤ على ربط علاقات قوية، مع مثيلاتها في البلدان الأوربية، بل إن التضييق الذي مارسه النظام على القبائل، خاصة الممتنعة، حرمها حتى من حرية التنقل، فصارت قبائل جرجرة مثلا، ترسل مفاوضين إلى مدينة الجزائر، قصد الحصول على رخصة التنقل إلى الأسواق، بعد دفعهم غرامة مالية قدرها 600 ريال بوجو [3].

وإن كنا لا ننكر قيام محاولات من قبل بعض رجالات النظام، لتخطي هذه العقبات، أمثال صالح باي قسنطينة (1771م – 1791م) الذي تبنى مشروعا يهدف إلى الوصول إلى صيغة تقصي الشركة الفرنسية والشركة اليهودية، من السيطرة التي فرضت على

1- ليس احتكار الفرنسيين للتصدير أمرا محسوما إلى هذه الدرجة، فالثابت أن اليهود أثبتوا وجودهم في المدن الفرنسية خاصة مرسيليا، وهو ما أدى بالمسؤولين عن الشركات الفرنسية في الجزائر، إلى تقديم شكاوى متكررة إلى مسؤوليهم في فرنسا، ليتخذوا إجراءات ضد اليهود.

2- محمد دادة، مرجع سابق. ص 193

3- أرزقي شويتام، مرجع سابق. ص 243

التجارة الخارجية، وتقلل من ظاهرة التهميش التي تعرضت لها الطاقات المحلية، حيث عمل على تجاوز وساطتهما، من خلال التعامل المباشر مع الموانئ الأوربية، مكلفا صهره الحاج عمر بذلك، فإن هذا يبقى استثناء ولا يشكل قاعدة.

وكان في تلك الإجراءات حتما، تهديد لمصالح الشركتين، ولذلك كتب مايفرن Meifrun، ممثل الشركة الإفريقية بالجزائر، إلى الغرفة التجارية بمرسيليا، يوم 21 أكتوبر 1781م، يقول: " سيكون الأمر خطيرا، ليس فقط على الشركة، بل حتى على مصالح الفرنسيين في الجزائر، إذا دخل مشروع الحاج عمر حيز التنفيذ، فهو يريد تسويق حمولاته من القمح بنفسه، لحساب باي قسنطينة، حاولوا منعه! وامنعوا [1] الداي [2] من منحه الرخصة!" [3]

ولم يقتصر رد الفعل على الفرنسيين، فقد كاد اليهود لصالح باي [4] كيدا عظيما، لأنه انتهج سياسة مراقبة الصادرات والتحكم في الواردات، وعدم السماح بالصفقات التي كان يعقدها بعض الموظفين مع اليهود.

وللدلالة على ما نقول، نذكر ما رواه الزهار: " وفي فصل الصيف، قدم صالح باي قسنطينة، ودخل الجزائر، وقابل الباشا [5]، وهنأه بالنصر، وفي يوم من الأيام، اختلى الباشا بالباي، وسأله عن أمر وسق[6] الزرع والبقر لأرض النصارى من مرسى عنابة، وكان

1- يدل هذا التعبير الفظ على تطاول الفرنسيين، الذي كان كثيرا ما يظهر، سواء في الرسائل التي يتبادلونها فيما بينهم، أو في تلك التي كانوا يوجهونها أحيانا إلى حكام الجزائر، أو حتى إلى السلاطين العثمانيين، ومنها التقرير الذي وجدنا ترجمة له بمركز الأرشيف الوطني، والذي وجهه تاليران إلى الدولة العثمانية، عام 1802م،عن تجاوزات بعض رعايا إيالة الجزائر، حسب زعمه، ضد مجموعة من الفرنسيين.

انظر الملاحق.

2- يقصد محمد بن عثمان الذي حكم البلاد بين 1766م و 1791م

3- رحمونة بليل، مرجع سابق. ص 190

4- يشاع الكثير عن قسوة صالح باي، لكن الزهار يرى " أنه كان يرفق بالرعية، ويحسن للفقراء، محبا للعلماء والصالحين"، وحتى إن صحت الإشاعة، فهي لا تمنع من تثمين جهوده الإصلاحية، خاصة في الميدان الاقتصادي.

يراجع:

الزهار، مرجع سابق. ص 65

5- يقصد الداي محمد ين عثمان.

6- بمعنى إرسال الزرع والبقر

الباشا قد أوصى البايات من قبل، ألا يبيعوا. فأجابه الباي أن الوسق قد وقع بالفعل، فقال له الباشا: ألم يصلك كتابي؟ قال: بلى وصلني، لكن بعد ذلك وصل لي كتاب من الخزناجي يأمرني فيه بأن نترك الوسق حرا لمن بيده كتاب منه، فكل من يأتيني بكتاب منه نسمح له بوسق العدد المذكور في الكتاب، وهذه هي كتب الخزناجي. فغضب الأمير على الخزناجي... وأمر الباي بألا يسمح لأحد من ذلك اليوم بالوسق، إلا بأمر منه، وأمره أن يكتم هذا الأمر" [1]

كان الخزناجي، إذا متواطئا مع اليهود [2]، حيث أنشأ بكري شركة تقوم بالوساطة بين مصالح البايلك والشركة الفرنسية، لتسهيل تصدير الحبوب والصوف إلى فرنسا، وكانت مراسلات الخزناجي، تعبد الطريق لليهود، خلافا لما كان يأمر به الداي، بينما كان تدخل صالح باي في الأمر، قد شكل حاجزا قويا أمام اليهود، ولهذا لا يستبعد أن يكون لليهود يد في التخطيط لقتله بنية التخلص من مضايقاته.

ومن هذا المنطلق، ركز نافتالي بوشناق على مصطفى باي التيطري، وقدم له مساعدة كبيرة، حين صار في أمس الحاجة إليها، وهو في خلاف مع الداي حسن، وكان ذلك كله من باب تهيئته لمنصب باي الشرق، الذي سيتولاه عام 1795م، خلفا للباي حسن بوحنك.

وجدير بنا هنا أن نذكر أن النفوذ اليهودي الذي صار يتزايد بشكل مثير جدا للاستياء والتذمر، إضافة إلى تهميش الأتراك للجزائريين، اقتصاديا وسياسيا، خاصة الحضر منهم، جعل بعضهم يخطئون في حق الجزائر كلها، إذ صاروا على استعداد للتعاون حتى مع فرنسا بعد احتلالها للإيالة، وقد وجد فيهم الفرنسيون ضالتهم، كمحاولة لتهدئة الأوضاع ربحا للوقت، فبعد تنحية الأتراك من مناصب الحكم، عهد بها إلى الحضر، حيث تولى حمدان ابن أمين السكة مثلا، مركز آغا العرب، ونصب مصطفى بن الحاج عمر بايا على التيطري، وصار أحمد بوضربة رئيسا لأول مجلس بلدي لمدينة الجزائر [3].

1- الزهار، مرجع سابق. ص 49

2- ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث... ص 75

3- أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، بداية الاحتلال، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. ط 3. 1982. ص 66

صحيح أن هؤلاء الجزائريين انخدعوا بالجيوش الفرنسية وبشعاراتها البراقة، وكان بعضهم يؤمن بحقوق الإنسان [1] حسب المفهوم الفرنسي، لكن فساد نظام حكم الدايات الذي قرب اليهود، جعلهم يرون في الفرنسيين بديلا عنه [2]، غير أنهم سرعان ما وجدوا أنفسهم أمام اليهود من جديد، فبعد أن عين لويس فيليب ملكا على فرنسا يوم 09 أوت 1830م، لم يُحط نفسه إلا باليهود الذين لا يستحيون ولا يترددون أمام أي شيء [3]، ولذلك كتب حمدان خوجة: " إن لنفوذهم ودهائهم الماكر، دورا كبيرا في تسيير بلدي المسكين: اغتصاب الأملاك وسفك الدماء، والنهب والجرائم... تلكم هي الأعمال التي تتم في الجزائر، يا له من دستور، ويا لها من قوانين لا إنسانية تتعارض مع نظم المساواة والسلام، يا له من ميثاق هذا الذي يسير شؤوننا" [4]

2- سيادة عدم الاستقرار في البلاد

أصبحت الجزائر تعيش، منذ نهاية القرن 18م، أزمة متعددة الجوانب، سواء فيما يخص علاقة السكان بالسلطة، أو فيما يتعلق بجوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية.

وكانت الظروف الدولية قد ساهمت إلى حد بعيد، في تدهور الأحوال الاقتصادية، إذ تراجعت مداخيل الجهاد البحري، واشتدت المنافسة في البحر المتوسط، وازداد الضغط على التجار الجزائريين.

أما على المستوى الداخلي فقد توالت المجاعات، وكثر غزو الجراد، واشتد الأمر على الناس، وبذلك قلت القدرة الشرائية، وتضرر سكان المدن، حيث تراجع نشاطهم، حتى تحول كثير منهم إلى اللصوصية، بعد أن كانوا يساهمون في تصدير مواد متعددة توفرها مدنهم.

1- هذا تعليق محمد العربي الزبيري وهو يتحدث عن حمدان خوجة.

انظر: حمدان خوجة، مرجع سابق. ص 258. الهامش 7

2- ليس حديثنا هذا من باب تبرير ما قام به هؤلاء الجزائريون، من دعم للوجود الاستعماري ، فقد أخطأوا مهما كانت مبرراتهم، لكن ذلك لا ينفي مسؤولية الأتراك في إطار ظاهرة التهميش التي نعالجها.

3- حمدان خوجة، مرجع سابق. ص 241

4- حمدان خوجة، مرجع سابق. ص 242

ولم يستطع الصناع، تخطي الصعوبات التي تعرضوا لها بفعل الضرائب المرتفعة، ومنافسة المنتوجات الأجنبية، خاصة بعد أن صار البايلك يحدد مسبقا سعر بعض المصنوعات، التي يطالب الصناع بتوفيرها، بينما لا يدفع إليهم إلا الأجر الزهيد.

وبعد أن كانت تلمسان مثلا في أوائل العهد العثماني، تشتمل على أكثر من 500 مهنة، من الصناعات المختلفة، تحولت في بداية القرن 19م، إلى مخزن لبضائع تجار فاس، وسوق للأحذية والسروج، وقطع الحرير الواردة من جبل طارق، وعانى تجار قسنطينة أيضا من المنافسة الأجنبية، كتلك التي فرضتها الشاشية التونسية، حتى انحصر استخدام الشاشية المحلية على الفقراء من الناس [1].

وأما أهل البوادي والأرياف، فقد عانوا من احتكار الدولة للمنتوجات الرئيسية التي صارت تشترى منهم بأسعار منخفضة، بينما يحقق التجار الأجانب منها الأرباح الطائلة.

وإذا كان كثير من الناس قد تحملوا هذه الأحوال على صعوبتها، فإن ارتقاء اليهود في السلم الاجتماعي، وتقربهم من الدايات والموظفين الكبار، أديا إلى تذمر واستياء لدى أفراد المجتمع، وهو ما سيتحول تدريجيا، إلى حقد شديد، ما لبث أن انفجر في شكل ثورات، سواء ضد اليهود، أو ضد حماتهم من رجالات الدولة، وعلى رأسهم الدايات.

1-2- الثورة ضد نظام الحكم:

لسنا في هذا المقام، بصدد تفصيل الحديث عن الثورات، بقدر ما نحن بصدد فهم أسبابها ودوافعها، والتعرف على النتائج التي خلفتها على الإيالة كلها، بما فيها مصير الوجود العثماني ذاته.

لقد ارتبط الحكام بالتعامل مع الأوربيين في إطار الامتيازات والاحتكارات، وكثرت مطالبهم المالية، بينما كان الجهاز الإداري غير قادر على تطوير أساليبه وتبسيط إجراءاته واحترام قوانينه، وهو ما أدى إلى حركات تمرد، لم تسفر إلا عن تراجع مستمر في مستوى المعيشة، وتدهور متسارع في العلاقات الاجتماعية [2].

وتختلف المصادر في مواقفها من هذه الانتفاضات، لكن الملاحظ أن الكتابات الجزائرية آنذاك، تكاد تجمع على تأييد الحكام العثمانيين، وقبائل المخزن الموالية لهم،

1- سعيدوني والمهدي البوعبدلي، مرجع سابق. ص ص 62 - 63

2- ناصر الدين سعيدوني، منطلقات وآفاق .... ص 177

بينما تقف موقفا متصلبا من الثوار، فتصورهم مغامرين ناقمين على رجال البايلك لأسباب شخصية، ومعادين لسكان المدن لدوافع مادية [1].

هذه المصادر كانت تكتب ضد الثورات، إما للطعن فيها، و" إما لإبراز بسالة الأتراك، وأصحابُها عادة من المقربين، لا يمكن أن يكتبوا ما يغضب ولي النعمة" [2]

لكن المنصف ينبغي أن يبحث في طبيعة علاقة الدايات بالرعية، والتي اتسمت بكثير من النفور، بسبب السياسة الجبائية التي كان ينتهجها النظام، ولذلك لم تكن الضريبة تستخلص في العديد من المناطق، إلا بعد أن تسير إليها الحملات العسكرية.

وإذا كانت هذه الحملات تعود بما يملأ الخزينة العامة، ويغني الموظفين، فإنها كانت توسع الشرخ بين الدايات وبين الرعية، بل كانت في حد ذاتها تحمل الدلالة القطعية على عدم وجود أي تجاوب بين الطرفين.

ففي إحدى حملات الباي محمد الكبير على الجنوب الوهراني، تمكن من نهب 14 دوارا، والاستيلاء على 6700 خروف وعنزة، و 5000 جمل و 650 بغلا و 720 بقرة، لكن الأسوأ من هذا أنه أسر 60 فردا أغلبهم من النساء، بينما أخذ بومزراق باي التيطري، 120 فردا كرهائن، بعد استيلائه على 10700 جمل، في حملة جهزها عام 1825م لجمع الضريبة [3].

كما لم يسلم الشرق الجزائري من مثل هذه الحملات القوية، التي كان بعضها يدوم أكثر من ستة أشهر، ويجند لها مئات الفرسان والمشاة، الذين يتنافسون في الحصول على الغنائم.

وحتى لو توفر المبرر الكافي لجمع الضرائب، باعتبار الظروف الدولية التي فرضت على الإيالة سياسة جبائية خاصة، فإن الوسائل التي اتخذت لذلك كانت منفرة للغاية، بل كان طابعها استفزازيا، خصوصا وأنها قابلتها حالة أخرى مناقضة تماما، وهي استفادة

1- ناصر الدين سعيدوني، "ثورة ابن الأحرش بين التمرد المحلي والانتفاضة الشعبية"، الثقافة، العدد 78. 1983. ص 199

2- مولاي بلحميسي، "الثورة على الأتراك في الجزائر ، شواهد مستقاة من وثائق إسبانية لم تنشر" ، الثقافة، العدد 48. 1978. الجزائر. ص 74

3- سعيدوني والمهدي البوعبدلي، مرجع سابق. ص 37

اليهود والأجانب من خيرات البلاد، وتوسع نشاطاتهم، والامتيازات التي صارت لهم، وهو ما دفع الأهالي إلى اعتبارهم أجانب عن البلاد، متواطئين مع أعدائها [1].

وقد كانت الانتفاضات التي اشتعلت نيرانها كثيرة، ولعل أهمها ثورة درقاوة [2] التي أقلقت حكم الدايات على فترات طويلة [3]، حيث سادت الشرق بقيادة ابن الأحرش، بينما قادها في الغرب عبد القادر بن الشريف الدرقاوي[4].

ولعل مساندة اليهود للفرنسيين، في حملتهم على مصر عام 1798م، ووقوف الداي إلى جانبهم جعلا ابن الأحرش يثور على نظام الحكم، وهو الذي كانت له مساهمة في مصر ضد حملة نابليون، وحين جاء إلى الجزائر، هاجم سفينة تمتلكها الشركة الفرنسية التي كان مقرها القل، وأسر 34 شخصا كانوا على متنها [5].

ورغم الأصل المغربي الذي ينسب إليه ابن الأحرش [6]، فإن بعض المؤرخين حاولوا ربط علاقة بينه وبين الإنجليز [7]، معتمدين في ذلك على انتقاله من مصر إلى تونس، عبر سفينة إنجليزية، كما أن تونس ذاتها كان لها حضور في هذا الأمر، فقد ذكر الزهار أن

1- لم يطلق الجزائريون هذا الحكم، على اليهود اعتباطا، وإنما بناء على الوقائع التاريخية التي أثبتت، بما لا يدع مجالا للشك، تواطؤ اليهود في كثير من العمليات التي مست الشعور الوطني في الصميم، كعمليات الجوسسة، ودعم جيوش الأعداء وغيرها.

2- درقاوة طريقة دينية، تنسب إلى مدينة درقة، بنواحي فاس بالمغرب الأقصى، وقد تحول اسمها إلى مرادف لكلمة تمرد.

Trumlet, C. L'Algérie légendaire, Alger: Librairie Adolphe Jourdan, 1892. p 304

للاستزادة في موضوع الطرق الدينية بالجزائر، ينظر ما كتبه هذا العقيد الفرنسي..

ومن المصادر المحلية التي تناولت ثورة درقاوة بالدراسة:

- أنيس الغريب والمسافر، لمسلم بن عبد القادر.

- درء الشقاوة في فتنة درقاوة، للمؤرخ والعلامة الجزائري الكبير أبي رأس الناصري، والذي يعتبر من المصادر المفقودة.

3 - P, de Reynaud, Annales Algériennes, Paris: Librairie Militaire, 1854. T1. p 450

4- أصله من أولاد بليل، وهي قرية تقع حاليا بتخمارت، قرب فرندة، ذهب إلى المغرب الأقصى، حيث تمت إجازته، فعينه شيخه محمد العربي الدرقاوي، مقدما على الطريقة بالجزائر.

5- ناصر الدين سعيدوني، ثورة ابن الأحرش ... ص 203

6- الزهار، مرجع سابق. ص 85

- Rozet et Carette, Op.cit. p 505

7- حمدان خوجة، مرجع سابق. ص 170. الهامش 7

حمودة باشا تونس " استدعى في أحد الأيام، ابن الأحرش ووسوس إليه قائلا : إن رجلا مثلك شجاع، أو كلام بهذا المعنى، يجب أن يذهب إلى ملك الترك وينزعه من أيديهم، ونحن نمدك بما يخصك، والعرب يتبعونك لكثرة ما ظلمهم الأتراك. وكان مقصد حمودة باشا أن يشغلهم عنه لا غير، وأما أخذ الملك من الأتراك فما كان يظنه واقعا، والله أعلم" [1]

أما موقف المغرب الأقصى فلم يكن أقل من ذلك ، فإن الثورة الدرقاوية انطلقت أصلا من المغرب، رغم ما جاء في أنيس الغريب والمسافر من توسط السلطان المغربي بين باي وهران وسكان تلمسان في أعقاب الثورة، والضغط على ابن الشريف الدرقاوي لقبول السلم [2] ، بعد أن طلب داي الجزائر من السلطان المغربي وساطته لإقناع الثوار بالعدول عن ثورتهم [3] . وقد عبر أبو القاسم سعد الله، عن دور المغرب الأقصى في هذه الثورة فقال : " ويبدو أن الباي [4] قد أحس أن حركة ابن الشريف الدرقاوية، لم تكن دينية محضة كما يدل عليها ظاهرها، فقد كان لها طابع سياسي يتداخل فيه المغرب الشريفي والجزائر العثمانية، ولعل ابن الشريف، كان مجرد أداة لتنفيذ خطة سياسية ضد النظام العثماني، فأراد هذا النظام حماية نفسه " [5]

وقد ذكر جمال قنان أنه عثر على رسالة لأحد النبلاء الفرنسيين، كان يقيم في مدريد في هذه الفترة، تفيد بأن حكومة إسبانيا، أعدت مخططا بالتعاون مع فرنسا، عام 1805م، يهدف إلى تغيير نظام الحكم في الجزائر، بالاعتماد على ابن الأحرش والشريف الدرقاوي، لكن المخطط لم ينجح بسبب اندلاع الحرب في أوربا من جديد [6].

لقد استطاعت هذه الثورة بأحداثها المختلفة، أن تؤثر على الحياة في الجزائر، إذ كثرت الاضطرابات، وهجر الناس أراضيهم حتى قل الزرع، وانقسم الناس، فحدد كلٌ موقعه، ضمن المعسكر الذي اختاره، ووجد الناقمون على النظام فرصة الثورة، لما

1- الزهار، مرجع سابق. ص 85

2- مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب و المسافر، تحقيق وتقديم رابح بونار، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. 1974. ص 52

3- مولاي بلحميسي: الثورة على الأتراك في الجزائر ... ص49

4- يقصد محمد المقلش

5- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ... ج 1. ص 218

6- جمال قنان، معاهدات الجزائر... ص 228

توفرت ، في نظرهم، القيادة ذات الكفاءة، والتي وجدت سندا في الطريقة الدرقاوية، فإن ابن الأحرش ادعى النسب الشريف، ورغم أنه لم يعمل كثيرا لنشر هذه الطريقة في الشرق الجزائري، فإنه استغل نفوذها، على بساطته في المنطقة، لتفعيل الثورة، والتحريض على العصيان.

أما في الغرب، فقد تزعم الثورة عبد القادر بن الشريف الدرقاوي ، عام 1804م، وهو من أتباع الشيخ محمد العربي الدرقاوي.

وحين أعلن الثورة، التحقت به جهات مختلفة، كتلمسان والقلعة ومازونة، وهو ما جعل النفوذ العثماني يتقلص إلى المدن الساحلية [1].

ورغم هزيمة ابن الشريف في النهاية، وهروبه إلى عمالة الغرب [2]، فإن انتصار قواته على جيوش الباي محمد المقلش بفرطاسة [3]، كان له بالغ الأثر على سمعة البايلك.

والملاحظ أن هذه القيادات التي كانت ناقمة على ما آلت إليه البلاد، وكارهة للوجود الأجنبي فيها، خاصة سيطرة اليهود على مقاليد الحكم، حاولت التنسيق فيما بينها، فقد ذكر مسلم بن عبد القادر أن الدرقاويين استبشروا خيرا بقدوم ابن الأحرش عليهم، " وازدادوا بقدومه فرحا وسرورا" [4]، بينما حاول الزهار أن يظهر الأمر على غير ذلك حين ذكر أن الدرقاوي دس لابن الأحرش من قتله [5]، وليس هناك دليل على هذا الكلام، وهو ما جعل سعيدوني يتحفظ، عند حديثه عن الواقعة، فقال: " ونحن، وإن كنا نؤكد هذا الخبر، إلا أننا لا نستبعده " [6].

ونلاحظ على النظام في الجزائر أنه، عبر زمن ليس بالقصير، ظل يستعين بالشخصيات الدينية ذات التأثير الواسع في المجتمع، ونقصد المرابطين وشيوخ الزوايا، وهو عامل كان له نصيب هام في استتباب الأمن.

1- مولاي بلحميسي، الثورة على الأتراك في الجزائر ... ص 37

2- الزهار، مرجع سابق. ص 87

3- تعرف الآن بوادي الأبطال، وهي إحدى مدن ولاية معسكر.

4- مسلم بن عبد القادر، مرجع سابق. ص 95

5- الزهار، مرجع سابق. ص 87

6- ناصر الدين سعيدوني، ثورة ابن الأحرش ... ص 211، **هكذا ورد**، ونعتقد أن المقصود " لا نؤكد "

وإذا كانت النظرة الشائعة، هي تلك التي تسلط الضوء على العطايا والهبات، التي كان يوفرها الحكام لهؤلاء الشيوخ، فإن المسألة التي ينبغي التنبيه إليها، هي الأسباب التي أوجبت هذا التقارب، ونقصد الظروف التي عاشتها البلاد، خصوصا الوجود الإسباني، والتحرشات الأجنبية المسيحية، التي جعلت الجميع يدركون ضرورة تجاوز الخلافات، لأن المصلحة أضحت مشتركة ومتبادلة.

لكن مع نهاية القرن 18م، تحول الحكام إلى الاعتماد على العناصر اليهودية بشكل قوي، والتقرب من الشخصيات الأجنبية، التي توفر صداقتها منافع مادية كتوفير السلاح والبارود والمنتجات الجديدة، حتى ولو كانت هذه الصداقة على حساب مصير الأمة كلها.

ومن هنا فترت العلاقة بين شيوخ الزوايا والمرابطين والجماهير المؤيدة لهم، وبين الحكام الأتراك، ثم ما لبث هذا الفتور، أن تحول إلى توتر فعداء، وانتهى ذلك كله، بصراع في شكل ثورات، تزعمتها القيادات الدينية، كتلك التي ذكرناها سابقا.

ونظرا للضعف الذي أصاب جهاز الحكم، خاصة منذ نهاية القرن 18م، كثرت انتفاضات الموظفين، كأحمد شاوش [1]، ومحمد بوكابوس [2].

وفي ثورة الباي محمد بوكابوس، يظهر تأثير اليهود بشكل جلي [3]، ففي 06 ماي 1813م، بعث نائب القنصل الإسباني بوهران هوغويرو Antonio Huguiro رسالة إلى القبطان العام بقرطاجنة، يحدثه فيها عن قيام صفقة بين الإسبان، وبين الباي الذي زودهم

1- ثار في الشرق، في 1808م، وفي سبتمبر، قتل الباي علي (تولى الحكم عام 1807م) وحكم مدة 15 يوما، لكن الناس ثاروا عليه لما رأوا من الباي المعين أحمد طوبال، من تقوى وصلاح.

يراجع:

محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية... ص 31

2- هو محمد بن عثمان، باي الغرب بين 1808م و 1813م، وكانت له عدة ألقاب: الصغير تمييزا له عن أخيه محمد الكبير فاتح وهران، الرقيق لنحافة جسمه، المسلوخ لقب به بعد موته لأن عمر آغا سلخ رأسه، بوكابوس لأنه كان يحمل الكابوس (البشطول) طول الوقت فلا يفارقه.

يراجع:

الآغا بن عودة المزاري، مرجع سابق. ص 328

3- سنعتمد على الرسائل التي أوردها مولاي بلحميسي، حول هذا الموضوع، وهي وثائق هامة جدا، تلقي الضوء على جوانب ظلت غير واضحة فيما يتعلق بدور اليهود الخطير في هذه الثورات.

مولاي بلحميسي، الثورة على الأتراك في الجزائر ... ص ص 40 - 41

بعدد من الخيول، وطلب منهم في المقابل، السماح لليهودي داود كابيزا، بشراء 200 قنطار من البارود، لتغطية حاجاته في عمليات الثورة، التي قام بها في الغرب الجزائري.

وقد اعتبر صاحب الرسالة هذا الأمر خطيرا، لأنه سيؤثر على العلاقة بين البلدين، وقبل ذلك سيساهم في انهيار قوة الدولة الجزائرية.

ثم أردف هيغويرو رسالته هذه بأخرى مؤرخة في 13 ماي 1813م، والتي ذكر فيها إلحاح الباي على الإسبان، بطلب التزويد بالذخيرة والسلاح، مقابل تزويد الموانئ الإسبانية بالمنتوجات المختلفة: " حسب الرسائل التي نتسلمها كل يوم، من الباي ومن ديوانه، الذين يعرضون علينا تسويق جميع منتوجات هذا البلد" [1]

وقد تحدثت المصادر المعاصرة للثورة عن أسبابها، حيث أرجعتها إلى خلاف وقع بين الداي الحاج علي، وبين باي الغرب بوكابوس، بسبب الحملة التي نظمت ضد تونس، والتي رفض هذا الباي المشاركة فيها.

فحمدان خوجة، يذكر أن الداي بعث إلى بوكابوس قائلا: " إنك كرغلي، وباي تونس أيضا كرغلي، فأنت إذا لا تريد أن تلحق الضرر بأخيك. إنك تفضل عصياني على أن تحاربه" [2]، وكانت هذه المشكلة سببا في الثورة " فلما رأى ذلك الباي استحالة السير إلى تونس، وتأكد من أن الداي سيعاقب عصيانه، عقد العزم على إعلان الثورة " [3]

أما الزهار، فيذكر هذه الثورة دون كثير من التعليق، ويقصر سببها على " وحشة بين الباي وبين عمر آغا، لأن الباي قتل أخا عمر قبل أن يتولى آغا" [4]

بينما يرى صاحب طلوع سعد السعود أن بوكابوس خرج قاصدا تونس طاعة للداي، لكن عندما وصل وادي يلل حدثته نفسه بالخروج عن طاعة الترك، والدخول في طاعة سلطان المغرب [5] مولاي سليمان بن عبد الله [6].

1- مولاي بلحميسي، الثورة على الأتراك في الجزائر ... ص 41

2- حمدان خوجة، مرجع سابق. ص 172

3- حمدان خوجة، مرجع سابق. ص 172

4- الزهار، مرجع سابق. ص 107

5- الآغا بن عودة المزاري، مرجع سابق. ص 335

6- حكم المغرب بين 1792 و 1822

لكن لا ينبغي أن ننسى أن قصر الباي محمد الرقيق(بوكابوس) كان قد تحول إلى وكر لليهود [1]، وأنهم كانوا يقومون فيه بالتخطيط لأعمالهم، أما حنينة اليهودية، فكانت صاحبة شأن في وهران على زمن هذا الباي، حتى أنها كانت تتدخل في الأحكام والعقوبات التي تصدر في حق اليهود المذنبين [2].

هكذا إذا، كان اليهود بمساعدتهم للباي الثائر، طرفا قويا في هذه الثورة، ولذلك أحرقت حنينة اليهودية وأحد أبنائها حيين [3] ، بعد إلقاء القبض عليهما، بتهمة التواطؤ مع الثوار [4].

وكان أحد اليهود المقربين من الباي، قد فر إلى جبل طارق، حاملا معه كثيرا من كنوز البايلك، وهو ما أدى إلى فساد العلاقة بين الجزائر وإسبانيا، خاصة حين ألح الداي عمر على استعادة هذه الأموال، وردت إسبانيا ببعث أسطول إلى السواحل الجزائرية، عام 1817م، تهديدا للجزائر، حيث صرح قائدها أن دولته لا تنوي حتى الدخول في مفاوضات مع الداي بهذا الشأن [5].

2-2- الثورة على اليهود:

خلال حكم الدايين حسن ومصطفى، كان الجزائريون يرون تسلط اليهود على السياسة الداخلية والخارجية، وتماديهم في التدخل في أمور الدولة، حتى تحولوا إلى ممثلين حقيقيين للسلطة أمام الجهات الأجنبية.

وأثناء فساد العلاقة بين الجزائر وفرنسا، بسبب الحملة على مصر عام 1798م، لم يأبه اليهود بمشاعر المسلمين، فراحوا يزودون الجيوش الفرنسية بمليوني زجاجة خمر، فضلا عن القمح والمؤونة والذخيرة.

أما على المستويين الاقتصادي والاجتماعي، فإن تجارة البحر المتوسط أصبحت بيد 2000 يهودي من مدينة الجزائر، كانوا يبعثون بالسلع المختلفة إلى إخوانهم في ليفورن[6]،

1- فوزي سعد الله، مرجع سابق. ص 308

2 - Aissa Chenouf, Op.cit. p 51

3- لا أحد يبرر حرق إنسان، سواء كان يهوديا أم غير يهودي، فهناك طرق أخرى لمعاقبة المذنبين.

4 - Aissa Chenouf, Op.cit. p 51

5- شالر، مرجع سابق. ص 180

6- Masson, P, Op.cit, p 84

يحققون الأرباح ويصنعون لأنفسهم المجد، حتى وصلت بعض الشركات اليهودية في أوقات الرخاء إلى قمة الثروة والرفاهية [1].

وإذا كان همهم الأول، هو تحقيق الربح [2]، فإنهم تسببوا في تجويع المجتمع الجزائري، بتصديرهم للقمح، حتى أيام المجاعات، دون أن تأخذهم رحمة بأحد، ولذلك كتب قارو Garrot على لسان أحد الأتراك: " إن اليهود، الذين لم يمارسوا أنشطة ذات أهمية، ولم يرتبطوا إلا بمهن وضيعة، وبمكاسب مبهمة، استطاعوا تحطيم العرب البؤساء الذين أرهقتهم الضرائب والغرامات والضيفات، وذلك بإغراء الرجال بالقروض، والنساء بالأسعار الزهيدة التي يعرضونها عليهن، مقابل المجوهرات والمنسوجات الحريرية الغالية " [3]

وقد كان الأدب الشعبي آنذاك، وسيلة حادة تستخدم لدعم سياسة الحكام، أو الوقوف في وجهها، ولذلك حين رأى الناس أن اليهود يعيثون في البلاد فسادا، عبروا عن مشاعرهم تجاه هذه الأوضاع بالشعر، ومن ذلك قصيدة الشيخ بلقاسم الرحموني الحداد[4] التي نذكر منها الأبيات التالية:

اليهود جات ليهم محبّه   عـــادوا عليّ

باللباس وقصور تدهّــش

والمسلم في فم الحيا   يعطي الجزية [5]

والكفر يقوى ويعرّش

دِينّا ضعيف ولّى فَدْيَا   لأهــل العَديا

1- شالر، مرجع سابق. ص 91

2 - L, de Tassy, Op.cit, p 99

3 - Garrot, Op.cit. p 47

4- و لد هذا الشاعر في مدينة قسنطينة، في عهد صالح باي (1771م – 1791م) وعاش فيها يراجع

Cour, A, "Constantine en 1802 d'après une chanson populaire du Cheikh Belgassem Errahmouni El Haddad", in R. A, № 60, 1919, p 235

5- تعبير عن حالة الغبن والمهانة التي كان يعيشها المسلم، وإلا فالجزية مصطلح يستخدم للتعبير عما يدفعه أهل الذمة لخزينة الدولة الإسلامية.

كـل يـوم ينْـسَـبْ ويَـنْـغـَشْ [1]

لم تكن هذه الظروف إلا لتؤجج نار الثورة في نفوس الجزائريين، وهو ما تمثل في كثير من الاضطرابات التي استهدفت اليهود ومصالحهم.

ومن هذه الأحداث ما أورده إيزنبيث من أن بنيامين بوشناق أخا نافتالي، قتل في أحد أيام الجمعة من شهر نوفمبر 1792م، وفي 14 جويلية 1794م، تم إعدام ماردوخي ناربوني [2].

أما في 1805م، فكان استياء الإنكشارية من اليهود، قد بلغ أقصاه، وبينما نافتالي بوشناق، خارج من مكتب وكيل باي الشرق بمدينة الجزائر، اتجه إليه أحد الجنود، واسمه يحيى، وقال له: " السلام عليك يا ملك الجزائر" ثم رماه بالرصاص، فأرداه قتيلا.

وفرح الناس بصنيع هذا الجندي، واعتبروه بطلا، حتى أن الفقهاء غير الموظفين، ذهبوا إليه وشكروه [3]، ثم تحرك الغاضبون ضد اليهود، فقتلوا منهم 200 شخص [4]، وفرت منهم 200 عائلة يهودية إلى ليفورن، ومنها عائلتا بكري وبوشناق، اللتان غادرتا الجزائر على متن سفينة سويدية، و100 عائلة هاجرت إلى تونس [5]، بينما تدخل صديق اليهود، دوبوا تانفيل، مستخدما نفوذ القنصلية الفرنسية، لينقذ 200 يهودي احتموا به.

أما الداي مصطفى، فقد اختلطت عليه الأمور، إذ أعطى إذنا للشعب بالانتقام لشرف المسلمين المهان، إبعادا للثائرين عنه وعن المقربين إليه، ومن جهة أخرى قام بإبعاد عدد

---

1 - Cour, A, Op.cit. p 236

2 -Eisenbeth, M, Les juifs en Algérie… p 141

لكن ما لا يذكره إيزنبيث هو أن قتل ناربوني، كان بسبب سبّه للإسلام، وأنه قبل قتله، تم تخييره بين الإسلام وبين الإعدام، فلما رفض أن يسلم قُتل.

يراجع:

نجوى طوبال، مرجع سابق. ص 150

3- الزهار، مرجع سابق. ص 88

4- الزهار، مرجع سابق. ص 88، بينما يرى آخرون أن عدد القتلى وصل إلى 300

يراجع:

أبو العيد دودو، مرجع سابق. ص 44

5- سعيدوني والمهدي البوعبدلي، مرجع سابق. ص 104

من كبار اليهود، الذين نجوا من الموت [1]، ثم أصابه الذهول لما حدث، " فبقي ساكتا ولم يقدر على أحد، ثم قال الخزناجي لكبير الحراس: كل من علمت أنه نهب اليهود، من الحمالين والبحرية وغيرهم، يجب أن تقبض عليهم، وتصلب كل يوم عشرة منهم، وإذا نقص واحد من العشرة أصلبك مكانه، فأخذ في قبض المسلمين وتصليبهم، إلى أن صار كبير الحراس، يقبض على من وجده متشاجرا مع صاحبه، ليكمل به عدد المصلبين" [2]

وفي 30 أوت 1805م، تم اغتيال الداي مصطفى، وموظفه الخزناجي " لأن ثقته في بوجناح جعلتهم يكرهونه" [3] ويقصد الداي.

وفي 31 أوت خلف الداي أحمد سلفه المقتول مصطفى، وتماشيا مع ظروف غضب الإنكشارية، اتخذ موقفا متصلبا من اليهود، فقد أعلنت الإيالة عن مليوني فرنك، كدين لها على بوشناق، وصادرت كل ممتلكاته، بما فيها السفن التي كانت تباع بمجرد دخولها إلى الميناء [4]، لكن كثيرا منها اشتراه اليهودي دافيد دوران، كما فرض الداي الجديد على اليهود مبلغ 4 ملايين فرنك، وبعد رفضهم تسديدها أودعت أسرة بكري السجن، مع الأخوين موسى وجودا عمار، وكانوا جميعا مسؤولين عن المصالح التجارية اليهودية.

غير أن القضية وجدت حلا، يقضي بدفع المبلغ بالتقسيط، على مدى 20 شهرا، وذلك بعد وساطة القناصل الأجانب.

ولم يمض وقت طويل، حتى استطاع اليهود إقامة علاقات مع الداي الجديد، وحولوه إلى مدافع عن مصالحهم، ففي 01 نوفمبر 1806م، عين دافيد جوزيف بكري على رأس الطائفة اليهودية، بعد أن أقال منها ابن طيبي رغم أنه لم يرأسها إلا يوم 20جويلية 1806م، وأعفى بكري وشركاءه من دفع ما تبقى من الضريبة التي فرضها عليهم [5].

1- إسماعيل العربي، دور اليهود في الدبلوماسية الجزائرية... ص 62

2- الزهار، مرجع سابق. ص 88

3- أبو العيد دودو، مرجع سابق. ص 46، ويقصد بواو الجمع جنود الإنكشارية الثائرين.

4 -Eisenbeth, M, Les juifs en Algérie… p 377

5- محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية... ص 275

وتوالت مشاكل اليهود، جزاء ما فعلوه، ففي 04 فبراير 1811م، قطعت رأس دافيد كوهين بكري بأمر من الداي الحاج علي، وبوشاية من دافيد دوران [1]، الذي صار رئيسا للطائفة اليهودية حتى 19 أكتوبر 1811م، وهو تاريخ شنقه، ليخلفه جوزيف بكري على رأس الطائفة حتى 1816م، حيث عزل ونفي إلى ليفورن [2]، بعد أن تقدم وفد يتزعمه اليهودي إسحاق أبو الخير، إلى الداي بوشاية مفادها أن بكري يتآمر ضد الداي، وكان أصل الوشاية يعقوب بكري ضد أخيه [3]، ولذلك خلفه على رأس الطائفة وظل كذلك حتى 1831م.

وهكذا يتبين لنا أن اليهود في الجزائر، جنوا على أنفسهم، لما تجاوزوا حدودهم وتطاولوا على الحاكم والمحكوم، ولذلك دفعوا الثمن من أرواح كثير منهم، ورغم ذلك لم يتعظوا، وظلوا على سيرتهم حتى 1830م، حيث كان موقفهم من الاستعمار مخزيا للغاية.

وتجدر الإشارة قبل إنهاء الحديث عن هذا الموضوع، إلى تأثر العلاقات الإسلامية اليهودية على جميع الأصعدة، فقد أحصت نجوى طوبال [4] تسجيل 20 عقدا في سنة 1804م، بين المسلمين واليهود، لدى المحاكم الشرعية بمدينة الجزائر، لكن عدد العقود انخفض إلى 01 فقط عام 1805م، ولعل السبب يعود إلى فساد العلاقة بين الطرفين، بسبب الأساليب الملتوية التي كان اليهود يتبعونها، والتي أوصلت إلى أحداث هذا العام.

1- ليس صراع اليهود على رئاسة الطائفة وليد هذه الظروف، فإبراهيم بوشعرة Abraham Bouchiara كان زعيما للطائفة منذ 1768م، حتى 1800م خلفا لأخيه يوسف، وقد اشتعلت بينه وبين شركة بكري نار المنافسة، فعمد نافتالي بوشناق إلى استخدام نفوذه لدى الداي مصطفى، عام 1800م، فأقاله من منصبه، ليخلفه هو على رأس الطائفة، وبذلك استخدم نفوذه الديني الجديد، ليعزز مكانته السياسية ونفوذه الاقتصادي.

2 --Eisenbeth, M, Les juifs en Algérie… p 380

ويذكر إيزنبيث أن جوزيف بكري مات في ليفورن، في حالة شديدة من الغبن "Dans l'oubli et la misère "

3- يتحدث الحاخام اليهودي فيربو، بمرارة إلى ولده، عن الانقسامات والصراعات التي كانت بين عائلة بكري وعائلة دوران، ويعرج على الصراعات التي وقعت في روسيا بين بعض اليهود، بعد أكثر من قرن من الأولى (1936م – 1937م) ثم يعلق قائلا: " لحسن الحظ ما زالت الخلافات بين الغوييم أكبر، وهو الشيء الذي ينقذنا"

Virebeau, G, Op.cit. p 11

4- نجوى طوبال، مرجع سابق. ص 36

خلاصة:

وهكذا، فإن الآثار التي ترتبت على التدخل اليهودي الصارخ في الدبلوماسية الجزائرية، لم تكن بسيطة، فقد مست حياة المواطن البسيط، كما مست مصير الحاكم، وبين المصيرين ضاعت الجزائر كلها.

إن كون اليهود أصحاب مصالح اقتصادية قوية، وأصحاب نفوذ سياسي أقوى، جعل اهتمامات الدايات المتأخرين تنصب على رعايتهم ، وكان ذلك على حساب المجتمع كله.

إن الحديث عن قوة اليهود الاقتصادية والسياسية، ليس من باب الانبهار بها وتضخيمها، وإنما هو من باب إظهار مواطن الخلل التي ميزت نظام الدايات بداية من الداي حسن، حيث كان اليهود أكثر قدرة على استغلالها والنفوذ عبرها إلى مراكز القرار.

وإذا كانت ردود الفعل الجزائرية في نهاية القرن 18م، تجاه اليهود، تكتنفها عمليات اغتيال شخصيات يهودية، فإن بداية القرن 19م، عرفت تحولا عميقا جدا في طبيعة العلاقات الجزائرية اليهودية، من خلال الثورة على اليهود في 1805م، لكن هذا التحول لم يضع حدا، لا للوجود اليهودي في الجزائر، ولا للسيطرة اليهودية على نظام الحكم.

ثم إن تلاعب اليهود بمصير الجزائر، جعلها تتعرض إلى نكسة حقيقية منذ نهاية القرن 18م، إذ كثرت فيها الانتفاضات الشعبية والثورات ضد النظام، وتحركت جميع قوى المجتمع، تعبر عن رفضها لهذا الواقع، فقد ثار رجال الزوايا، والموظفون، وكثرت مشاكل الإنكشارية، وذلك كله تعبير عن عدم استقامة الأوضاع في ظل المؤامرات التي كان يحيكها اليهود، وكان عدم الاستقرار سببا قويا في ضعف البلاد، وهو ما جعلها تتعرض إلى حملات أوربية، انتهت بالغزو الفرنسي عام 1830م.

أما دعاوى الولاء اليهودي للجزائر، فإنها جميعا تتحطم على جدار الظاهرة الاستعمارية، التي كان اليهود من أبرز مشجعيها والواقفين إلى جانبها.

الخــاتـمة

وهكذا فإن دراسة الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات، تسمح بفهم طبيعة التواجد اليهودي بالجزائر، والظروف التي أحاطت به، سواء فيما يتعلق بالهجرات بنوعيها القديم والحديث، أو فيما يتعلق بظروف الاستقرار، وما ترتب عنها من علاقات بين اليهود أنفسهم، وبين اليهود والمسلمين، أو حتى بين اليهود والشعوب الأوربية، في إطار التفاعل على مستوى حوض البحر المتوسط.

إن الوجود اليهودي بالجزائر يخضع لاختلافات كبيرة من حيث تاريخ بداياته الأولى، كما أن الاختلاف أيضا واقع حول الهجرة اليهودية، وتهود السكان الأصليين بالجزائر ضمن بلاد المغرب عموما، وهو ما يجعلنا أمام إشكالية كبيرة يحاول بعض الكتاب خاصة اليهود، الوصول من خلال معالجتها إلى إثبات الأصل اليهودي لسكان المغرب، وهو أمر بعيد بالنظر إلى المعطيات التاريخية.

إن العلاقات اليهودية اليهودية اتسمت عبر مراحل طويلة بسيطرة الحاخامات على الحياة اليومية لليهودي البسيط، غير أن قدوم الهجرات الحديثة من أوربا منذ القرنين 13م و 14م، أدخل بعض أسباب الصراع الذي اندلع بين التوشابيم والميغوراشيم، وهو ما ساهم في تغيير التركيبة العامة للطائفة اليهودية، وأدخلها مجالا أوسع من الممارسة الاقتصادية والسياسية في الإيالة.

لقد عاش اليهود في المجتمع الجزائري حياة عادية، يساهمون في النشاطات الاقتصادية بعيدا عن السياسة، لكن هذا لم يعد قائما في نهاية العهد العثماني، إذ أصبح اليهود ذوي نفوذ اقتصادي قوي، خاصة على الصعيد التجاري، وهو ما أهلهم ليصبحوا أصحاب سلطان سياسي، لاسيما على عهد الدايين حسن ومصطفى.

إن التجارة الداخلية عرفت حركية ساهم اليهود فيها إلى حد بعيد، سواء في المدن؛ داخل أسواقها وحوانيتها، أو في البوادي بالمشاركة في قوافلها وأسواقها الأسبوعية، أو عن طريق الباعة اليهود المتجولين.

أما مساهمة اليهود في التجارة الخارجية، فقد مرت بمرحلتين:

مرحلة المشاركة، حيث كان التجار اليهود تجارا بسطاء، يزاولون التجارة مع التجار الجزائريين في البحر المتوسط، دون تأثير على الحياة السياسية في الإيالة.

مرحلة النفوذ والسيطرة، وهي المرحلة التي تحول فيها اليهود إلى تجار كبار، انتظموا ضمن عائلات تجارية قوية، أنشأت مؤسسات اهتمت بالتصدير والاستيراد، ونافست المؤسسات الفرنسية ذات الامتيازات في الشرق الجزائري، وقد تحول النفوذ التجاري إلى وسيلة قوية للوصول إلى الدايات وموظفي الإدارة المركزية، وهو ما سمح لهم بالتدخل في الدبلوماسية الجزائرية، حتى تحولوا إلى سماسرة سياسيين، يتوسطون بين الإيالة وبين أوربا، وتزايد نفوذهم حتى صار نفتالي بوشناق مثلا يلقب بملك الجزائر.

إن قوة التدخل اليهودي على مستوى الدبلوماسية الجزائرية في بعض المراحل، لا ينبغي أن تحجب المؤسسة الدبلوماسية الجزائرية التي كانت قائمة بذاتها، مستقلة حتى عن الدولة العثمانية، وإنما ينبغي أن يفهم هذا التدخل في سياقه العام وداخل إطاره المحدد.

وقد كانت لهذه السيطرة على الصعيد السياسي عوامل هامة، سواء على المستوى المحلي، وهي التي تمثلت في دعم الدايات مع تهميش العناصر الوطنية، مما فسح المجال أمام اليهود، أو على المستوى الخارجي، ونقصد الدعم الذي كان يلقاه هؤلاء من القناصل الأجانب، الذين تحولوا في بعض الفترات، إلى مدافعين عن المصالح اليهودية، بل إلى ممثلين للشركة اليهودية مثلما حدث مع إسكديرو نائب القنصل الإنجليزي في عنابة.

أما تدخل اليهود في العلاقات الجزائرية الأوربية، فيظهر من خلال دورهم الكبير في عقد المعاهدات والاتفاقيات، وإدخال الجزائر في علاقات لم تكن ضرورية إلى حد كبير، بقدر ضرورة الاهتمام بالشؤون الداخلية وقضايا الفرد البسيط، التي لم يعد النظام يوليها اهتماما حتى في زمن الكوارث الطبيعية والمجاعات والأوبئة [1].

وقد عمل اليهود على محور الدبلوماسية، ليضمنوا خدمة مستمرة لمصالحهم، فإن "صداقة الجزائر" قد وفرت لهم حماية أساسية في البحر المتوسط.

ويظهر دور اليهود في دبلوماسية الجزائر بشكل أوضح، حين نتحدث عن العلاقات الجزائرية الفرنسية التي تأثرت إلى حد بعيد بهذا النفوذ، خاصة خلال السنوات الأولى للثورة الفرنسية، حيث قام اليهود بدعمها، تماشيا مع توجهات إخوانهم في فرنسا، والذين

1- أشرنا سابقا إلى أن هذا الحكم ليس عاما، فقد ثبت تاريخيا التفات بعض الدايات إلى شؤون الأمة وقت الضرورة، لكن ذلك لم يكن كافيا

كان لهم دور كبير فيها، آملين أن تخرجهم بشعاراتها البراقة، من حالة الضيق التي عاشوها في أوربا قبل قيامها.

غير أن هذه العلاقات اليهودية الفرنسية سببت أزمة حقيقية، صارت الجزائر طرفا فيها، ورغم مرور أكثر من 30 سنة على بدايتها، إلا أن التوصل إلى حل لها، كان أمرا أريد استبعاده من قبل شخصيات فرنسية، تواطأ معها اليهود، وهو ما أدى إلى انسداد كل قنوات الحوار والتفاهم، خاصة بعد حادثة المروحة المفتعلة.

أما آثار هذا التدخل اليهودي السافر في السياسة الخارجية للجزائر، فكانت كبيرة جدا، إن على المستوى الداخلي، أو على مستوى العلاقات الخارجية، كما ذكرنا سابقا.

فقد أدى تقريب اليهود وتهميش العناصر الوطنية، إلى استياء في الوسط الشعبي، تحول مع مرور الوقت إلى حقد، ثم صار الحقد ثورة عارمة ضد نظام الدايات وعملائهم اليهود، وهو ما أدخل البلاد في وضع سيء، إذ كثرت الانتفاضات وقل الأمن، وتراجعت وتيرة النشاط الاقتصادي، وتزامن ذلك كله مع ظهور مجاعات أثرت على الوضع العام.

كما أن انهيار نابليون فسح المجال أمام الدول الأوربية، لتنظر في أمر البحرية الجزائرية، في مؤتمراتها الشهيرة كفينا وإكس لاشابيل، لكن الجزائر لم تلتفت إلى هذا الخطر الداهم، وإنما ظلت تبني جزءا من اهتماماتها على قضية الديون، على بساطتها، في حين أن هذه القضية ذاتها استخدمت سلاحا في يد فرنسا واليهود، للقضاء على السيادة الوطنية الجزائرية. وكان حريا بالنظام الجزائري آنذاك أن يهتم بالتحركات الأوربية، خاصة الفرنسية، والتي اندرجت ضمن الإطار العام للحركة الاستعمارية.

ويمكن تلخيص أهم النتائج التي خرجنا بها من دراسة دور اليهود في النشاط الدبلوماسي الجزائري، فيما يلي:

- إن الدبلوماسية الجزائرية لم تكن تفتقر حقا إلى التدخل اليهودي، ليدعمها ويقيم أسسها، بل إن هذا التدخل كان نكسة عليها، بالنظر إلى نتائجه أولا، ثم بالنظر إلى طبيعته، إذ تحول اليهود، داخل هذا الإطار العام، إلى سماسرة حقيقيين، يتاجرون في كل شيء، حتى في السياسة، مستغلين كل الفرص التي وفرها لهم نظام الحكم في الإيالة.

- إن الحكم العثماني في بعض فتراته، كان مسؤولا بشكل مباشر على المخالفات التي ارتكبها اليهود في حق أبناء الجزائر، سواء من الأهالي أو من العنصر التركي، والتي وصلت خطورتها في بعض الأحيان إلى مستوى الجريمة.

- إن النشاط غير السوي الذي مارسه اليهود في الجزائر أدى إلى زعزعة علاقة الحاكم فيها بالمحكوم ، وهذا ما نلحظه من خلال الانتفاضة الشعبية التي راح ضحيتها الداي مصطفى حليف اليهود الأساسي.

- إن الجزائر لو أحسنت استغلال عائدات النشاط التجاري الهائل، الناتج عن وفرة الصادرات خاصة الحبوب، عن طريق طبقة محلية نشطة، يربطها ببلادها الولاء الخالص، لأمكنها تطوير صناعة محلية تنعكس إيجابا على الحياة فيها بشكل عام، حيث تستغل طبيعة علاقاتها المميزة مع الدول الأوربية، وحاجة هذه البلدان إلى التعامل مع الجزائر، وبذلك تنتقل إليها مؤثرات الثورة الصناعية.

- إن اليهود استخدموا نفوذهم الدبلوماسي لتحقيق أهداف سياسية خطيرة، إذ لا نستبعد أن يكون يهود الجزائر قد انتظموا ضمن شبكات يهودية كبيرة، تسعى في إطار مخطط واحد، إلى تحقيق أهداف يهودية مشتركة.

- إن العنصر اليهودي تم استخدامه بل التواطؤ معه للانتقام من الجزائر ، التي شكلت خطرا على الدول الأوربية أكثر من ثلاثة قرون. وهذا الأمر يثبت من خلال استخدام اليهود في الجوسسة وجمع الأخبار ، أو استخدامهم في التأثير على الدايات و البايات للحصول على اتفاقيات مع الجزائر، أو لتحقيق امتيازات اقتصادية، في ظل الظروف الصعبة التي عرفتها أوربا، خاصة مع انطلاق الثورة الصناعية، وشح المنطقة في الوفاء بمتطلباتها.

- ومما يدل قطعا على أن اليهود لم يكونوا جزائريين، إلا بالقدر الذي يحقق مصالحهم، ترك بعضهم البلاد بعد دخول الفرنسيين، وبذلك قطعوا كل حبال الود إن وجدت. أما الذين بقوا فيها فلم يتورعوا عن الترحيب بالفرنسيين، وقبول الوظائف الجديدة

تحـت مظلـة الإدارة الفرنـسية، بـل وحتـى الجنـسية الفرنـسية فـي أطـار قـانون كريميـو[1]، متنكرين لكل ما كان يربطهم بالجزائر .

1- صدر هذا القانون في 24 أكتوبر 1870م، وينسب إلى اليهودي الفرنسي إسحاق يعقوب كريميو المعروف بأدولف كريميو (1796م – 1880م)، والذي صار وزيرا للعدل منذ 04 سبتمبر 1870م.

الملاحق

الملاحق

1- رسالة من أحد عملاء الجزائر في أوربا إلى الباشا، دون تاريخ، حول نشاط يعقوب بكري في أوربا، وفيها عرض تسوية بعض المسائل التجارية بين الجزائر وبين فرنسا وإسبانيا وسردينيا.

2- تقرير أرسل إلى حسين باشا، حول المعارضة التي ظهرت في مجلس الشيوخ الفرنسي، لقرار إعلان الحرب ضد الجزائر، ومسألة ديون بكري وبوجناح.

3- رخصة مرور مسلمة من محمد بن عثمان باشا إلى مبعوث البابا إيمانويل ، حتى لا يعترض القراصنة طريقه، خلال عودته إلى إسبانيا، ومعه الأسرى الذين تم افتداؤهم بالجزائر.

4- تقرير وزير الخارجية الفرنسي تاليران إلى مبعوث الباب العالي، حول الخلاف بين الجزائر وفرنسا بسبب هجوم الجزائريين على بعض التجار الفرنسيين، وأيضا بسبب مسألة الديون.

5- رسالة نائب قنصل إسبانيا بوهران أونتونيو هوغويرو الأولى إلى القبطان العام بقرطاجنة، حول تكليف الباي بوكابوس لليهودي كابيزا باقتناء 200 قنطار من البارود، لاستخدامها في ثورته.

6- رسالة نائب قنصل إسبانيا بوهران أونتونيو هوغويرو الثانية إلى القبطان العام بقرطاجنة، يخبره فيها عن تطور الأحداث ببايلك الغرب، ويلح على تزويد الباي بوكابوس بالأسلحة عن طريق اليهودي كابيزا.

7- نص اتفاقية 1819م، حول ديون بكري وبوجناح من الجزائر.

1- رسالة من أحد عملاء الجزائر في أوربا إلى الباشا، دون تاريخ، حول نشاط يعقوب بكري في أوربا، وفيها عرض تسوية بعض المسائل التجارية بين الجزائر وبين فرنسا وإسبانيا وسردينيا. المكتبة الوطنية 118/3190

118 3190

2- تقرير أرسل إلى حسين باشا، حول المعارضة التي ظهرت في مجلس الشيوخ الفرنسي، لقرار إعلان الحرب ضد الجزائر، ومسألة ديون بكري وبوجناح (أ) المكتبة الوطنية 382/3190

2- تقرير أرسل إلى حسين باشا، حول المعارضة التي ظهرت في مجلس الشيوخ الفرنسي، لقرار إعلان الحرب ضد الجزائر، ومسألة ديون بكري وبوجناح (ب) المكتبة الوطنية 382/3190

ب

3190

382

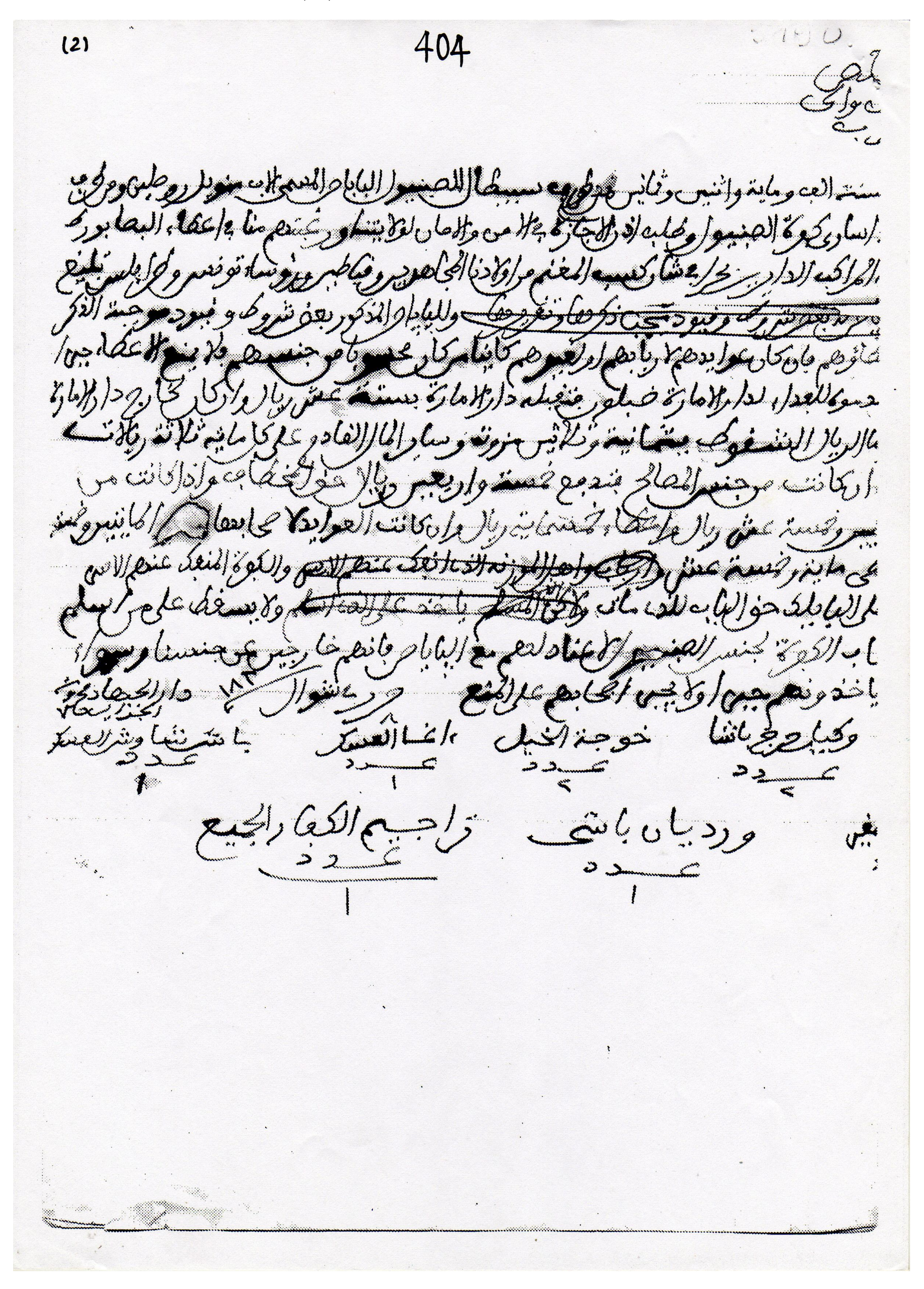
قد خرج عليها مصاريف مبلغ كثير وإن جايدة تحصلت لنا جاء تملكنا الجزاير على التقدير ومانع لهدم أبراجها وقلوعها وأصوارها وسلكية معلكتها بل منا أنام على الا تكليف لا تكليف ولا يكون منها دايما لعساكرنا ولكن بيننا الإتلاف وخد متنا كلها ... [illegible]

[illegible]

3- رخصة مرور مسلمة من محمد بن عثمان باشا إلى مبعوث البابا إيمانويل ، حتى لا يعترض القراصنة طريقه، خلال عودته إلى إسبانيا، ومعه الأسرى الذين تم افتداؤهم بالجزائر(ا) المكتبة الوطنية 404/3190

(1) 404

3- رخصة مرور مسلمة من محمد بن عثمان باشا إلى مبعوث البابا إيمانويل ، حتى لا يعترض القراصنة طريقه، خلال عودته إلى إسبانيا، ومعه الأسرى الذين تم افتداؤهم بالجزائر(ب) المكتبة الوطنية 404/3190



(2) 404

سنة ألف ومائة واثنين وثمانين [illegible] بسبب الصلح [illegible] البابا [illegible] المسمى [illegible]

أسارى كورة الصبنيول وطلبه [illegible] الأمن والأمان [illegible] البحابور [illegible]

المراكب [illegible] المغنم [illegible] الجاهدين [illegible]

[illegible] وللبابا المذكور [illegible] شروط و قيود [illegible]

[illegible] الإعطاء [illegible]

[illegible] لدار الإمارة [illegible] دار الإمارة [illegible] دار الإمارة

[illegible] الريال [illegible] ثلاثة ريالات

[illegible] الصالح [illegible] خمسة واربعين ريالا [illegible]

[illegible] وخمسة عشر ريالا [illegible] خمسمائة ريال [illegible] كانت العوايد [illegible]

[illegible] وخمسة عشر [illegible] والكورة [illegible] عندهم الأسرى

[illegible] البابا [illegible] ولا يسبغه على من يسلم

[illegible] الصبنيول [illegible] مع البابا [illegible] خارجين عن جنسنا [illegible]

[illegible] شوال ١١٨٢ [illegible] دار الجهاد [illegible]

وكيل خرج باشا خوجة الخيل آغا العسكر باش [illegible] العسكر

عدد ٢ عدد ٢ عدد ١ عدد ١

[illegible] ورديان باشي تراجيم الكبار الجميع

عدد ١ عدد ١

4- تقرير وزير الخارجية الفرنسي تاليران إلى مبعوث الباب العالي، حول الخلاف بين الجزائر وفرنسا بسبب هجوم الجزائريين على بعض التجار الفرنسيين، وأيضا بسبب مسألة الديون (ا) مركز الأرشيف الوطني، دفتر خط همايون، العدد 5746، العلبة 22، التاريخ 1217ه

الجمهورية الجزائرية
الديمقراطية الشعبية

رئاسة الجمهورية

الأمانة العامة

الجزائر في :
دفتر : خط همايون
عدد : 5746
تاريخ : 1217
المعرب : فكري طونا

صورة الترجمة للتقرير الذى ورد الينا من طرف السيد طاليران :

انها الترجمة التي وردت الينا من طرف السيد امدى المقيم حاليا بمدينة باريس للتقرير الذى قدم اليه من طرف السيد طاليران وزير الشوءون الخارجية للجمهورية الفرنسية .

انه لمن دوافع السرور و الافتخار ان يخطى وزير الامور الخارجية للجمهورية الفرنسية الذى اسمه مطرفي امضائه بالاسفل — ادناه — امكانية بيان و افادة المرام و المقصود لحضرة المبعوث الفوق العادة للدولة العلية على الوجه التالي .

ان الاوجاقات الجزائرية التابعة — لامارة الامراء — بالجزائر خلافا للمعاهدة القائمة بين فرانسة و هذ الامارة و امير امرائها تقوم حاليا بمنع السفن الفرنسية غن عطية صيد المرجان بسواحلها .

و مع ذلك فان — بونابارته — لا يجب ان يتقدم ~~xxxxx~~ بالشكوى من اجل هذه الاعمال الجبرية و الحركات الـ الكتبة من طرف الاوجاقات الجزائرية ، رغم وجود المعاهدة بين الطرفين ، زيادة على ذلك فان ركاب السفينة الفرنسية التي كانت قد اصيبت بعطل فلجات و ارتمت مضطرة الى السواحل الاورانية — الوهرانية — اثناء موسم الشتاء المنصرم انقاذا للانفس و تفاديا خطر الفرق و الهلاك لما تهيأوا و استعدوا للخروج منها و الارتماء الى احضان الرارى فرحين مستبشرين لنجاتهم من خطورة الفرق و الهلاك بصعوبة و بشق الانفس فاذا بعربان امير الامراء المهتمين بقضية جمع الخراج من العربان يهاجمون عليهم ويسلبون منهم كل ما لديهم من اشياء و مال و امتعة ، م ياخذونهم الى الجبال حيث الجوع و البرد و الطبيعة القاسية و المعاملة الشديدة القاسية التي ينالونها من العربان الامر الذى كان سببا لهلاك قسم كبير منهم خوفا و ضعفا و فقدانا لروح المقاومة اكثر من طاقتهم و

و الجذير بالذكر انه حتى الان و على الرغم من ان الموظفين — الفرنسيين — المقيمين في تلك المناطق من البلاد و بادروا و بسرعة فائقة و على شكل جماعي الى تقديم شكايات عديدة ، و بلهجة شديدة الى السلطات المعنية بالامر فان ما يزيد على 150 نفر من هوءلاء المنكوبين من الفرنسيين لا يزالون حتى الان موجودون — اسرى — في ايدى هوءلاء العربان المتوحشين الهمج الذين لا رحمة لهم و لا انسانية .

هذا .... و من جهة اخرى ايضا فان قراصنة اوجاق جزائر الغرب لا يخلوا امرهم عن الافعال و الحركات التي تهدف الى تحقير و تذليل العلم الفرنسي بشكل مستمر و باسلوب احتقارى مستفدا .

4- تقرير وزير الخارجية الفرنسي تاليران إلى مبعوث الباب العالي، حول الخلاف بين الجزائر وفرنسا بسبب هجوم الجزائريين على بعض التجار الفرنسيين، وأيضا بسبب مسألة الديون (ب) مركز الأرشيف الوطني، دفتر خط همايون، العدد 5746، العلبة 22، التاريخ 1217ه

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

الرئاسة

الأمانة العامة

— 2 —

و خلاصة الكلام في هذا الميدان ان امير امراء جزائر الغرب قد نسي او تناسي تماما المعاهدة القائمة بيننا و بينه و ارتباطاته الضرورية الالزامية تجاه فرانسة بمقتضى هذه المعاهدة التي دراجة حتى اصبح يدعى اخذ و استرداد المبلغ المتكون من ماتين الف غروش عن طريق الـ و الاجبار مهددا و مخوفا الجمهورية الفرنسية باعلان الحرب ضدها ان لم يتم دفع المبلغ المذكور في غضون اربعين يوما على الاكثر ، و من طرف فرانسة الى اوجاق جزائر الغرب .

و انطلاقا من هذه الامور و المواد المذكورة سالفا فان بونابارته قد قام بارسال رسالة مخصوصة عن طريق احد اعوانه الملازمين له في قصره الى جهة الجزائر مكلفا اياه في حفظها و تسليمها الى امير امراء الجزائر و الجدير بالذكر ان مضمون الرسالة الموجهة من بونابارته الى الوالي الجزائري كان متعلقا بحركات امير الامراء السابق الذكر حيث حاول — بونابارته — من خلال رسالته هذه ان يشرح لامير امراء جزائر الغرب مدى مخالفة و مغايرة هذه الحركات المتبعة تجاه فرانسة للسياسة الجزائرية الرامية الى تحقيق مصالحها الخاصة لها .

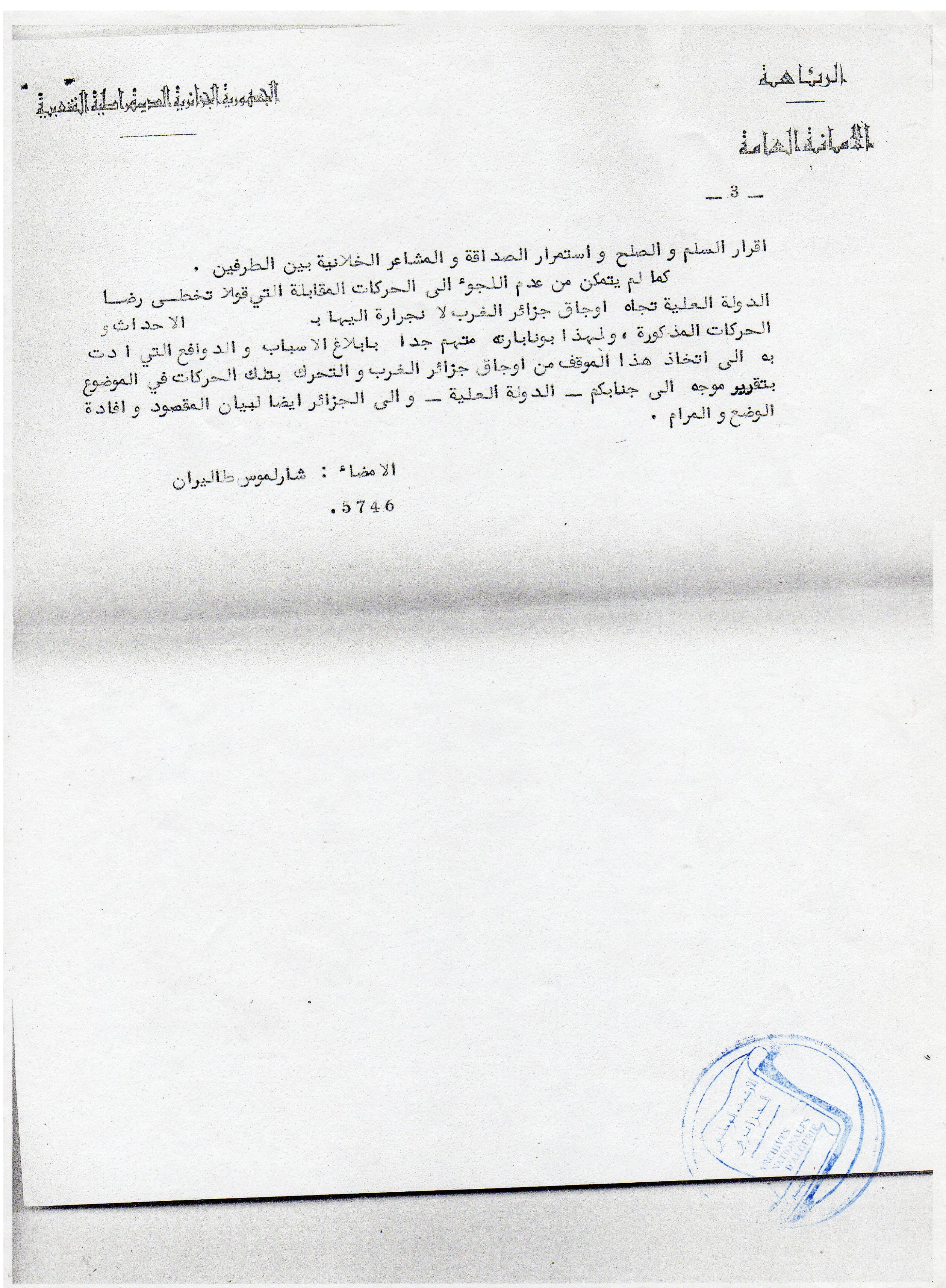
و من الملاحظ انه اذا اخطا — امير الامراء — في موقفه من الراسلة و اصر على التمادى في تصرفاته و ادعاءاته الاستحقاقية و الا و حاول الرد على رسالة بونابارته بهذا الاسلوب و بتلك الكيفية ، فان مثل هذه الحركة منه لا شك سوف تجعل بونابارته — مضطرا الى اللجوء الى ارسال جيش برى لضبط الجزائر او انقاذ فرانسة من التعرض للحركات و الاعمال التي لا تتلائم و صلحتها .

و لهذا فقد فوض الوزير المشار اليه انفا على تبليغ هذا القرار الذى يمكن ان يلجا اليه بونابارته الى جناب سعادتكم على الوجه المخصوص ، اضمير الخطا بفي العبارة يرجع الى المبعوث الفوق العادة — للدولة العلية .

هكذا اراد بونابارته ان ينبه الوزير المذكور سابقا الى تبليغ الوضع بهذه الكيفية الى جنابكم العالي ، ثم بعد ذلك ان قامت فرانسة على مقابلة الجبر بالجبر و الاعتداء بالاعتداء دون تقديم الشكاوا الى الدولة العلية و اسقط وال من ولاة الدولة العلية فان ذلك يكون راجعا الى الحركات العدائية الجبارة التي كانت تتخذ تجاه فرانسة من طرف هذا الوالي نفسه فيكون هو الذى اسقط نفسه بنفسه نتيجة اعماله العدوانية تجاه فرانسة و لذا فلا يلوم الا نفسه و لم تكن فرانسة ظالمة و لا متعدية في هذه العملية لان الجزاء من جنس الاعمال .

نعم في الوقت الذى ذهب بونابارته بالذات الى مصر ظنت الدولة العلية ان هنالك محلا للشكوا في هذه القضية ، الا انه كما تدركون جنابكم جيدا ان الحالة التي اصبحت تسيطر على المنطقة من جراء تلك الحركات العدائية الجبارة التي تمارسها قراصنة اوجاق جزائر الغرب لم تدع اية فرصة لنجاح مساعي بونابارته الودية التي كانت تهدف الى الـ...

4- تقرير وزير الخارجية الفرنسي تاليران إلى مبعوث الباب العالي، حول الخلاف بين الجزائر وفرنسا بسبب هجوم الجزائريين على بعض التجار الفرنسيين، وأيضا بسبب مسألة الديون (ج) مركز الأرشيف الوطني، دفتر خط همايون، العدد 5746، العلبة 22، التاريخ 1217ه



الرئاسة

الأمانة العامة

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

— 3 —

اقرار السلم و الصلح و استمرار الصداقة و المشاعر الخلانية بين الطرفين .

كما لم يتمكن من عدم اللجوء الى الحركات المقابلة التي قولا تخطى رضا الدولة العلية تجاه اوجاق جزائر الغرب لا تجارة اليها ب الحركات المذكورة ، ولهذا بونابارته متهم جدا بابلاغ الاسباب و الدوافع التي ادت به الى اتخاذ هذا الموقف من اوجاق جزائر الغرب و التحرك بتلك الحركات في الموضوع بتقرير موجه الى جنابكم — الدولة العلية — و الى الجزائر ايضا لبيان المقصود و افادة الوضع و المرام .

الاحداث و

الامضاء : شارلموس طاليران

.5746

الملحق الخامس

1 – نص[1] رسالة هيغويرو الأولى

رسالة نائب قنصل إسبانيا بوهران أونتونيو هوغويرو Antonio Higuiro إلى القبطان العام بقرطاجنة.

صاحب السعادة!

في هذا الوقت بالضبط، أرسل إلي صاحب السعادة، باي هذه الناحية، كتابا خطيرا يطلب مني أن أكاتبكم حتى يسمح لليهودي داود كابيزا، بشراء 200 قنطار من البارود، وذلك لتغطية حاجاته في العملية التي أقدم عليها. وأن هذا اليهودي موكل من قبل الباي المذكور، لدفع ثمن هذه الكمية.

أرجو أن تقبل سعادتكم هذا الطلب، في حدود الإمكان، لأن الباي المذكور قد سمح لنا بتصدير الخيل (إلى إسبانيا) وهذا حادث لم يسبق له مثيل كما تعلمون، وقد وافق أيضا بتصدير منتوجات أخرى لهذه الجهة.

ونسأل ربنا أن يديم حياة سعادتكم سنوات عديدة.

وهران 06 ماي 1813م.

أونطونيو هيغويرو Antonio Higuiro إلى صاحب السعادة القبطان العام بقرطاجنة.

1- مولاي بلحميسي: الثورة على الأتراك في الجزائر... ص 40

الملحق السادس

نص[1] رسالة هيغويرو الثانية

صاحب السعادة!

ضمن رسالة مؤرخة في 06 من الشهر الحالي، كنت أبلغت سعادتكم نبا الثورة التي قام بها هذا الباي، وجميع عرب الناحية على إيالة الجزائر، والتي هم رعاياها.

ولهذا الغرض، فإنهم قتلوا جميع الأتراك الموجودين بالحصون، سواء بوهران أو معسكر أو مستغانم أو تلمسان أو بغيرها مما هو تحت أمرهم.

إن حماس العرب للاستقلال، هو نفسه في كل جهة، ولا يرغبون في غير ذلك، معتمدين على مساعدتنا ومساعدة بريطانيا، حسب الرسائل التي نتسلمها كل يوم من الباي، ومن ديوانه الذين يعرضون علينا تسويق جميع منتوجات هذا البلد.

ولا يسعني إلا أن أعبر إلى سعادتكم، عن الفرح والرضا عندما شاهدت في بداية هذه الفتنة، التي قام بها بعض الهمج، أن أولئك الناس قد أبقوا حياة سبعة عشر تركيا من حامية المرسى، والذين لجأوا إلى مركب إسباني يسمى Nuestra Sinora Del Carmen للقبطان José de Isasi والمرقم بماهون.

فقد أعطي الأمر كتابة، وهو في حوزتي، بأن لا يمس أحد بأذى من الأتراك، الذين احتموا برايتنا، ولكنهم أبلغونا أنه يجب علينا أن نحملهم خارج البلد. وهذا ما فعلت بهؤلاء السبعة عشر المذكورين أعلاه.

وأنبه سعادتكم أن الباي، يطالب باسم الصداقة التي يكنها لنا دائما، أن يسمح له بشراء كمية من البنادق والبارود، كما سبق لي أن أخبرت سيادتكم في رسالتي بتاريخ 06 من الشهر الجاري، والتي سلمتها لليهودي داود كابيزا.

وأرجو أم توافق سعادتكم وأن تسمح بشحن جزء من البنادق للسيد خوسي دي إساسي José de Isasi الموجود حاليا بمرساكم، صحبة شحنة من القمح من هذا البايلك.

وفيما إذا لم يعد ببعض البنادق المذكورة، فإنني ساكون معرضا لخسارة، وفاقدا لصداقة يشرفونني بها، منذ أربع عشرة سنة، وأنا أسكن هذا البلد.

1- مولاي بلحميسي: الثورة على الأتراك في الجزائر... ص 41

حفظ الله حياة سعادتك الغالية لمدة أعوام طوال.

وهران 13 ماي 1813م

أونطونيو هيغويرو

تاريخ مؤخر (Posta data)

إذا لم يتغير سير الحوادث، ويبدو ذلك من المستحيل، فإن إيالة الجزائر ضاعت من يد الأتراك.

الملحق السابع

نص[1] اتفاقية 1819م، حول مطالب السيدين بكري وبوجناح من الجزائر

المادة 1:

تدفع الحكومة الفرنسية نقدا للسيدين يعقوب كوهين بكري، وميشال بوجناح بواسطة ممثلها السيد نيكولا بلفيل مبلغ 07 ملايين من الفرنكات.

المادة 2:

يجزأ هذا المبلغ الذي تدفعه الخزينة الملكية بباريس، إلى اثنتي عشرة دفعة، تقدر الواحدة بـ 523333.33 فرنك. ويبدأ الدفع ابتداء من 01 مارس المقبل، ولا تدفع المبالغ التي ستحدد فيما بعد.

المادة 3:

كل ما لبكري وبوجناح من ديون في ذمة الحكومة الفرنسية، بما في ذلك التعويضات والفوائد، تمحى بواسطة المبلغ المذكور الذي يقدر بسبعة ملايين من الفرنكات، بحيث أن الرعايا الجزائريين الآنف ذكرهم، لا يكون لهم الحق في المطالبة بأي شيء مهما كان نوعه، إذا كان مرجعه إلى ما قبل إمضاء هذه الاتفاقية.

المادة 4:

من المعلوم أن الخزينة الملكية تخصم من المبلغ الذي تسلمه للسيد بليفيل وكيل السيدين بكري وبوجناح، مقدار الاعتراضات وما على الشخصين المذكورين من ديون، وتحتفظ به إلى أن يحصل السيد بليفيل على رفع الحجز من المعنيين أنفسهم أو من المحاكم، أما المبالغ الأخرى فإنها تسلم في حينها.

المادة 5:

لقد تم الاتفاق، كذلك، على أن السيد يعقوب، إيفاء منه بوعود قدمها للقنصل الفرنسي في الديوان، يوم 29 فيفري 1816م، يدفع ديون السادة إسحاق ترنة (479361 فرنك)

1- محمد العربي الزبيري: التجارة الخارجية ... ص 307، والنص الفرنسي الكامل لهذه الاتفاقية أورده ناتمون. يراجع:

Nettement, A, Op.cit, p 564 et suite.

وفرانسوا إيكيون من تولون (39269 فرنك)، وجوزيف إيكيون (45500 فرنك)، وهي مبالغ كانت قد سلمت للقتيل داود بكري، من طرف قنصلية فرنسا في الجزائر سنة 1810م.

ومن البديهي، بمقتضى هذا الدفع، أن الدائنين المذكورين أعلاه يوكلون السيد يعقوب بكري، لجمع المبالغ المذكورة أعلاه والمدفوعة عنه، وأن هذا الواجب الخاص، لا يمكن في أي حال من الأحوال، أن يمدد إلى آخرين ممن لهم دين في ذمة القتيل داود كوهين بكري.

المادة 6:

وبالإضافة إلى ذلك، تم الاتفاق على أن الدفعات المنصوص عليها في المادة السابقة، وكذلك جميع الديون الأخرى المترتبة على السيدين بكري أو ميشال بوجناح، كلها تخصم من حصة كل واحد ومنبه من السبعة ملايين.

المادة 7:

ونظرا إلى أن الأشياء والبضائع التي أخذها وكلاء الإيالة، من المؤسسات الإفريقية عندما أعلنت الحرب ضد فرنسا، يوم 20 ديسمبر 1798م، قد وضعت تحت تصرف بوجناح وبكري، فإنه تم الاتفاق على أنه يخصم من الدفعة الأخيرة التي تسلم للسيد بليفيل مقدار 111079 فرنك تصب في صندوق الإيالة، لتعويض أصحاب الحقوق.

وبعد هذا الخصم الأخير، تعترف الحكومة الفرنسية بأنها لن تطالب مرة أخرى بالعودة إلى تنفيذ المادة الرابعة من معاهدة 01 ديسمبر 1801م.

المادة 8:

لا يطبق هذا الاتفاق إلا بعد أن يصادق عليه الملك، وأن يصرح الداي باسم الإيالة، أنه بعد تنفيذ الاتفاق، لن يطالب الحكومة الفرنسية بأي شيء آخر، فيما يتعلق بديون السيدين بكري وبوجناح، وأن يعترف بالتالي، أن فرنسا قامت بواجباتها المنصوص عليها في معاهدة 01 ديسمبر 1801م.

حرر بباريس يوم 28 أكتوبر سنة 1819م.

إمضاء

Monsieur, Hely d'Oissel, Nicolas pléville.

معجم لبعض المصطلحات الواردة
في المذكرة

إتنارك:

Ethnarque أو Ethnarch كلمة يونانية تتألف من شطرين؛ إيتنوس وتعني القوم، وآرخ بمعنى الرئيس أو الحاكم، ومعنى الكلمة بالعربية رئيس القوم، وهو لقب كان يمنح لرئيس الجماعة اليهودية في الإسكندرية، وكانت له صلاحيات قضائية وإدارية واسعة من أهمها جمع الضرائب.

أشكيناز:

إن الاشتقاق الحالي لهذه اللفظة من كلمة " إشكيناز" بمعنى ألمانيا، وتطلق على اليهود الذين كانوا يعيشون في ألمانيا وفرنسا ومعظم أوربا.

الجيتو:

هو الحي المقصور على إحدى الأقليات الدينية أو القومية. ولكن التسمية أصبحت مرتبطة أساساً بأحياء اليهود " الجيتو " في أوربا. وللكلمة معنيان: الجيتو بالمعنى العام، أي المكان الذي يعيش فيه فقراء اليهود دون قسر من جانب الدولة، أو حي اليهود بشكل عام، وتعود نشأة هذه الجيتوهات إلى زمن الإمبراطورية الرومانية.

أما الجيتو بالمعنى الخاص والذي أصبح استعماله شائعاً، فيعني المكان الذي فرض على اليهود أن يعيشوا فيه قسرا في كثير من البلدان.

ولعل أصل الكلمة يعود إلى اللفظة الإيطالية "بورجيتو" التي تعني القسم الصغير من المدينة.

الحاخام:

كلمة عبرية معناها الرجل الحكيم أو العاقل، وقد استخدمت بدلها في بعض المناطق كلمة "ربي" بمعنى سيد، ثم صارت الكلمة تستخدم للإشارة إلى القائد الديني للجماعة اليهودية، الذي كان يقوم بتفسير التوراة وإصدار الفتاوى، إلى جانب قيامه بالإشراف على الصلوات في المعبد اليهودي، وكثيراً ما كان يضطلع بوظائف دنيوية مثل جمع الضرائب، والإشراف على شؤون الطائفة اليهودية، وبذلك تحول إلى واسطة بين اليهود وبين سلطة البلاد التي يعيشون فيها.

سفارديم:

هي الأصل العبري لمصطلح سفارد، التي تعني إسباني أو إسبانيولي، كما تعني فرانك Franc التي تقابل في العربية لفظة " الفرنجة ".

وقد صارت كلمة سفارد منذ القرن 8م، هي الكلمة العبرية المستخدمة للإشارة إلى إسبانيا، وتستخدم في الوقت الحاضر للإشارة إلى اليهود الذين عاشوا أصلا في هذا البلد وفي البرتغال.

الشتات (Diaspora):

"دياسبورا "كلمة يونانية تعني" الشتات "أو" الانتشار، وقد كانت الدياسبورا نمطاً شائعاً في التاريخ القديم، فلم يكن مقصوراً على اليهود، بل كانت هناك جماعات من التجار اليونانيين الذين يؤسسون مجتمعاتهم الصغيرة في المدن التي يستقرون فيها، فكانوا يبنون فيها معابدهم ويعبدون آلهتهم، ويمارسون جميع جوانب حياتهم الأخرى.

بينما يعتبر اليهود أن كل يهودي موجود خارج فلسطين يعاني من الشتات، أي يعيش في المنفى، وهو في واقع الأمر ليس بمنفى ولا شتات، فهم موجودون في أوطانهم بشكل دائم لا مؤقت، وهم يعيشون هناك بحرية وإرادة دون قسر أو إكراه، حتى أن كثيرا منهم يرفضون ترك أوطانهم والعيش في فلسطين.

القرانا:

يقصد بهم اليهود الذين قدموا من توسكانا بإيطاليا، خاصة من مدينة ليفورن، وهم الذين شكلوا نواة المسألة اليهودية في الجزائر قبيل الاحتلال الفرنسي عام 1830م.

اللاهوت:

بدأ استخدام هذا المصطلح حديثا في الدراسات اليهودية، فهو يشير بشكل خاص إلى الدراسات العقيدية المسيحية، واللاهوت هو المصطلح العربي المقابل لمصطلح ثيولوجيا Théologie الذي يتألف من شطرين؛ "ثيوس" بمعنى إله و"لوجوس" بمعنى دراسة وعلم، وبهذا يحمل معنى التأمل المنهجي في العقائد الدينية.

المقدم:

كان لليهود مسؤول أعلى في الآستانة يلقب بالحاخام باشي، وفي الأقاليم المختلفة كان الحاخام يضطلع بمهمة دينية كبيرة كالفتوى وتفسير التوراة، لكن المسؤول العام عن الطائفة كان يلقب بالمقدم.

وفي الجزائر ثوارثت هذا المنصب الهام بعض العائلات كعائلة بوشارة وعائلة ابن دوران وعائلة بكري، وقد حدث صراع شديد بين هذه العائلات بسبب هذا المنصب الحساس.

الهيكل الأول :

الهيكل حسب التسمية المسيحية أو "بيت همقداش" ("بيت المقدس" أو "المعبد") حسب التسمية اليهودية، كان معبدا يهوديا أقيم في القدس، وليس هناك دليل على المكان الذي بني فيه بالضبط، فبينما تذكر المصادر اليهودية أنه تحت المسجد الأقصى، يؤكد كثير من المصادر أنه بنى خارج ساحات المسجد.

تبدأ مرحلة الهيكل الأول إذا مع بنائه في عهد سليمان عام 960 ق م، أو قبل ذلك بقليل، أي مع وصول داود إلى الحكم عام 1004 ق م، وتنتهي بسقوط المملكة الجنوبية عام 586 ق م على يد نبوخذ نصر ملك بابل وسبي أكثر سكانها.

الهيكل الثاني:

بعد تولي كورش عرش فارس، استطاع أن يهزم البابليين عام 539 ق م، وقد سمح بعد ذلك بعودة 50 ألف يهودي إلى فلسطين، محاولة منه لكسبهم كحلفاء له، ولذلك فإن اليهود ينعتون كورش بالمخلص الإلهي.

ومع عودة اليهود من بابل تبدأ مرحلة الهيكل الثاني، حيث أعيد تشييده ثانية، وتنتهي هذه المرحلة بتحطيم تيتوس له عام 70م.

الـبـيـبـلـيـوغـرافـيـا

المحفوظات:

محفوظات الأرشيف الوطني:

ا- دفتر خط همايون

1- دفتر خط همايون، الرقم العثماني 22524، التاريخ 1240ه

تقرير من الجزائر عن كتاب العهد الجديد وبيان دسائسه وأنه قد أرسل منه 1000 نسخة إلى الجزائر، وأنها قد جمعت وأحرقت بأمر من السلطان.

2- دفتر خط همايون، الرقم العثماني 1/22554 التاريخ 1239ه

تقرير من حسين باشا إلى السلطان العثماني عن انتصار الجزائر على الإنجليز.

3- دفتر خط همايون، العدد 5746، العلبة 22، التاريخ 1217ه

تقرير تاليران وزير خارجية فرنسا عن الخلاف مع الجزائر عام 1217ه

4- دفتر خط همايون، العدد 5810، العلبة 22، التاريخ 1217ه

تهديد نابليون للجزائر بعد المعاهدة التي عقدت عام 1217ه

5- دفتر خط همايون، العدد 5731، العلبة 21، التاريخ 1216ه

مصطفى باشا يعلم الدولة العثمانية بالخلاف الجزائري الفرنسي المتعلق بصيد المرجان سنة 1216ه

ب- المكتبة الوطنية:

1 - 3190 / 118

رسالة من أحد عملاء الجزائر في أوربا إلى الباشا، دون تاريخ، حول نشاط يعقوب بكري في أوربا، وفيها عرض تسوية بعض المسائل التجارية بين الجزائر وبين فرنسا وإسبانيا وسردينيا

2 - 3190 / 382

تقرير أرسل إلى حسين باشا، حول المعارضة التي ظهرت في مجلس الشيوخ الفرنسي، لقرار إعلان الحرب ضد الجزائر، ومسألة ديون بكري وبوجناح.

3 - 3190 / 404

رخصة مرور مسلمة من محمد بن عثمان باشا إلى مبعوث البابا إيمانويل ، حتى لا يعترض القراصنة طريقه، خلال عودته إلى إسبانيا، ومعه الأسرى الذين تم افتداؤهم بالجزائر.

الرسائل الجامعية :

01. بحري (أحمد)، الحياة الثقافية بالجزائر في عهد الدايات، مذكرة ماجستير. جامعة وهران. 2001 – 2002
02. بليل(رحمونة)، العلاقات التجارية لإيالة الجزائر مع بعض موانئ البحر المتوسط؛ مرسيليا وليفورن من 1700 – 1827، مذكرة ماجستير. جامعة وهران. 2001 – 2002
03. دادة (محمد)، اليهود في الجزائر في العهد العثماني (منذ مطلع القرن 18 حتى 1830م) مذكرة ماجستير. جامعة دمشق. 1985
04. زروال (محمد)، العلاقات الجزائرية الفرنسية، 1791 – 1830. دبلوم الدراسات المعمقة. جامعة وهران. 1975 - 1976
05. شويتام (أرزقي)، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني، 1519 – 1830، رسالة دكتوراه. جامعة الجزائر. 2006 - 2007
06. صالح (حيمر)، التحالف الأوربي ضد الجزائر عام 1541م، وتأثيراته الإقليمية والدولية، مذكرة ماجستير. جامعة باتنة. 2006- 2007
07. طوبال (نجوى)، طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر (1700م – 1830م) من خلال سجلات المحاكم الشرعية، مذكرة ماجستير. جامعة الجزائر. 2004 - 2005

المصادر والمراجع باللغة العربية:

01. ابن حمادوش (عبد الرزاق)، لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، (رحلة ابن حمادوش)، تقديم وتحقيق وتعليق أبي القاسم سعد الله، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. 1983

02. ابن خلدون (عبد الرحمن)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت: دار الكتاب اللبناني. 1959

03. ابن ميمون (محمد)، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. 1981

04. ألتر (عزيز سامح)، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، بيروت: دار النهضة العربية.1989

05. أندرسون (ماتيو)، تاريخ القرن الثامن عشر في أوربا ، تعريب نور الدين حاطوم، دمشق:دار الفكر. ط 1. 1977

06. بشير (عبد الرحمن)، اليهود في المغرب العربي، 22-462ه/ 642-1070م، الهرم: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. ط 1. 2001

07. البكري (محمد بن أبي السرور)، المنح الربانية في الدولة العثمانية، تقديم وتحقيق وتعليق ليلى الصباغ، دمشق: دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع. ط 1. 1995

08. بلحميسي (مولاي)، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. 1981

09. بوحوش (عمار)، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، بيروت: دار الغرب الإسلامي. 2005

10. بوعزيز (يحيى)، المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد (1780م – 179م)، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية. 1993

11. التل (عبد الله)، الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية. ط 2. 1989.

12. التميمي (عبد الجليل)، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، الجزائر وتونس وليبيا 1816، 1871، زغوان: منشورات مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني. ط 2. 1985

13. جغلول عبد القادر، تاريخ الجزائر الحديث؛ دراسة سوسيولوجية، الجزائر: دار الحداثة بالتعاون مع ديوان المطبوعات الجامعية. ط 3. 1983

14. الجمل (شوقي عطا الله): المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، القاهرة: المكتبة الأنجلو المصرية. ط1. 1977

15. حليمي (علي عبد القادر)، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م، بيروت: المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي. 1972

16. حماش (خليفة) وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني، بالمكتبتين الوطنيتين في الجزائر وتونس. مطبوعة.

17. خوجة (حمدان)، المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. ط 2. 1982

18. دودو (أبو العيد)، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان، 1830 – 1855، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب. 1989

19. الزبيري (محمد العربي)، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، 1792 - 1830، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب. ط 2. 1984

20. الزبيري (محمد العربي)، مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث، الجزائر: المؤسسة الوطنية للطباعة. 1985

21. الزبيري (محمد العربي)، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. 1973

22. الزهار (الحاج أحمد الشريف)، مذكرات الحاج أحمد الشريف نقيب أشراف الجزائر، تحقيق أحمد توفيق المدني، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. 1972

23. الزيدي (مفيد)، موسوعة التاريخ الإسلامي؛ العصر العثماني، عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع. 2003

24. سبنسر(ويليام)، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتعليق عبد القادر زبايدية، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. 1980

25. سبيرودوفيتش (شيريب)، حكومة العالم الخفية، ترجمة مأمون سعيد، بيروت: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع. 1990
26. سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي، من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجريين (16م – 20م)، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب. ط 2. 1985
27. سعد الله (أبو القاسم)، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، بيروت: دار الغرب الإسلامي. 1976
28. سعد الله (أبو القاسم)، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، بداية الاحتلال، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. ط 3. 1982
29. سعد الله (فوزي)، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، الجزائر: شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع. ط 2. 2004
30. سعيدوني (ناصر الدين)، الجزائر منطلقات وآفاق، بيروت: دار الغرب الإسلامي. 2000
31. سعيدوني (ناصر الدين)، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية، 1800م – 1830م، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. ط 1. 1979
32. سعيدوني (ناصر الدين)، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب. 1984
33. سنقرط (داود عبد العفو)، اليهود في المعسكر الغربي، عمان: دار الفرقان للنشر والتوزيع. ط 2. 1987
34. شالر (ويليام)، مذكرات ويليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816– 1824) تعريب وتقديم وتعليق إسماعيل العربي، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. 1982
35. شحاتة (محمد عطا)، اليهود في بلاد المغرب الأقصى، في عهد المرينيين والوطاسيين، دمشق: دار الكلمة للطباعة والنشر والتوزيع. ط1. 1999
36. شحاك (إسرائيل)، الديانة اليهودية وتاريخ اليهود، وطأة 3000 عام، ترجمة رضى سليمان، بيروت: شركة المطبوعات للنشر والتوزيع. ط 4. 1997

37. عبد القادر (مسلم بن)، أنيس الغريب و المسافر، تحقيق وتقديم رابح بونار، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. 1974

38. العربي (إسماعيل)، العلاقات الدبلوماسية الجزائرية في عهد الأمير عبد القادر، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية. 1982

39. العربي (إسماعيل)، فصول في العلاقات الدولية، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب. 1990

40. عميراوي (حميدة)، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني؛ مذكرات تيدينا أنموذجا، الجزائر: شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع. 2003

41. عويس (عبد الحميد)، الفكر اليهودي بين تأجيج الصراعات وتدمير الحضارات، الجزائر: دار عالم الأفكار. بدون تاريخ

42. فون مالتسان (هاينريش)، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، ترجمة أبي العيد دودو، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. ج 1. 1973

43. قنان (جمال)، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث، الجزائر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد. 1994

44. قنان (جمال)، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619م – 1830م، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب. 1987

45. محمود (أمين عبد الله)، مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، الكويت: إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. 1984

46. المدني (أحمد توفيق)، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب. ط 3. 1984

47. المزاري (الآغا بن عودة)، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق ودراسة يحيى بوعزيز، بيروت: دار الغرب الإسلامي. 1990

48. المشرفي (عبد القادر)، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر، تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة. بدون تاريخ

49. مقلد (إسماعيل صبري) ، العلاقات السياسية الدولية، دراسة في الأصول والنظريات، الكويت: منشورات ذات السلاسل. 1985

50. الميلي (مبارك بن محمد)، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. بدون تاريخ

51. وولف (جون)، الجزائر وأوربا، ترجمة وتعليق أبي القاسم سعد الله، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب. 1986

52. ياغي (إسماعيل أحمد)، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، الرياض: مكتبة العبيكان. 1995

المقالات باللغة العربية:

01. أميلي (حسن)، "البحرية العثمانية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين من الريادة إلى التبعية"، العثمانيون والعالم المتوسطي، مقاربات جديدة، ط 1. 2003. ص ص 91 – 117

02. أمين (محمد)، "يهود ليفورن بالجزائر في أواخر العهد العثماني؛ عائلتا بكري وبوشناق نموذجا"، العثمانيون والعالم المتوسطي، مقاربات جديدة، ط 1. 2003. ص ص 301 – 323

03. بلبوري (سيد أحمد)، " أهمية ميناء المرسى الكبير والنشاط التجاري الفرنسي الإنجليزي إبان الاحتلال الإسباني؛ 1732- 1754"، دفاتر التاريخ المغربية. العدد1. 1987. ص ص 53 -61

04. بلحميسي (مولاي) ، " الثورة على الأتراك في الجزائر، شواهد مستقاة من وثائق إسبانية لم تنشر"، الثقافة، العدد 48، 1978. ص ص 35 – 51

05. بن رمضان (فريد)، " أسماء الأماكن والأشخاص الجزائرية؛ مصنف بيبليوغرافيا عام". منشورات CRASC. 2006

06. البوعبدلي : (المهدي)، "جوانب من ماضي وهران عبر العصور"، الثقافة، العدد 89، 1985، ص ص 87 – 94

07. بوعزيز (يحيى)، " مفاوضات الصلح بين الجزائر وإسبانيا من خلال مراسلات الداي محمد عثمان باشا (1780 – 1787)"، الثقافة العدد 89. 1985. ص ص 95 – 118

08. بوعزيز (يحيى)، "علاقات الجزائر مع دول وممالك أوربا فيما بين القرن السادس عشر ومطلع القرن التاسع عشر"، الثقافة. العدد 48، 1978. ص ص 17 – 34

09. سعيدوني (ناصر الدين)، " الأحوال الصحية والوضع الديمغرافي بالجزائر أثناء العهد التركي"، الثقافة، العدد 92. 1986. ص ص 101-114

10. سعيدوني (ناصر الدين)، " ثورة ابن الأحرش بين التمرد المحلي والانتفاضة الشعبية"، الثقافة، العدد 78. 1983. ص ص 199 – 224

11. سعيدوني (ناصر الدين)، " نظرة في التاريخ الاقتصادي للجزائر في العهد العثماني"، سيرتا. العدد 3. ماي 1980. ص ص 78 – 83

12. سعيدوني (ناصر الدين)، " يهود الجزائر وموقفهم من الحركة الصهيونية"، الثقافة. العدد 77. 1983. ص ص 107 – 118

13. العربي (إسماعيل)، "المعاهدة الجزائرية الأمريكية، وكيف كانت سببا في إنشاء أول أسطول أمريكي"، الثقافة. العدد 40. 1977. ص ص 23 – 33

14. العربي (إسماعيل)، "دور اليهود في الدبلوماسية الجزائرية في أواخر عهد الدايات"، مجلة تاريخ وحضارة المغرب. العدد 12. 1974. ص ص 37 – 71 .

15. غطاس (عائشة)، "من أجل إعادة النظر في البنية الديمغرافية لمجتمع الجزائر، معطيات مستقاة من الوثائق المحلية"، إنسانيات. العددان 19- 20. جانفي – جوان 2003. ص ص 33 – 44

16. ي.ي، "هزيمة شارل الخامس في حملته على مدينة الجزائر"، الجيش، جانفي 1997، ص ص 28 – 30

17. حماش (خليفة)، وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين في الجزائر وتونس، جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة، مطبوع

المصادر والمراجع باللغة الفرنسية:

01. Abitbol (M), le passé d'une discorde, juifs et arabe du 7 eme siècle à nos jours, Paris, Perrin, 1999

02. Arvieux (Chevalier), Mémoires, Paris, Librairie Charles Jean Baptiste Delespine, T 5, sans date

03. Ault-Dumesnil (Edouard d'), De l'expédition d'Afrique en 1830, Paris, Delaunay Editeur, 1832

04. Belhamissi (Moulay), la ville aux mille canons, Alger, entreprise nationale du livre, 1990

05. Bonnafont, Douze ans en Algérie, 1830 À 1842, Paris, Librairie de la Société des gens de lettres, 1880

06. Bonnafont, Géographie médicale d'Alger et de ses environs, Alger, Brachet et Bastide, 1839

07. Card (E. Rouard de), Traités de la France avec les pays de l'Afrique du Nord; Algérie, Tunisie, Tripolitaine, Maroc, Paris, Librairie de la cour d'appel et de l'ordre des avocats, 1906

08. Chenouf (AISSA), les juifs d'Algérie; 2000 ans d'existance, Alger, édition el Maarifa, 2004

09. Daumas, Mœurs et coutumes de l'Algérie, Paris, Hachette et Cie, 1853

10. Depont (Octave), Coppolani (Xavier), Les Confrérie religieuses musulmanes, Alger, Imprimerie Adolphe Jourdan, 1897

11. Duchesne (E.-A), De la prostitution dans la ville d'Alger depuis la conquête, Paris, Librairie de l'Académie impériale de médecine, 1853
12. Eisenbeth (M), Le judaïsme nord africain, Constantine, Edition P, Braham, 1931
13. Enfantin, Colonisation de l'Algérie, Paris, P. Bertrand librairie, 1843
14. Faucon (Narcisse), Livre d'or de l'Algérie, Paris, Challamel et Cie, 1889
15. Feraud (Ch), Histoire des villes de la province de Constantine, Alger, l'Association Ouvrière V. Aillaud et Cie, 1877
16. Gaid (Mouloud), l'Algérie sous les turcs, Boumerdes, édition Mimouni, 1991
17. Garrot (Henri), Les juifs algériens; leurs origines, Alger, librairie Louis Relin, 1898
18. Godard (Abbe Léon), Soirées algériennes, Corsaires, Esclaves et martyres de Barbarie, Tours, A. Mame et Cie, sans date.
19. Grammont (H.-D. de), Correspondance des consuls d'Alger, (1690-1742) Paris, Ernest Leroux, 1890
20. Grégoire (Fernand), La juiverie algérienne, Radical algérien, 1888
21. Gsell (Stéphane), Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, Paris, Librairie Hachette, 1920
22. Gustave (Rouanet), L'Antisémitisme Algérien, Paris, Bureaux de La Petite République, sans date.
23. Harmand (Jules), Domination et Colonisation, Paris, Ernest Flammarion, 1910
24. Masson (Paul), Histoire des établissements et du commerce français dans l'Afrique Barbaresque (1560-1793) (Algérie, Tunisie, Tripolitaine, Maroc), Paris, Hachette & Cie, 1903

25. Mercier Ernest, Histoire de l'Afrique septentrionale, Paris, Ernest Leroux, 1888.
26. Nettement (Alfred), Histoire de la conquête d'Alger, Paris, Librairie Jaques lecoffre, 1867
27. Paradis (Venture de), Tunis et Alger au 18 ème siècle, sindbad , 1983
28. Perrot (M), La conquête d'Alger, Paris, H, Langlois Fils, 1830
29. Rang (Sander), Fondation de la régence d'Alger, Paris, J, Angé, 1837
30. Resberq (A. de fontaine), Alger et les cote d'Afrique, Paris, bibliothèque instructive et amusante, 1832
31. Reynaud (pellissier de), Annales algériennes, Revue corrigée et continuée jusqu'à la chute d'Abdelkader, Alger, librairie Bastide, Octobre 1854
32. Rozet et Carette, l'Algérie, Histoire et description de tous les peuples, de leurs religions, moeurs, coutumes, etc. Paris, Firmin Didot Frères, 1850.
33. Shaler (W), Esquisse de l'Etat d'Alger, traduit de l'anglais et enrichi de notes par X, Bianchi, Paris, Ladvocat, 1830
34. Shaw, Voyage dans la régence d'Alger, Traduit de l'anglais par J. Mccarthy, Paris, Marlin éditeut, 1830
35. Solleilet (Paul), Exploration du Sahara occidental (Voyage de Paul Solleilet), Alger, A. Jourdan, 1875
36. Solleilet (Paul), L'Afrique occidentale; Algérie, Mzab, Tildikelt, Avignon, imprimerie de F. Seguin Ainé, 1877
37. Tassy (L, de), Histoire du royaume d'Alger, Amsterdam, Henri du Sauzet, sans date
38. Trumelet (C), L'Algérie légendaire, en pèlerinage ça et la aux tombeaux des principaux Thaumaturges de l'Islam (Tell et Sahara), Alger, Librairie Adolphe Jourdan, 1892

39. Virebaeau (G), Algérusalem; l'Algérie terre juive, lecon d'histoire algérienne d'un rabbin à son fils, Alger, Imp A Joyeux, 1937
40. Voisin (G), L'Algérie pour les Algériens, Paris, Michel Lévy Frères, 1861

المقالات باللغة الفرنسية:

1. Berbrugger (a), "la régence d'Alger sous le consulat et l'empire", Revue Africaine, année 1871, pp 241 -260, pp 321 – 334, pp 401 – 414
2. Berbrugger (a), "l'affaire Bacri", Revue Africaine, № 13, 1869, pp 60 - 63
3. Cour, A, "Constantine en 1802 d'après une chanson populaire du Cheikh Belgassem Errahmouni El Haddad", Revue Africaine, № 60, 1919, pp 224 – 240
4. Eisenbeth (M), "les juifs en Algérie et en Tunisie", Revue Africaine, Tome xcvi, 1952, pp 114 – 187 - pp 344 -384
5. Feraud (ch), "Exploitation des forets de karasta dans la kabylie sous la domination turque", Revue Africaine, année 1868, pp 36 -46 et 151 – 160, année 1869, pp 378 – 390
6. Primaudaie (F. Élie de la), "Le commerce et la navigation de l'Algérie", Revue Algérienne Coloniale, juin 1860

فهارس الأعلام والقبائل والجماعات والأماكن والبلدان

فهرس الأعلام:

فهرس القبائل والجماعات:

فهرس الأماكن والبلدان:

فهرس الموضوعات

الفصل الثالث: دور اليهود في دبلوماسية الجزائر

الفصل الرابع: آثار التدخل اليهودي في الدبلوماسية الجزائرية